Kingdom of Saudi Arabia Ministry of Education University of Bisha College of Arts and Letters Master's degree in Islamic History		المملكة العربية السعودية وزارة التعليم جامعة بيشة كلية الآداب والفنون ماجستير التاريخ الإسلامي

النظام الإداري والاقتصادي والاجتماعي في العصر العباسي الأول

"دمشق نموذجا"

(١٣٢-٢٣٢هـ/ ٧٥٠-٨٤٧م)

"دراسة تاريخية حضارية"

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالبة:

جواهر محمد مبارك القحطاني

الرقم الجامعي:

إشراف:

د. محمد الفاضل بن العوض عثمان رحمه الله

د. سعيد بن علي عبد الله الشهراني

العام الجامعي:

١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال اللهُ تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1].

(١) سورة طه، الآية: ١١٤.

المستخلص

تهدِف هذه الدراسة إلى التعرف على النظام الإداري والاقتصادي والاجتماعي في العصر العباسي الأول في مدينة دمشق خلال الفترة (١٣٢-٢٣٢هـ/ ٧٥٠-٨٤٧م)، وقد تم تناول الموضوع من خلال مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة. فأما المقدمة فاستعرضت أهمية الدراسة وأهدافها، وأسباب اختيار الموضوع، ومشكلة الدراسة، ومنهجها، والدراسات السابقة، والتعريف بأهم المصادر والمراجع. ويتناول التمهيد الأوضاع الإدارية والاقتصادية والاجتماعية قبل العصر العباسي الأول في دمشق. وتطرقت الدراسة في الفصل الأول إلى النظم الإدارية في دمشق خلال العصر العباسي الأول من خلال ثلاثة مباحث: الأول: إسهامات الخلفاء العباسيين في تنظيم ولاية دمشق خلال العصر العباسي الأول، والثاني: إسهامات الخلفاء في التنظيم القضائي في دمشق، والثالث: تنظيم الخلفاء العباسيين للدواوين في دمشق. بينما درس الفصل الثاني النُّظُم الاقتصادية في دمشق خلال العصر العباسي الأول من خلال أربعة مباحث: الأول: التنظيم الزراعي، والثاني: تنظيم الأحوال التجارية، والثالث: تنظيم الصناعة الحرفية، والرابع: تنظيم الخلفاء العباسيين للموارد المالية. واستعرض الفصل الثالث التنظيمات الاجتماعية في مدينة دمشق خلال العصر العباسي الأول من خلال ثلاثة مباحث هي: الأول: النظم الاجتماعية في دمشق خلال العصر العباسي الأول، والثاني: علاقة القبائل العربية في دمشق بالخلافة العباسية، والثالث: العادات والتقاليد في المجتمع العباسي في دمشق. واختتمت الدراسة بالخاتمة والتي شملت أهمّ النتائج والتوصيات، ثم ذكر المصادر والمراجع وبعض الملاحق التي أفادت الدراسة.

الكلمات المفتاحية:

النظم الإدارية، النظم الاقتصادية، النظم الاجتماعية، دمشق، العصر العباسي الأول.

ABSTRACT

This study aims to identify the administrative, economic and social system in the first Abbasid era in the city of Damascus during the period (132-232 AH/ 750-847 AD). The topic was addressed through an introduction, a preface, three chapters and a conclusion. The introduction reviewed the importance of the study and its objectives, the reasons for choosing the topic, the problem of the study, its methodology and previous studies, and an introduction to the most important sources and references. The preface deals with the administrative, economic and social conditions before the first Abbasid era in Damascus. The study addressed in the first chapter the administrative systems in Damascus during the first Abbasid era through three topics: the first: the contributions of the Abbasid caliphs to organizing the state of Damascus during the first Abbasid era. The second: the contributions of the caliphs to the judicial organization in Damascus. The third: the organization of the Abbasid caliphs of the offices in Damascus. While the second chapter studied: the economic systems in Damascus during the first Abbasid era. Through four topics: the first: agricultural organization. The second: the organization of commercial conditions. The third: the organization of the craft industry. The fourth: the organization of the financial resources by the Abbasid caliphs. The third chapter reviewed: Social organizations in the city of Damascus during the first Abbasid era through three topics: First: Social systems in Damascus during the first Abbasid era. Second: The relationship of the Arab tribes in Damascus with the Abbasid Caliphate. Third: Customs and traditions in the Abbasid society in Damascus. The study concluded with a conclusion that included the most important results and recommendations, then mentioned the sources, references and some appendices that benefited the study .

Keywords:

Administrative systems, economic systems, social systems, Damascus, the first Abbasid era.

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم. الحمد لله المنّان، الملك القدوس السلام، مدبّر الليالي مصرِّف الشهور والأعوام، قدَّر الأمور فأجراها على أحسنِ نظام. الحمد لله على ما أنعم به عليّ فضلًا منه من الخير الكثير والعلم الوفير، وأعانني على إنجاز هذه الدراسة. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيّنا محمد القائل كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من لا يشكرُ الناس لا يشكرُ الله»(١).

وبعد حمد الله تعالى وشكره على إنهائي لهذه الرسالة أتقدَّم بكلمة شكر وتقدير واحترام إلى معلِّمتي الأولى، إلى مَن منحتني حبَّ التفوُّق والنجاح والتميُّز والمثابرة وعدم اليأس، وغمرتني بنصائحها، وكانت دعواتها لي بالتوفيق كالنَّسمة التي تذلِّل الصعاب في كلّ خطوة أخطوها، وكان لها الفضلُ بعد الله تعالى فيما وصلت إليه الآن.. والدتي العظيمة، حفظها الله لي من كلّ مكروه، ومتَّعني ببرّها وردِّ جميلها.

وإلى مصدر قوَّتي وفخري، إلى سندي وعوني بعد الله.. إخواني، فلهم مني وافر الشكر والتقدير.

وإلى مَن رسم لي خطَّ البدايات، وله الفضل بعد الله في توضيح عتمَة البداية، لمن فارقنا بعد فترة طويله من العطاء، تاركًا سيرةً عطرةً وذكرى طيّبة وروحًا نقيّة وميراثا من العلم والخُلُق الرفيع، لقد غيَّبَك الموت جسدًا، لكنّك ستظلّ بأعمالك ومآثرك وسيرتك نبراسًا وقدوة لنا.. الدكتور: محمد الفاضل عوض الذي توفاه الله تعالى خلال إعدادي لهذه الدراسة، رحمه الله وأكرم نزله وأسكنه فسيح جناته.

كما أخُصّ بالشكر والتقدير الدكتور: سعيد علي عبد الله الشهراني على تفضُّله بقبول الإشراف على هذه الرسالة، وعلى ما قدَّمه لي من علم نافع وعطاء متميّز وإرشاد مستمرّ، وعلى ما بذله من جهد متواصل ونصحٍ وتوجيه، وكان خَير مُعلّم ومُفهّم، جزاه الله كلّ خير، وجعل ذلك في موازين حسناته.

كما أتقدَّم بالشكر والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة الكرام: سعادة/ أ. د. نورة بنت أحمد الحارثي مناقشًا داخليًّا، وسعادة/ أ. د. عائشة مرشود حميد الحربي مناقشًا خارجيًّا، على تفضُّلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، فجزاهم الله عني خير الجزاء، ورفع قدرهما، ونفع بهما.

ويسرني أن أتقدَّم بالشكر لكلّ من مدَّ لي يدَ العون، أو أسدَى لي معروفا، أو قدَّم لي نصيحة، أو كانت له إسهامة صغيرة أو كبيرة في إنجاز هذه الدراسة، فله مني خالص الشكر والتقدير.

لكم جميعًا الشكر والتقدير والاحترام.

---

(١) الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، سنن الترمذي، ج٤، أبواب البر والصلة، ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ص: ٣٣٩. رقم الحديث: ١٩٥٥.

الإهداء

الحمد لله حُبًّا وشكرًا وامتنانا على البدء والختام.

(وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين).

وبكلّ حبّ أهدي ثمرة جهدي المتواضع:

إلى من أبصرتُ بها طريق حياتي، واستمددت منها قوتي واعتزازي بذاتي، إلى الكفاح الذي لا يتوقّف، إلى الشامخة التي علَّمتني معنى الإصرار وأن لا شيء مستحيل في الحياة مع قوة الإيمان والتخطيط السليم، إلى ينبوع العطاء المتفاني مدى عمري، إلى من كانت الداعمَ الأول لتحقيق طموحاتي، إلى من كانت ملجئي ويدي اليمين في هذه المرحلة وكل المراحل.. القلب الحنون رفيقة أحلامي.. والدتي العظيمة أمدّ الله في عمرها، وجزاها الله عني خير الجزاء.

إلى ضلعي الثابت وأمان أيامي، إلى من شدَدْت عضدي بهم، إلى سندي وعوني بعد الله.. إخواني.

إلى من رحلوا عنا ولكن ذِكراهم لم ترحل.. الدكتور محمد الفاضل عوض، رحمه الله، وأسكنه فسيح جناته.

للذين رافقوني في مشواري.. أصدقائي وزملائي.

لكل طلبة العلم ومحبي المعرفة..

إليكم جميعًا أهدي ثمرةَ جهدي المتواضع الذي أرجو من الله تعالى أن يجعلَه عِلمًا يُنتَفَع به.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحات	
المستخلص	أ	أ
Abstract	ب	ب
الشكر والتقدير	ج	ج
الإهداء	د	د
فهرس المحتويات	هـ	و
المقدمة		
أهمية الدراسة	٢	٢
أهداف الدراسة	٢	٣
أسباب اختيار الموضوع	٣	٣
منهج الدراسة	٣	٣
مشكلة الدراسة	٣	٤
الإطار الزماني والمكاني للدراسة	٤	٤
الدراسات السابقة	٤	٥
هيكل البحث	٥	٦
التمهيد		
الأوضاع الإدارية والاقتصادية والاجتماعية قبل العصر العباسي الأول في دمشق	٧	١٧
الفصل الأول		
النظم الإدارية في دمشق خلال العصر العباسي الأول	١٨	٤٤
المبحث الأول: إسهامات الخلفاء العباسيين في تنظيم ولاية دمشق خلال العصر العباسي الأول	١٩	٣٠
المبحث الثاني: إسهامات الخلفاء في التنظيم القضائي في دمشق	٣١	٣٦
المبحث الثالث: تنظيم الخلفاء العباسيين للدواوين في دمشق	٣٦	٤٤

الفصل الثاني		
النُّظُم الاقتصادية في دمشق خلال العصر العباسي الأول	٤٥	٧٩
المبحث الأول: التنظيم الزراعي	٤٦	٥٣
المبحث الثاني: تنظيم الأحوال التجارية	٥٣	٧٠
المبحث الثالث: تنظيم الصناعة الحرفية	٧٠	٧٤
المبحث الرابع: تنظيم الخلفاء العباسيين للموارد المالية	٧٤	٧٩
الفصل الثالث		
التنظيمات الاجتماعية في مدينة دمشق خلال العصر العباسي الأول	٨٠	١٠٢
المبحث الأول: النظم الاجتماعية في دمشق خلال العصر العباسي الأول	٨١	٩٢
المبحث الثاني: علاقة القبائل العربية في دمشق بالخلافة العباسية	٩٢	٩٦
المبحث الثالث: العادات والتقاليد في المجتمع العباسي في دمشق	٩٧	١٠٢
الخاتمة		
أولا: أهمّ النتائج	١٠٤	١٠٥
ثانيًا: أهمّ التوصيات	١٠٥	١٠٦
المصادر والمراجع	١٠٧	١٢٣
الملاحق	١٢٤	١٢٨

المقدمة

يُعدّ العصر العباسيّ الأوّل العصرَ الذهبيّ للخلافة العربية الإسلامية الذي اكتملت فيه حضارتها ونضَجت، وهو عصر يشمل حِقبةً زمنيةً تزيد على خمسة قرون، حيث يشمل أراضيَ واسعةً تمتدّ من بلاد النهر والسِّند شرقًا حتى ساحل المحيط الأطلسيّ غربًا، ومن جبال طوروس وأرمينية شمالا حتى المحيط الهندي جنوبًا.

امتاز الحكمُ بصفةٍ عامَّةٍ بتنظيماتٍ إدارية خلال العصر العباسيّ بفَترتَيهِ: الأولى: فترة حكم الخلفاء العباسيين السبعة الأوائل، وهي الفترة الزاهية في تاريخ الخلفاء العباسيّين، والأُخرى: فترة ما تبقّى من سنوات للدولة، وفيها أصبح الخليفة مجرَّدَ اسمٍ مسلوبًا من الإدارة. ومن الجدير ذكرُه أن التنظيم الإداريَّ العباسيَّ بصفة عامّةٍ لا يختلِف كثيرًا عن نظيره الأمويّ، باستثناء بعض التطوّرات التي أُدخلت على التنظيم الإداريّ العباسيّ الأول في دمشق، كما تميّز تاريخ الدولة العباسية بشيوع الاضطرابات والثورات طوال تاريخ الدولة، وإن كانت هذه الاضطرابات تحدُث في عصر خليفة قويّ أحيانًا، وفي عصور خلفاء ضعافٍ في أحيانٍ أخرى كثيرة، فقد بدأت الدولة العباسية بعصر التأسيس، ومن ثَمَّ بدأ الخلفاء بعدَّة تنظيمات تميّزت بها الدولة العباسية الأولى في دمشق.

كما تُعدّ دراسةُ التنظيم الإداريّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ في دمشق خلال العصر العباسي الأول على وجه الخصوص من أهمّ الدراسات الحضارية، ومما يدلّ على ذلك اختلاط العرب بغيرهم من الشعوب، فقد كان لهم دورٌ مهمّ فيما بعد في الحياة الاجتماعية وجعل العلاقات الاقتصادية منظّمة ذات قيمه تجارية؛ مما أدى إلى تبادل السّلع من دمشق إلى بغداد خلال العصر العباسي الأول، وكذلك التنظيمات في الجانب الإداري حيث استحدَث الخلفاء طرائقَ مختلفة في تنظيمها تُعدّ ذاتَ أهمية بالغة خلال فترة الدراسة.

وقد تركّز اهتمامُ الباحثة بمدينة دمشق كونَها العاصمة السابقة للخلافة، كما دعا انتقالها في العصر العباسي الأول الخلفاءَ إلى تنظيم جوانبها المختلفة، ومن أهمّها الإداريّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ خلال العصر العباسيّ الأول.

وبناء على ما تقدَّم ذكرُه فإن الدراسة ستسعى إلى معرفة أهمية دمشق في العصر العباسي الأول؛ كونها تمتاز بأهمية كبيرة طوال تاريخها، وزادت هذه الأهمية بالعصر الأمويّ، كونها تعدّ دمشق من أهم وأكبر المدن في العالم الإسلامي في العصور الوسطى، كما أنها مركزٌ للخلافة الأموية منذ أن نقل معاوية بن أبي سفيان ﵁ الخلافة إليها، فقد اهتم بها خلفاء بني أمية، وأصبحت حاضرةَ الإسلام الأولى إلى أواخر

العصر الأمويّ، وقد شهدت الكثير من الاضطرابات والفتن السياسية، ما أدّى إلى سقوط الدولة الأموية وتولّي العباسيين الحكمَ، ولم تعُد هي الحاضرةَ الأولى في العالم الإسلامي، إلا أنها بقيَت تحظى باهتمام كبير من قِبل كثير من الخلفاء العباسيين، وسوف تبيِّن الدراسة هذه الجوانب.

وهنا تكمن أهمّيّة دراسة هذا الموضوع وتوضيح تلك التنظيمات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في دمشق خلال العصر العباسي الأول، وإبراز أنه من أهم العصور الإسلامية المرموقة التي أرسى فيها الخلفاء العباسيون دعائمَ الدولة العباسية، فمنذ نشأتها في دمشق حدَثت عدة نُظُم مسَّت جوانب عدة من نواحي الحياة، فاستُحدِثت نظمٌ مختلِفة، وهو محور هذه الدراسة، وقد خصّصت الباحثة دراسة النظام الإداري والاقتصادي والاجتماعي بدمشق في الدولة العباسية خلال عصرها الذهبي الممتدّ من (١٣٢-٢٣٢هـ/ ٧٥٠-٨٤٧م)، وهذا لما أسهم بشكل كبير في تنظيم وتسيير شؤونها في جميع النواحي.

ومن جانب آخر تكمُن أهمية الدراسة أيضًا في توضيح الممارسات الاجتماعية وتكوينها القَبَلي وتنظيماتها، وتوضيح بعض الصور للمجتمع في دمشق خلال العصر العباسي الأول، وتعدّ دراسة النظام من الدراسات التاريخية المهمة.

وتعود أهمية هذه الدراسة كذلك إلى أن حِقبتها هي من أهمّ الحِقب التي مرت بها دمشق، وهي حقبة القرن الثاني الهجري، إذ مرت دمشق بأهم حدَث في تاريخها، فبعد أن كانت عاصمة الدولة الأموية أصبحت في العصر العباسي إحدَى أهمّ المدن في العالم الإسلامي، ولا تمتلك سلطةً سياسيةً.

وتبدو أهمية الموضوع أيضًا من خلال اهتمام أسلافنا ببعض أجزائه، وهذا واضح في كثرة ما ألّفوا من كتب متخصّصة تزخَر بها خزائن المكتبات في العالم، ولا شكَّ أنَّ الأوربيّين قدِ استفادوا منها بشكل كبير، ونحن أصحاب هذا التراث أولى منهم بدراسته وتقديمه للأجيال، لتُدركَ ما لدينا من رصيد حضاريّ ضخم في هذا المجال.

أهداف البحث:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف، من أبرزها:

١. التعرف على أحوال دمشق المختلِفة خلال العصر العباسي الأول، حيث إنها فترة ذات أهمية تمثَّلت بانتقال مركز الدولة الإسلامية من الشام إلى العراق منذ استيلاء العباسيين على دمشق.
٢. تقديم دراسة تاريخية حضارية حديثة تبيِّن التنظيمات في دمشق خلال العصر العباسيّ الأول، وأدواره المنتظمة على الصعيد الإداري والاقتصادي والاجتماعي، والتعرف على أهم التنظيمات في إدارة الدولة.

٣. التعرف على جهود الخلفاء العباسيين في تنظيم الدواوين، وإظهار دور الوظائف الإدارية في دمشق خلال العصر العباسي الأول، والتعرف على التنظيمات الإدارية القضائية في دمشق.
٤. محاولة استقصاء وتحليل ما كتب عن هذا الموضوع في دمشق خلال العصر العباسي الأول؛ بهدف الوصول إلى نتائج وحقائق علمية مرجوَّة من الدراسة، لإبراز منزلة دمشق حيث تعدّ من أهم وأقدم المدن في التاريخ.
٥. توضيح التنظيمات الاقتصادية المالية ودور بيت المال في تنظيمها.
٦. بيان تقسيم المجتمع الدمشقي في العصر العباسي الأول من خلال معرفة التنظيمات الاجتماعية.

أسباب اختيار الموضوع:

١. الحاجة للتعرف على أحوال دمشق المختلفة خلال العصر العباسي الأول.
٢. معرفة السياسة الإدارية للخلافة العباسية في دمشق.
٣. حاجة الباحثين لمعرفة جهود الخلفاء العباسيين في التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية.
٤. حاجة بعض الفترات من تاريخنا الإسلامي إلى دراسة وبحث، ومنها دراسة التنظيمات في دمشق.
٥. اهتمام المؤرخين والدراسات السابقة بدراسة العصر العباسي الأول، واستطاع بعضهم أن يصل إلى نتائج قيّمة في هذا المجال، ولكن بعض نواحي الحياة في الخلافة العباسية ما زالت تحتاج إلى دراسة حديثة واعية، ومنها ما يهدف إلى معرفة النظام الإداري والاقتصادي والاجتماعي.
٦. كون تاريخ مدينة دمشق خلال العصر العباسي الأول بحاجة إلى المزيد من الدراسات؛ للكشف عن مفاهيم وحقائق جديدة، والتعريف بها، وتقديمها للأمة لتربط ماضيها بحاضرها ومستقبلها.

منهج الدراسة:

يقوم منهج الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بُغيةَ الوصول إلى النتائج المرجوة.

مشكلة الدراسة:

برزت عدة إشكاليات كان يجب الانطلاق منها لأجل رفع الدراسة من مواطن الغموض إلى الحلول المقترحة، وتتجلّى إشكالية الدراسة في محاولة الإجابة على عدد من الأسئلة ومنها:

❖ ما التنظيمات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية التي نظّمها الخلفاء العباسيون في دمشق خلال العصر العباسي الأول؟

❖ ما أهمّ الطرائق الإدارية التي طبقها العباسيون بدمشق؟

❖ ما أساليبُ الرقابة الاقتصادية ودورُها في الإصلاح الزراعي لنظم ملكية الأرض؟

❖ ما القبائلُ التي هاجرت خلال انتقال الخلافة من دمشق إلى بغداد؟

❖ ما أثرُ انتقال الخلافة من دمشق إلى الكوفة – بغداد؟

الإطار الزماني: العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ/ ٧٥٠-٨٤٧م).

الإطار المكاني: دمشق.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات سابقة عديدة أفادت هذه الدراسةَ الحاليةَ بالكثير من المعلومات القيمة من خلال الدراسة في التنظيمات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في دمشق خلال العصر العباسي الأول، ومنها:

١- للباحث: يوسف الشواورة، خلافة الواثق بالله، رسالة دكتوراه، جامعة مؤته، ٢٠٠٨م، تحتوي الدراسة على خمسة فصول، وأفادت الدراسةَ الحاليةَ في عدة جوانب، ومنها معرفة الأوضاع الإدارية والاقتصادية في زمن خلافة المتوكل بالله.

٢- للباحثة: بن علي فاطمة الزهراء، نظام الخلافة في العصر العباسي، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، ٢٠١١-٢٠١٢م، استفادتِ الدراسةُ الحالية من الفصل الأول منها، وعلى وجه الخصوص في جانب الخلافة العباسية، وذلك في معرفة نظام الخلافة في العصر العباسي الأول بحيث يتدارس نشأة الخلافة العباسية، وإسقاط الدولة الأموية، وما بذله الخلفاء من جهود لتوطيد وتثبيت أركان الخلافة والحكم العباسي.

٣- للباحثة: مسلم فطوم وآخرين، نظام الدواوين في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير، الجزائر، ١٤٣٥هـ، أفادت موضوعَ الدراسةِ في معرفة التنظيم الإداري للدواوين، كالدواوين المالية والاقتصادية، وتنظيم مواردها وخزائنها، كذلك ديوان الخراج وديوان الزمام والدواوين الأمنية والقضائية، وكذلك تنظيم الدواوين الأخرى في العصر العباسي الأول.

٤- للباحث: خالد محمد أحمد بديوي، الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية والثقافية في عصر الخليفة المأمون، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس بمصر، ٢٠٠١م، أفادت موضوعَ الدراسةِ في التنظيمات الإدارية في خلافة المأمون بعد تولِّيه الخلافة، ودوره في أهم الأعمال الحكومية في عصره.

٥- للباحث: مروان عاطف ربيع الضلاعين، التجارة في بغداد في العصر العباسي الأول، رسالة دكتوراه، ٢٠٠٦م، تحتوي هذه الدراسةُ على أربعة فصول، وقد أفادت الدراسةَ الحاليةَ في معرفة تحديد العلاقة التجارية في مدينة بغداد مع بلاد الشام، وكذلك معرفة الطرق التجارية سواءً البرية أم البحرية.

أوجه الاختلاف والتشابه بين هذه الدراسة والدراسات السابقة:

تمثّلت أوجه الاختلاف بين هذه الدراسة والدراسات السابقة في تناولها جميع النُّظُم الإدارية في دمشق خلال العصر العباسي الأول والاقتصادية والاجتماعية، فهذه الدراسة تناولت عدة جوانب، بينما الدراسات السابقة هي في جانب واحد أو جزء يسير من موضوع الدراسة. وأيضًا اختلفت عنها في أن ذلك كان في عهد خليفة واحد، ولكن شملت الدراسة الحالية كل خلفاء العصر العباسي الأول، وتمثلت أوجه التشابه في تناول بعض الدراسات الحياة الإدارية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، وتشابهت معها في تناول بعضها موضوع الدواوين في العصر العباسي الأول، كذلك تتشابه من الناحية الزمنية، بينما تختلف من الناحية المكانية.

هيكل البحث:

- **المقدمة:**

تشتمل المقدّمة على تقديم تاريخي للعصر العباسي الأول، وبيان أهمية الدراسة، وأهداف البحث، وأسباب اختيار الموضوع، ومنهج الدراسة، ومشكلة الدراسة، وذِكر الإطار الزماني والمكاني، والدراسات السابقة، وهيكل البحث.

- **التمهيد**: ويشمل على:

الأوضاع الإدارية والاقتصادية والاجتماعية قبل العصر العباسي الأول في دمشق.

- **الفصل الأول: النظم الإدارية في دمشق خلال العصر العباسي الأول:**

المبحث الأول: إسهامات الخلفاء العباسيين في تنظيم ولاية دمشق خلال العصر العباسي الأول.

المبحث الثاني: إسهامات الخلفاء في التنظيم القضائي في دمشق.

المبحث الثالث: تنظيم الخلفاء العباسيين للدواوين في دمشق.

- **الفصل الثاني: النُّظُم الاقتصادية في دمشق خلال العصر العباسي الأول:**

المبحث الأول: التنظيم الزراعي.

المبحث الثاني: تنظيم الأحوال التجارية.

المبحث الثالث: تنظيم الصناعة الحرفية.

المبحث الرابع: تنظيم الخلفاء العباسيين للموارد المالية.

- **الفصل الثالث: التنظيمات الاجتماعية في مدينة دمشق خلال العصر العباسي الأول**:

المبحث الأول: النظم الاجتماعية في دمشق خلال العصر العباسي الأول.

المبحث الثاني: علاقة القبائل العربية في دمشق بالخلافة العباسية.

المبحث الثالث: العادات والتقاليد في المجتمع العباسي في دمشق.

- **الخاتمة**: وتشتمل على:

أولا: أهمّ النتائج.

ثانيًا: أهمّ التوصيات.

الملاحق.

التمهيد

الأوضاع الإدارية والاقتصادية والاجتماعية قبل العصر العباسي الأول في دمشق

التمهيد

تُعدّ دمشقُ من أعرق المدن وأقدمها، وقد كانت قاعدةَ الآرميين سنة ٩٤٠ ق. م، افتتحها العرب في أولى سنواتهم، والجدير بالذكر أنَّ دمشقَ قد تم فتحها على يد قائدين عظيمين من قادات المسلمين وهما خالد بن الوليد(١) وأبو عبيدة بن الجراح(٢) ﷺ، بعد حصارٍ دام لشهور، فقد تمكَّن خالد في لحظة انشغال سكّانها بأحد الاحتفالات باقتحام أسوارها من ناحية الباب الشرقيّ، وحينما علموا بما فعله خالد أسرعوا إلى الباب الجنوبي الذي كان عليه أبو عبيدة لمصالحته فصالحهم(٣). وعلى هذا صارت دمشق ضمنَ دولة المسلمين، وبعدها توالت الأحداثُ وصارت عاصمةَ الخلافة الأموية، وتوالى عليها العباسيون، فالطولونيون(٤)، والإخشيديون(٥)، والفاطميون(٦)، والأيوبيون(٧)، والمماليك(٨)، ودخلها

---

(١) **خالد بن الوليد** بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أبو سليمان، وأبو الوليد، القرشي المخزومي، أمه لبابة الصغرى، وقيل: الكبرى، والأول أصح، وهي بنت الحارث بن حزن الهلالية، لقِّب بسيف الله الفاتح الكبير، توفي سنة ٢١هـ/ ٦٤٢م. ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن: أسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ج، ٢، ص: ١٠٩.

(٢) **أبو عبيدة بن الجراح** هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث، أحد العشرة المبشرة بالجنة. وقد نُسب إلى جده عامر، وهو من بني عامر بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. توفي سنه ١٨هـ/ ٦٣٩م. ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم: المعارف، مصر، دار المعارف، ١١١٩م، ص: ٢٤٧. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص: ١٢٨.

(٣) السيد: عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، د. ت، ج٢، ص: ٢٠٧.

(٤) **الطولونيون**: هي دولة أسّست على يد أحمد بن طولون عام ٢٥٤-٢٩٢هـ صاحب الديار الشامية والمصرية والثغور. ابن خلكان: شمس الدين أحمد: وفيات الأعيان، بيروت، دار صادر، ١٩٠٠م، ط١، ص: ١٧٣.

(٥) **الإخشيديون**: ولاية إسلامية تأسَّست على يد محمد بن طفج بن جف، تولى الإخشيدية وتولى مدينة الرملة سنة ست عشرة وثلاثمائة من جهة المقتدر، وأقام بها إلى سنة ثمان عشرة وثلاثمائة، فوردت إليه كتب المقتدر بولايته دمشق. أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل: كتاب المختصر في أخبار البشر، مصر، المطبعة الحسينية المصرية، د. ت، ج٢: ص٨٢. لمزيد من المعلومات انظر: ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج١٤، ص: ٥٠. أبو الفداء: اليواقيت والضرب في تاريخ حلب، ص: ١٦. ابن خلدون: عبد الرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٣م، ط١، ج٤، ص: ٢٩٨. محمد علي كرد: خطط الشام، ج١، ص: ١٨٩.

(٦) **الفاطميون**: عرفت الدولة الفاطمية بمذهبها الإسماعيلي، قامت في بلاد المغرب ثم انتقلت إلى مصر. المقريزي: أحمد بن علي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، د. ت، ص: ٥٥. ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج١، ص: ٣٦٩.

(٧) **الأيوبيون**: تأسّست الدولة الأيوبية في مصر على يد الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، وامتدت لتشمل الشام والحجاز واليمن والنوبة. ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ص: ٥٦٧. الجبرتي: عبد الرحمن بن حسن: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، بيروت، دار الجيل، د. ت، ص: ٢٨.

(٨) **المماليك**: دولة إسلامية قامت بعد انتهاء دولة الأيوبيين في مصر إذ كانت تبسط سلطانها على الشام. أبو الفداء: البداية والنهاية: عماد الدين إسماعيل، القاهرة، مطبعة السعادة، د. ت، ص: ٦. المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج٣، ص: ٤٢٠.

تيمورلنك سنة (١٤٠٠م/ ٨٠٢هـ)، وأحرقها واحتلَّها بعد ذلك العثمانيّون سنة (١٥١٦م/ ٩٢٢هـ)، والأتراك المصريون سنة (١٨٣٢م/ ١٢٣٨هـ)، ومع ذلك كلِّه فإن دمشق تظلّ جنة الأرض لحسن عمارتها ونضارة بقعتها وكثرة مزروعاتها ومياهها، كما أنها تحتوي على أعظم المباني التي شهدها العرب والعالم أجمع، ومن هذه المباني مسجد بني أمية الكبير ومسجد دمشق(١)، وقالوا: إنه كان يتضمَّن سلسلةً تعَدّ بستمائة سلسلة من الذهب، وكان سقفه من الرصاص الخالص(٢).

بعد أن انتقلت الخلافة إلى مدينة دمشق أصبَحَت مركزًا للدولة الإسلامية المترامية الأطراف، والتي امتدَّت من خراسان في المشرق إلى جبال ألبرت في شمال إسبانيا في المغرب، وأصبحت دمشق عاصمة هذه الدولة، ومنها كانت تصدُر الأوامر والتعليمات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، فكان دورها مركزيًّا في حياة الدولة الجديدة(٣).

فكان النظام الإداريّ في صدر الإسلام وفي عهد بني أمية نظامًا أوليًّا، فلم يتّبع نظام توزيع الأعمال على الإدارات المختلفة، واختصاص كلّ إدارة بأعمال معيّنة، كما فعل العباسيون من بعد، وبقي النظام الإداري في الولايات الإسلامية كما كان في العهد الراشدي(٤)، وسار عليه الولاة دون تغيير يذكر(٥).

ومع انتقال مقرّ الخلافة إلى دمشق أصبحت العائدات المالية للولايات التي كانت قد فُتحت في عهد الخلفاء الراشدين أو التي فُتحت فيما بعد في العصر الأمويّ تعود بالنفع على الدولة الأموية، وبدأت الدولة تجني ثمرات هذا النفع مستعينة في تحقيق ذلك برجال من الفرس والروم في تسيير أمور الدولة المالية والإدارية، كما استعانت في هذه الأمور بأهل الذمة(٦) متمشّية مع ما قرره الشرع الإسلامي(٧). وكانت

---

(١) لمزيد من المعلومات حول فتح دمشق ومساجدها انظر كتب السير والمغازي والفتوح ومنها: كتاب ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، وكتاب ابن قتيبة: المعارف، ط٤، ص: ٥٦٥. ابن بطوطة: محمد بن عبد الله: تحفة الأنظار في غرائب وعجائب الأسفار، ص: ١١٣-١١٤-١١٧.

(٢) شامي: يحيى: موسوعة المدن العربية والإسلامية، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٩٣م، ط١، ص: ٥٧.

(٣) النعيمي: وئام عدنان وآخرون: الأحداث السياسية التي مرت بها مدينة دمشق، جامعة بغداد، مجلة التراث العلمي العربي، ٢٠١٥م، ص: ٦٢.

(٤) **العهد الراشدي** هي الفترة الممتدة من وفاة رسول الله ﷺ إلى وفاة آخر خليفة من الخلفاء الراشدين (١١-٤١هـ).

(٥) الصالح: صبحي إبراهيم: النظم الإسلامية، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤١٧هـ، ط١، ص: ٣٣٠-٣٣٤.

(٦) **أهل الذمة**: يقصد بهم غير المسلمين الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ بالمدينة وخيبر وأرض اليمن وغير ذلك. ابن القيم: محمد بن أبي بكر: كتاب أهل الذمة، الدمام، رمادي للنشر، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، ج٢، ص: ١٠٥٣.

(٧) عرفة: ثريا حافظ: الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي، رسالة دكتوراه، مكة المكرمة: جامعة أم القرى: ١٩٨٩م، ص: ١٥٩.

الدواوين في عهد عمر بن الخطاب ﷺ[١] خمسة، وفي عهد بني أمية أربعة، وهي: ديوان الخراج، وديوان الرسائل، وديوان المستغلات أو الإيرادات المتنوِّعة، وديوان الخاتم الذي أنشأه الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ[٢]، وكان أكبر دواوين الدولة، وكان بجانب هذه الدواوين الأربعة مصالح أخرى أقلّ أهميةً من هذه، منها ما هو خاصّ بصرف نفقات الشرطة، وما هو خاصّ بنفقات الجند، وكان ديوان الخراج (المالية) يكتب بالفارسية والرومية، ثم قام الخليفة عبد الملك بن مروان[٣] بتعريب الدواوين، وكان عبد الملك واضعَ النظام الإداري والسياسي للولايات الإسلامية في عهد الدولة الأموية، فقد صبغ الإدارة والمالية بالصبغة العربية، والتزم الخليفة الوليد بن عبد الملك[٤] تنظيمَ والده في الدواوين[٥]. ومن الأسباب التي جعلت عبدَ الملك يقوم بتعريب الدواوين الاختلافُ الواضح منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بين أحكام الجزية[٦] والخراج وعشور الأرض وعشور التجارة في العراق وفارس عنها في الشام ومصر، وقد حمل على إيجاد هذا الاختلاف اختلافُ لغات الدواوين فيما بينها في الأراضي المفتوحة، وكان من العسير على عمر بن الخطاب ﷺ أن ينقلَ هذه الدواوين إلى العربية ويستخرجَ منها نظامًا موحَّدًا يفرضه على الدولة العربية كلِّها[٧].

---

(١) **الخليفة عمر بن الخطّاب** بن نفيل بن عبد العزيز بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي. أبو حفص القرشي العدوي، أمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين، الفاروق ﷺ. استشهد في أواخر ذي الحجة سنة ٢٣هـ. الذهبي: شمس الدين محمد: سير أعلام النبلاء، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ، -جزء سير الخلفاء الراشدين- ص: ٧١.

(٢) **الخليفة معاوية بن أبي سفيان** بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشي الأموي، أضاف الزركلي بأنه مؤسس الدولة الأموية في الشام، وأحد دهاة العرب المتميّزين الكبار. كان فصيحًا حليمًا وقورًا. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص: ٢٠٩. الزركلي: خير الدين بن محمود: كتاب الأعلام، د. م، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م، ج٢، ص: ٣٠٠. ص: ٢٦١.

(٣) **الخليفة عبد الملك بن مروان** بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. ابن سعد: محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ج٧، ص: ٢٢١.

(٤) **الخليفة الوليد بن عبد الملك** كنيته أبو خالد، بويع له في مستهل رجب سنة ست وعشرين ومائة، وبقي الأمر له خمسة أشهر. الذهبي: شمس الدين: سير أعلام النبلاء، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ط٣، ج٤، ص: ٣٤٧. ابن العمراني: محمد بن علي: الإنباء في تاريخ الخلفاء، القاهرة، دار الآفاق العربية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص: ٥٣.

(٥) ثريا: الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي، ص: ٨٦-٦٩.

(٦) **الجزية**: ما يُؤْخَذ من الكُفَّار على إِقَامَتِهِم تحت أَيْدِي المسلمين. ابن المبرد: جمال الدين: الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي: جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع، ج٣، ص: ٧٧٧.

(٧) الحسن: حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، القاهرة، دار الجيل، ١٩٣٣م، ط١، ص: ٤٤٤-٤٥١.

أما من الجانب الاقتصاديّ فقد ازدهر ازدهارًا كبيرًا نتيجةً للفتوحات الإسلامية الكبيرة، التي أدَّت إلى توسيع رقعة الدولة، ووفَّرت لها مواردَ هائلة أغنتها، ووفرت لها كل حاجاتها[١].

كما أنَّ دمشق أصبحت المدينة التي يتلاءم وضعُها الاقتصادي والاجتماعي مع التطوّر الذي طرأ على الدولة العربية الإسلامية، فقد أصبحت بحكم موقعها الجغرافيّ المتوسط ومركزِها الاقتصادي النشيط مركزَ الثقَل في العالم الإسلامي. فقد احتلَّت دمشق مركزًا مهمًّا للقوافل الآتية من آسيا أو من أقاليم الفرات إلى بلاد العرب ومصر، وقد أدت هذه الحركة المستمِرة إلى انتشار السلع في أسواق دمشق[٢]. وتأثرت الحِرف والصناعات في العصر الأموي بالبيئة الاقتصادية المحيطة بها نظرا للضعف النسبي في خدمة المواصلات، وارتفاع تكلفتها، وضعف قدرتها على نقل الكميات المناسبة بالسرعة المطلوبة، أيضًا تركزت الحرف والصناعات بجوار مصادر المواد الأولية، ونظرا لسعة مساحة الدولة الأموية فقد تعددت الصناعات والحرف بها، تبعا لاختلاف الأرض والمناخ وثقافة الناس، كما تأثرت الصناعات والحرف بطبيعة الاقتصاد الأموي حيث كان النشاط الزراعي النشاط الرئيسي فيه، فظهرت وتطورت صناعات تعتمد في موادها الخامّ على القطاع الزراعي؛ مثل صناعة النسيج، وصناعة المعاصر والمطاحن، كما واكبت الصناعة حركة التطور العمراني بالدولة الأموية[٣]، ومن أهم الصناعات ما يصنع بدمشق من القماش والنسيج؛ مثل القماش الهروني على اختلاف أشكاله، والقماش الأبيض القطني، وصناعة الذهب المسبوك[٤] وصناعة الحرير، وصناعة السلاح، وصناعة النحاس[٥]. ومن الجوانب التي ساهمت في علو اقتصاد دمشق التعليم، حيث أُنشِئ العديد من المدارس مثل مدرسة الرشائية[٦]، نسبة إلى رشأ بن نظيف بن ما شاء الله الدمشقي، التي اتخذها دار قرآن، وأيضا المدرسة البيهقية[٧]، ومدرسة الأمير نصر

---

(١) السيد: دراسات في تاريخ العرب، ص: ٥٢٤.

(٢) التميمي: حمدي حسين علوان: الحياة الاقتصادية في الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، د. م، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، العدد ٢٠١٥، ٢٢م، ص: ٦٥.

(٣) الجفري: عصام هاشم: التطور الاقتصادي في العصر الأموي، رسالة ماجستير، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٩٩٢م، ص: ٢١٣.

(٤) **الذهب المسبوك**: بمعنى سبائك الذهب. حاجي خليفة: مصطفى عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لندن، مؤسسة الفرقان، ١٤٤٣هـ، ج٢، ص: ٣١٢.

(٥) الجفري: التطور الاقتصادي في العصر الأموي، ص: ٢١٣.

(٦) **مدرسة الرشائية**: الرشائية شمالي الخانقاه السميساطية الملاصقة للجامع الأموي من شماليه، أنشأها في حدود سنة أربع وأربعين وأربعمائة رشأ بن نظيف بن ما شاء الله الدمشقي المقري. علي: محمد كرد: خطط الشام، بيروت، مكتبة النوري، ١٩٢٥م، د. ت، ط١، ج٦، ص: ٦٨.

(٧) **مدرسة البيهقية**: كانت المدرسة البيهقية بنيسابور تعتبر مدرسة نظامية، من أقدم المدارس الإسلامية، بنيت قبل أن يولد نظام الملك. ابن السبكي: تاج الدين عبد الوهاب: طبقات الشافعية الكبرى، د. م، هجر الطباعة، ١٤١٣، ج٤، ص: ٣١٤.

سبكتكين[١] وغيرها[٢]. ومن الناحية الاجتماعية فقد كانت الأوضاع الاجتماعية في دمشق في هذه الفترة من أفضل الفترات، فقد كانت تتمتع بجميع المؤهلات التي تنمو وترتفع بشتى أوضاعها، وبالتالي أنعشت بعائداتها دمشق مركز الخلافة الإسلامية، جاء في ذكرها: «إن تمرّ بحائط إلَّا والماء يخرجُ منه في أنبوب[٣] إلى حوضٍ يُشْرَب منه ويَسْتَقِي الواردُ والصادر، وما رأيت بها مسجدًا ولا مدرسةً ولا خانقاهًا إلَّا والماءُ يجري في بركة في صحن هذا المكان ويسبح في منصتة»[٤].

وفي عهد الخليفة أبي عبد الملك بن مروان[٥] في بيعته بالخلافة أنّه لما قدم عبيد الله بن زياد[٦] من العراق فنزل الشام أصاب بني أمية بتدمر قد نفاهم ابن الزبير[٧] من المدينة ومكة ومن الحجاز كله، فنزلوا بتدمر، وأصابوا الضحاك بن قيس[٨] أميرا على الشام لعبد الله بن الزبير، فقدم ابن زياد حين قدم ومروان يريد أن يركب إلى ابن الزبير فيبايعه بالخلافة، فيأخذ منه الأمان لبني أمية، فقال له ابن زياد: أنشدك الله

---

(١) **مدرسة الأمير نصر سبكتكين** عرفت بالمدرسة السعدية بنيسابور، بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود لما كان واليا بنيسابور. ابن السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص: ٣١٤.

(٢) علي: خطط الشام، ج٦، ص: ٧٠.

(٣) **أنبوب**: جسم مجوف أسطواني من المعدن أو الزجاج أو الخشب أو نحوها، يستعمل وعاءً لأغراض مختلفة كنقل السوائل ونحوها. عمر: أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. م، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ، ص: ١٢٦.

(٤) الحموي: الحموي بن عبد الله: معجم البلدان: بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م، ج٢، ص: ٤٦٥. النصولي: أنيس زكريا: الدولة الأموية في الشام، بغداد، مؤسسة الهنداوي، ٢٠١٥م، ص: ١٧٠.

(٥) **الخليفة أبو عبد الملك بن مروان** خليفة بني أمية أبي حرب: مروان بن الحكم بن أبي العاص، وهو ابن عم عثمان، ويكنى أبا عبد الملك، وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية بن المحرث بن جمل بن شق بن رقبة بن مخدج بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة. البلاذري: أحمد بن يحيى: أنساب الأشراف، بيروت، دار الفكر، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ج٦، ص: ٢٥٥.

(٦) **عبيد الله بن زياد** بن أبيه، أمه مرجانة سبية من أصبهان. ابن عساكر: علي بن الحسن، تاريخ دمشق، تحقيق محب الدين أبو سعيد، د. م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ، ج٣٧، ص: ٤٣٦.

(٧) **ابن الزبير** عبد الله بن الزبير بن العوام، من جملة من بويع له بالخلافة في زمن بني أمية، أبو بكر، بويع له بالخلافة واستولى على الحرمين والعراق والجبال وخراسان ثلاث عشرة سنة، ولم يبق في يد عبد الملك سوى الشام ومصر والمغرب. ابن العمراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص: ٥٥.

(٨) **الضحاك بن قيس** بن خالد الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، القرشي الفهري يكنى أبا أنيس، ولد قبل وفاة النبي ﷺ بسبع سنين أو نحوها، وروى عن النبي ﷺ أحاديث، ولما توفي معاوية صلى الضحاك عليه، وضبط البلد حتى قدم يزيد بن معاوية. شهد فتح دمشق وسكنها، وكان على عسكر دمشق يوم صفين، فكان مع يزيد وابنه معاوية إلى أن ماتا، فبايع الضحاك بدمشق لعبد الله بن الزبير، وغلب مروان بن الحكم على بعض الشام، فقاتله الضحاك بمرج راهط عند دمشق، فقتل الضحاك بالمرج. البلاذري: أنساب الأشراف، ج١١، ص: ٤٦. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص: ٤٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص: ٢٤١.

ألا تفعل، ليس هذا برأي، أن تنطلق وأنت شيخ قريش إلى أبي خبيب تبايعه بالخلافة، ولكن ادع أهل تدمر فبايعهم، ثم سر بهم وبمن معك من بني أمية إلى الضحاك بن قيس حتى تخرجه من الشام[١]. وفي عهد عبد الملك بن مروان الذي كان حازمًا وذا مكر ودهاء "خلع عمرو بن سعيد بن العاص عبد الملك ابن مروان، وأخرج عبد الرحمن بن أم الحكم من دمشق، وكان خليفةً عليها، فسار إليه عبد الملك بن مروان، فاصطلحا جميعًا على أن يكون عمرو الخليفةَ بعد عبد الملك، وعلى أن لعمرو مع كل عامل عاملًا، وفتح المدينة ودخل عبد الملك ثم غدر به"[٢]. وعن مروان بن محمد فقد ذكر أنّه قام بنبش قبر يزيد بن الوليد انتقاما منه لقتله الوليد بن يزيد، قال خليفة بن خياط: ثم أتى دمشق فأمر بيزيد بن الوليد فنبش وصلب، وأتته بيعة أهل الشام. ولا شك أن هذا التصرف من قبل مروان عمل شائن وخطير، فما كان ينبغي له فعل هذا، فقد انتهك حرمة الميت في الدار الآخرة، وهؤلاء الأموات قد أفضوا إلى ما قدموا[٣]، "ودخل مروان بن محمد دمشق، فأخذ إبراهيم بن الوليد وولي عهده عبد العزيز بن الحجاج فقتلهما"[٤]، "قتل إبراهيم يوم وقعة الزاب[٥]"[٦]، وكانت وقعة الزاب تلك بين عبد الله بن علي العباسي[٧] قائد جيش السفاح، ومروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية سنة ١٣٢هـ.

وأكدت المصادر التاريخية وغيرها مما سبق خبرَ مقتله في تلك الواقعة، وقتل فيمن قتل في وقعة السفاح[٨]. وقد كانت خلافة الأمويين –والتي استمرت قرابة قرن من الزمان– من أهم حقب التاريخ

---

(١) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، د. م، بيت الأفكار الدولية، د. ت، ج٥، ص ٥٤٠، ٥٤١.

(٢) عثمان: عبد الستار عبد الوهاب: صفات خلفاء بني أمية الخلقية والخلقية، جامعة السلطان عبد الحليم شاه، ماليزيا، ٢٠٢٢م، ص: ٥٩٧.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد: تحقيق: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ج٥، ص: ٥٩٧.

(٤) الدينوري: أحمد بن داود: الأخبار الطوال، مصر، وزارة الثقافة والإرشاد، ١٩٦٠م، ص: ٣٥١.

(٥) **وقعة الزاب** سنة (١٣٢هـ) بين العباسيين بقيادة عبد الله بن علي عم الخليفة العباسي الأول أبي العباس السفاح والأمويين بقيادة مروان بن محمد، وهزم الأخير، وبه انتهى حلم الأمويين في الاستيلاء على المشرق. أما الزاب اليوم فهو يطلق على قطعة صغيرة في سفوح الجبال الفاصلة بين سهول الحضنة والصحراء. الطبري: محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، مصر، دار المعارف، د. ت، ج٧، ص: ٤٣٢–٤٣٥. انظر: مجموعة من المؤلفين: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي: د. م، المكتبة الشاملة، د. ت، ج، ١١، ص: ٣٠٤. وانظر: الإبراهيمي: محمد بشير: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، د. م، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧م، ط١، ج٤، ص: ٣٥٣.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥، ص: ٣٧٧.

(٧) **الخليفة عبد الله بن علي العباسي**: أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي ابن حبر الأمة عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي، الهاشمي العباسي، أول الخلفاء من بني العباس. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٦، ص: ٧٧.

(٨) ابن كثير: إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠١٥م، ج١٣، ط٨، ص: ٢٥٦.

الإسلامي، والتي جرت فيها العديد من الحوادث والتطورات الهامة، حيث بلغت الدولة الإسلامية ذروة مجدها وعظمتها، ووضعت فيها النظم الإسلامية المختلفة، وتمت عملية التعريب، وتبلورت الاتجاهات الفكرية المختلفة، وتفتحت الروح الإسلامية وسط ثراء مادي غزير[(١)]، وسميت الدولة الأموية نسبة إلى مؤسسها معاوية بن أبي سفيان[(٢)] الذي ينتسب إلى الفرع الأموي، وكذلك لانتساب الخلفاء الذين جاؤوا بعده إلى أمية، سواء كانوا من الفرع السفياني الذي ينتسب إليه الخلفاء الأولون وهم معاوية وابنه يزيد[(٣)] ومعاوية الثاني[(٤)] بن يزيد، أو الفرع المرواني الذي بدأه الخليفة مروان بن الحكم[(٥)] وانتهى بمروان بن محمد، فكل الخلفاء الذين تولوا الخلافة بعد مروان يرجعون في نسبهم إليه[(٦)]، وقد ولّي معاوية بن أبي سفيان ﷺ دمشق بتكليف من الخليفة عمر بن الخطّاب ﷺ، وبقي واليًا عليها حتّى آلت إليه الخلافة سنة (٤١هـ/ ٦٦١م)، فاتّخذها عاصمةً لدولته، وحاضرة الدّولة الأمويّة[(٧)]، ولكن يعتبر الوليد بن عبد الملك[(٨)] عند أهل الشام من أفضل الخلفاء الأمويين، ويعود ذلك لبعض أعماله التي تركت أثرًا، أهمها بناؤه المساجد (مسجد دمشق)[(٩)]، فقد اتبع الوليد سياسة أبيه في تعيين إمارة الأجناد من المقربين لهم.

وأهم ولاته على دمشق عبد العزيز بن الوليد[(١٠)]، وذلك لأن الوليد قد هيأ ابنه عبد العزيز لمنصب الخليفة[(١١)]، لكن سليمان رفض التنحّي عن ولاية العهد، وشنَّع على أخيه الوليد، علمًا أن كثيرًا من

---

(١) ذوقان: وجيه فهمي: ولاية العهد في العصر الأموي، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٥م، ص: ١.

(٢) **معاوية بن أبي سفيان:** واسم أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، وكنيته أبو عبد الرحمن. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص: ١٢٤.

(٣) **يزيد بن معاوية:** أخو الخليفة معاوية خالد ابن خليفة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الإمام البارع أبو هاشم القرشي الأموي الدمشقي. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥، ٢٢٤.

(٤) **معاوية الثاني:** بن معاوية بن أبي سفيان، أبو ليلى الخليفة. بويع بعهد من أبيه، وأمه هي بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة، فولي أربعين يوما، وصلى عليه مروان، ودفن إلى جنب قبر أبيه. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص: ٢٠١.

(٥) **مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي** ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، يكنى أبا القاسم وأبا الحكم. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص: ٧٦.

(٦) الراوي: ثابت إسماعيل: تاريخ الدولة العربية، بغداد، دار الإرشاد، ١٩٧٠م، ط١، ص: ١٢٦.

(٧) ابن كثير: البداية والنهاية، ص: ١٧

(٨) **الوليد بن عبد الملك:** بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو الوليد، بويع له بالخلافة عند موت أبيه وهو بالشام (٥٠-٩٦هـ). ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٣٦، ص: ١١٦.

(٩) الطبري: محمد بن جرير: الخلافة في عهد الأمويين، صحيح تاريخ الطبري، دمشق، دار ابن كثير، ٢٠٠٧م، ط١، ج٦، ص: ٤٩.

(١٠) **عبد العزيز ابن الخليفة الوليد** بن عبد الملك أبو الأصبغ الأموي، وهو ابن أخت عمر بن عبد العزيز، ولي نيابة دمشق. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص: ٤٦٧.

(١١) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج٣، ص: ٧١.

الناس لم يوافقوا الوليد على توليةَ ابنه، مما جعله يفشل في عزل أخيه سليمان(١)(٢)، ومن بعد ذلك تولى الحكم الخليفة عمر بن عبد العزيز(٣) الذي يختلف عمن سبقه من الخلفاء الأمويين الذين كانوا يعيشون في بذَخ، ويسيرون في الحكم سيرة المكر والدهاء، ومن أعماله أنه أخذ أفراد أسرته من إقطاعاتهم(٤)، ولم يكن الاستقرار صفة لعمر بن عبد العزيز، فقد ترك دمشق أكثر من مرة(٥)، ولم يكن عمر بن عبد العزيز يرغب في أن يولي عهده يزيد؛ لما عرف عنه من بذخه ومَيله إلى اللهو، حتى إن الخوارج كانت تحرِّضه على عزله(٦)، كما جعل المضرية تستأثر بعطف الخلافة الأموية في عهده على حساب أهل الشام(٧).

وبهذا فقد ازدهرت دمشق في العصر الأموي ازدهارًا كبيرًا، وكانت المكان الأفضل في العالم بأسره، فقد كانت مركز الخلافة الأموية، وخاصةً في عهد عبد الملك بن مروان وأحفاده، كما كانت هذه المدينة مزدهرةً من كلّ النواحي؛ الإدارية، ةالاقتصادية، والاجتماعية، وغيرها العديد. ورغم كل هذا الازدهار والتقدم ورفاهية العيش خلال العصر الأموي فلِلحَقّ أن الحكم الأموي لم يكن حكمًا إسلاميًّا خالصًا يسوِّى فيه بين الناس كافة، ويُكافَأ فيه من أحسن، ويعاقَب فيه من أخطأ، عربيًّا كان أو مولى، فكانت تسود في العرب النزعة الجاهلية لا النزعة الإسلاميّة، فكان الحق والباطل يختلفان(٨) باختلاف من صدر عنه العمل، فالعمل حقّ إذا صدر عن عربي قبيلةٍ مَهما كان نوع هذا العمل، على عكس الأمر إذا صدر هذا العمل عن مولى أو عربي من قبيلة أخرى(٩).

وترى الباحثة أنّ مِن سادة التابعين من كانوا موالي، وأنّ الناس منحوهم من الإجلال والتعظيم ما منحوا العرب، إذ لا تفاضل بينهم إلا بالدين؛ فقد جاء الإسلام بالقيم الأساسية للعداله والمساواة والحرية واستيفاء الحقوق، ولقد كان الرسول ﷺ ملتزمًا بتعليم المسلمين مبادئ الإسلام الشاملة، وتعزيز التعايش

---

(١) **سليمان بن عبد الملك** بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، أبو أيوب، الخليفة الأموي السابع. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٧، ص: ١٥٤.

(٢) ابن الأثير: عز الدين: الكامل في التاريخ، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م، ط١، ج٤، ص١٣٨.

(٣) **عمر بن عبد العزيز** بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب (٦١ – ٢٠ رجب ١٠١هـ). الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥، ص: ٤٤٥.

(٤) ابن سعد: محمد: الطبقات الكبرى، القاهرة، مكتبة الخانجي، ٢٠٠١م، ط١، ج٤، ص: ٢٩٠.

(٥) اليعقوبي: أحمد: تاريخ اليعقوبي، النجف، مطبعة الغري، ١٩٩٣م، ط١، ج٢، ص: ٣٠٦.

(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص: ١٥٢.

(٧) عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية – عصر الخلفاء الأمويين، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٨م، ط٢، ج٢، ص: ٢٧٣.

(٨) أمين: أحمد: ضحى الإسلام، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م، ص: ٣٧.

(٩) أمين: ضحى الإسلام، ص: ٣٧.

المتناغم بين المسلمين والأفراد على اختلاف أعراقهم ومذاهبهم، والقضاء على التمييز على أساس الجنس أو اللون أو الدين، قال ﷺ: (الراحمون يرحمهم الله)[١]، فالعدل والرحمة بين الناس من أعظم المبادئ التي أعلى الإسلام من شأنها، فلا فضل لأحد على آخر إلا بالتقوى، فالعلماء يشرُفون بعلمهم سواء كانوا موالي أو عربًا، كما أنّ بعض كتب التاريخ تدل على احتقار الموالي حينًا واحترامهم آخر.

فقد عاشت دمشق أصعب الفترات من جميع النواحي الإدارية والاقتصادية والاجتماعية خصوصا بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان ﷺ وتولي ابنه يزيد[٢].

ومن مظاهر الحياة الاجتماعية في دمشق خلال العصر الأموي أنه مجتمع متوقّد ذو نهضة في بواكيرها تنبئ بازدهار حضارة عظيمة، وتخلّل تلك الحياة الجادّة بعض مظاهر اللهو والتسلية للترويح عن النفوس[٣]. ومنها مجالس الخلفاء وآدابها، إذ كان للخلفاء مجالس يعقدونها للمسامرة مع أقربائهم وأصدقائهم، وكان لتلك المجالس آداب وطقوس خاصة في كيفية تعامل الناس مع الخليفة في حضرته، ومن أشهر من فعل ذلك وتبذّل حتى أزرى بمنصب الخلافة في نظر الناس يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد[٤]. ومن يتأمل حياة المجتمع الإسلامي في العصر الأموي يرى أنه يمكن تقسيمه إلى خمس طبقات:

- الطبقة الأولى: الخلفاء وأبناؤهم وأفراد أسرتهم، وهؤلاء بحكم وضعهم أصبحوا في منزلة لا يدانيهم فيها أحد.
- الطبقة الثانية: كبار الولاة والقادة وغيرهم من كتاب الدواوين.
- الطبقة الثالثة: العلماء وإن اختلفت أجناسهم، وهذه الطبقة وإن كان ترتيبها المرتبة الثالثة من الناحية الاجتماعية، فإن كثيرين منها كانوا يحظَون بحب الناس وتقديرهم ربما بأكثر مما يحظى به الخلفاء والأمراء.
- الطبقة الرابعة: كبار الأثرياء والتجار ورؤساء العشائر.
- الطبقة الخامسة: عامة الناس من الزراع والحرفيين[٥]. فالموالي يشتغلون بالمهن اليدوية على الأغلب كالزراعة والصناعة، ولم يستخدموا الموالي إلا في الأعمال الكتابية وفي الجباية، وهم

---

(١) أبو داود: سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، بيروت، المكتبة العصرية، د. ت، ج٤، باب في الرحمة، ص: ٢٨٥. رقم الحديث: ٤٩٤١.

(٢) طهبوب: صلاح: موسوعة التاريخ الإسلامي العصر الأموي، الأردن، دار اسامه، ٢٠٠٩م، ص: ٣٤.

(٣) مجموعة مؤلفين: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، ج٢، ص: ٥١-٥٥.

(٤) **عبد الملك بن مروان** بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الأموي، كان مع أبيه حين خرج من حمص إلى دمشق للطلب بدم الوليد بن يزيد، فقتل مع أبيه مروان. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٣٧، ص: ١٦٧.

(٥) مجموعة مؤلفين: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، ج٢،ص: ٤٥.

يحتقرونها وأبعدهم عن الوظائف النبيلة، وكذلك العرب يحترفون السياسة والحرب(١).

ومن مظاهر الحياة الاجتماعية أيضًا في دمشق خلال العصر الأموي طرُق الحياة المعيشية وتطوُّر الحياة من حيث الملبس والمأكل والشرب والأزياء، فلبس الناس الحرير والديباج والإستبرق والخرز ومختلف أنواع الأقمشة كالتي عملت في زمن الخليفة هشام بن عبد الملك(٢)؛ إذ شاعت بين الناس في منسوج سداها، وإليه ينسب الخز الأخضر الهاشمي، وكان بنو مروان كلهم يكسون الناس الخز إلا الأصفر والأحمر، ويكسونهم ما سوى ذلك من الألوان، ويدَّخرون الأحمر والأصفر لأنفسهم(٣)، وفيما يختص بملبس للرجال فقد كانوا يلبسون ملابس موشاة، وكانت تختلف من فئة إلى أخرى، فكانت ملابس الفقهاء تختلف عن ملابس الكُتاب، وهؤلاء تختلف ملابسهم عن ملابس الجند، وكذا شيوخ القبائل من خلال دراسة مستوى المعيشة التي كان يحياها الناس على اختلاف مستوياتهم، واحتفالاتهم في مناسباتهم الاجتماعية، كالأعياد وحفلات الزواج والختان(٤).

ولهذا فإنّ كل عصر له أسباب قوة وأسباب ضعف، وفيما يلي في الفصول القادمة سوف نتطرق للحديث عن دمشق في العصر العباسي الأول، والأحداث التي وقعت بمختلف مجالاتها من إسهامات الخلفاء العباسيين في تنظيم أمور دمشق في مختلف المجالات ومختلف النظم الإدارية والاقتصادية والاجتماعية. وقد ذكر كتاب (تاريخ الرسل والملوك) كيفية نقل الخلافة إلى أبي العباس، حيث ذكر أن آخر خلفاء بني أمية مروان الأموي قد أوصى له بالطاعة وجعله الخليفة من بعده، وقد أبى أبو العباس وأهل بيته واحتج القوم على ذلك، فدخلوا عليه ومن معه فقالوا: أيكم عبد الله بن محمد؟ فقالوا: هذا، فسلموا عليه بالخلافة، وحينما خطب في الناس أول خطبة له بعد تولية الخلافة قال بعد الحمد لله والثناء عليه وعلى رسوله: إن غيرنا أحقُّ بالرياسة والسياسة والخلافة منا، فشاهت وجوههم. وفي ختام خطبته قال: يا أهل الكوفة، أنتم محلّ محبتنا ومنزل مودّتنا، أنتم الذين أدركتم زماننا وأتاكم الله بدولتنا، فأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا، فاستعدوا، فأنا السفاح المبيح والثائر الكبير(٥).

---

(١) الدوري: عبد العزيز: العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٨م، ص: ١٠.

(٢) **هشام بن عبد الملك بن مروان**، ويكنى أبا الوليد، عاشر الخلفاء الأمويين في عهده، بلغت الدولة أقصى اتساعها. البلاذري: جمل من أنساب الأشراف، ج٨، ص: ٣٦٧.

(٣) القاضي الرشيد ابن الزبير: شهاب الدين أحمد: كتاب الذخائر، الكويت، مكتبة الدكتور سروان العطية، ١٩٥٩م، ص: ٢١١.

(٤) مجموعة مؤلفين: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، ج٢، ص: ٥٢.

(٥) الطبري: تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص: ١٤٧٣.

الفصل الأول

النُّظُم الإدارية في دمشق خلال العصر العباسي الأول

المبحث الأول: إسهامات الخلفاء العباسيين في تنظيم ولاية دمشق خلال العصر العباسي الأول.

المبحث الثاني: إسهامات الخلفاء في التنظيم القضائي في دمشق.

المبحث الثالث: تنظيم الخلفاء العباسيين للدواوين في دمشق.

الفصل الأول
النظم الإدارية في دمشق خلال العصر العباسي الأول

ساهمت الظروف الإدارية والاقتصادية والاجتماعية السيئة في أواخر العهد الأموي في إيجاد بيئة خصبة لكل العناصر المخالفة للدولة الأموية، فكلما اعتراها الضعف والانحلال يزيد خصوم الأمويين شدة وقوة[١]، واستغلّت هذه العناصر الظروف الصعبة التي تمر بها الدولة لإنهاء الحكم الأموي وقيام الدولة العباسية التي سمّيت بهذا الاسم نسبة إلى العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، فلم يكن قيام دولة الخلافة العباسية مجردَ بيعة خليفة دون آخر أو انتقال الحكم من الأموين إلى العباسيين في حكم المسلمين، بل يعتبر هذا الحدث أكثر من مجرد تغيير في الأسر الحاكمة، لقد كانت الثورة العباسية[٢] وما نتج عنها من تغيير جذري في المجتمع الإسلامي نقطةَ تحكّم هامّة وفاصلة في هذا المجتمع، لازمته طوال العصر العباسي الأول. وفيما يلي سوف نتحدّث عن كل خليفة بشيء من التفصيل من حيث نسبه وأهم أعماله في عصره، ويبلغ عدد الخلفاء في العصر العباسي الأول تسعةَ خلفاء[٣]. ونبدأ هذا الفصل بأول مباحثه:

المبحث الأول: إسهامات الخلفاء العباسيين في تنظيم ولاية دمشق خلال العصر العباسي الأول:

لقد أسهم الخلفاء العباسيون في تنظيم ولاية دمشق خلال العصر العباسي الأول، ونذكر منهم الخليفةَ الأول وهو أبو العباس السفاح[٤] (١٣٢-١٣٦هـ/ ٧٥٠-٧٥٤م). ففي عهده أُحدِث تحول إداريّ جديد تمثَّل في تعديل التقسيم الإداري المتَّبع في الدولة الأموية، فقد قسم الدولة إلى اثنتَي عشرة

(١) علي: خطط الشام، ص: ١٤٤.

(٢) ترى الباحثة بأن الثورة العباسية ذات حدث عظيم، إذ ساهمت في توطيد الحكم في دمشق، إذ تعد من الإجراءات السياسية التي مكنت الخلفاء العباسيين في دمشق لتوطيد الحكم في بلاد الشام على وجه الخصوص والمجتمع الإسلامي عامةً.

(٣) انظر الملحق رقم (١).

(٤) **أبو العباس** هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، بويع في الكوفة سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م استمر في الحكم أربع سنوات، استطاع من خلالها توطيد أركان الخلافة العباسية والقضاء على كل مقاومة ظهرت في عهده. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٣٢، ص: ٢٨٤.

ولاية، ومنها ولاية الشام، إذ تضمّ دمشق(١) والجولان(٢) والأردنّ(٣) وقِنَّسرين(٤) وحِمص(٥) وبعلبكّ(٦) حلَب(٧)، وقد اتّسم عهدُه بكثرة الثوْرات التي قامتْ عليْه، فخرج الكثير من الطوائف والأهالي عليه، واجتمعت كل فئة من الثائرين على السفاح حول شخصٍ ما، فكان ما حدث في عام ١٣٢هـ/ ٧٤٩م أنّ أَهْلِ قِنّسْرينِ ثاروا على السّفاح -الذي كان حينئذ بالحيرة(٨)- واجتمعوا على أمير قِنّسرين مجزأة بن الكوثر(٩)، ولبسوا البياض، فذهب عبد الله بن علي(١٠) إليهم، ولكن في نفس الوقت ثار أهل دمشق على أبي العباس السفّاح بقيادة رجل يُسمّى عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة(١١)، وقتلوا

---

(١) والجدير بالذكر حول تقسيم بلاد الشام أنه لم تبق على ذلك التقسيم طوال العصر العباسي، ولا سيما ولاية حمص، فقد كانت تعتبر ولاية ثابتة لبلاد الشام على مر العصر العباسي. أبو الفداء: إسماعيل علي: تقويم البلدان، باريس، د. ن، د. ت، ط١٢، ص: ٢٣٦.

(٢) **الجولان**: قرية وقيل: جبل من نواحي دمشق، ثم من عمل حوران. الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص: ١٨٨.

(٣) **الأردن**: اسم البلد، فتح شرحبيل بن حسنة الأردن عنوة. أبو الفرج: قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م، ص: ٢٩٠. الحموي: معجم البلدان، ص: ١٤٧.

(٤) **قِنَّسرين** وقنّسرون: كورة بالشام، وهي أحد أجنادها. ابن سيده: المحكم والمحيط الاعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م، ج٦، ط١، ص: ٦١٣.

(٥) **حمص**: بلد مشهور قديم كبير مسوّر، وفي طرفه القبلي قلعة حصينة على تل عال كبيرة، وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق. الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص: ٣٠٢.

(٦) **بعلبك**: بالفتح ثم السكون، وفتح اللام، والباء الموحدة، والكاف مشددة: مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرّخام لا نظير لها في الدنيا، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وقيل: اثنا عشر فرسخا من جهة الساحل. الحموي: معجم البلدان، ص: ٤٥٣.

(٧) **حلب**: ذكر الحموي أن ولاية حلب تأخذ القسم الأعظم من سوريا، مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء صحيحة الأديم والماء، وهي قصبة جند قنّسرين. الحموي: معجم البلدان، ص: ٢٨٢. هي من أمهات مدن بر الشام وإحدى المدن الأصلية في أواسط آسيا. الغزي: كامل بن حسين: كتاب نهر الذهب في تاريخ حلب، حلب، دار القلم، ١٤١٩هـ، ص: ٣٠.

(٨) **الحيرة**: مدينة كانت بالكوفة وقرية بفارس ومنزل بسجستان. المقدسي: محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت، دار صادر، د. ت، ص ٢٥.

(٩) **مجزأة بن الكوثر** هو مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث، أبو الورد الكلابي من سادات قيس، وجهه مروان بن محمد بن مروان إلى دمشق لمحاربة من خلعه من أهلها، وقدم مع مروان دمشق، كان من أصحاب مروان وفرسانه وقواده. ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي: مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ١٩٨٤م، ج٢٤، ط١، ص: ٩١.

(١٠) **عبد الله بن علي** ابن البحر بن عباس، تؤكد لنا المصادر التاريخية بأنه عم الخليفة أبي جعفر المنصور، زبأنه أول والٍ للدولة العباسية على الشام كله وعلى دمشق خاصة. ابن قتيبة: المعارف، ص: ١٦٣. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص: ٤٥٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٦، ص: ١٦١.

(١١) **عثمان بن سراقة** بن عبد الأعلى بن سراقة، هو الذي خلع بالشأم زمن عبد الله بن علي، وقتل العكي وابنه؛ وعثمان هذا من بطن يقال لهم: الجنابد، من بني سعيد الغطريف بن بكر بن يشكر بن مبشر. ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد: جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، مصر، دار المعارف، ١٩٦٢م، ص: ٣٨٦.

أمير دمشق، ولكن عبد الله بن عليّ استطاع القضاء على ثورتهم بعد حين، وفي نفس وقت ثورة أهل قنَّسرين تراسل أهل حمص معهم، واجتمعوا على أبي محمد السفياني[١]، وبايعوه بالخلافة –وقد قتل في عهد أبي جعفر المنصور[٢]–. وبعد أن استقرّ الأمر لأبي العباس السفاح أمّن أهل قنَّسرين، ولبسوا السواد مرة أخرى. وفي نفس العام خلعه أهل الجزيرة بعد أن علموا بما فعل أهلها، فأرسل إليهم أبا جعفر المنصور، فحاصرهم وقاتلهم حتى عدلوا عن رأيهم[٣].

ويُذكر أنّه عندما اجتاز بدمشق –وكان بها أهله وثقله– استخلف عليها أبا غانم عبد الحميد بن ربعي الكناني[٤] في أربعة آلاف، فلما جاوز البلد وانتهى إلى حمص نهض أهل دمشق مع رجل يقال له: عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة، فخلعوا أبا العباس السفاح، وبيضوا وقتلوا الأمير أبا غانم، وقتلوا جماعة من أصحابه، وانتهبوا ثقل عبد الله بن علي وحواصله، ولم يتعرَّضوا لأهله. وتفاقم الأمر على عبد الله، وذلك أن أهل قنَّسرين تراسلوا مع أهل حمص، وتزمّروا واجتمعوا على أبي محمد السفياني، فبايعوه بالخلافة، وقام معه نحو من أربعين ألفا، فقصدهم عبد الله بن علي فالتقَوا بمرج الأخرم[٥]، فاقتتلوا مع مقدمة السفياني وعليها أبو الورد، فاقتتلوا قتالا شديدًا، وهزموا عبد الصمد، وقُتل من الفريقين ألوف، فتقدَّم إليهم عبد الله بن علي ومعه حميد بن قحطبة[٦]، فاقتتلوا قتالا شديدًا جدًّا، وجعل أصحاب عبد الله يفرّون وهو ثابت وهو حميد. وما زال حتى هزم أصحاب أبي الورد، وثبت أبو الورد في خمسمائة فارس من أهل بيته وقومه، فقتلوا جميعًا، وهرب أبو محمد السفياني ومن معه حتى لحقوا بتدمر، وأمن عبد الله أهل قنسرين، وسوّدوا وبايعوه ورجعوا إلى الطاعة، ثم كرّ عبد الله راجعًا إلى دمشق وقد بلغه ما صنعوا، فلما دنا منها تفرَّقوا عنها، ولم يكن منهم قتال، فأمَّنهم ودخلوا في الطاعة. وقد نقل في عهده

---

(١) **أبو محمد السفياني** هو الأمير أبو الحسن علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان القرشي، الأموي، الدمشقي، ويعرف: بأبي العميطر، كان سيد قومه وشيخهم في زمانه، بويع بالخلافة بدمشق زمن الأمين، وغلب على دمشق في أول سنة ستٍ وتسعين، وكان من أبناء الثمانين، وداره غربي الرحبة كانت، حكى عن المهدي وابن علاثة، وروى عنه أبو مسهر. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٩، ص: ٢٨٤.

(٢) **جعفر المنصور** هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، وكنيته أبو جعفر، ولد سنة ٩٥ه في قرية الحميمة في الشام. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص: ٨٣.

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص: ٤٣٢–٤٣٤. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص: ١٤٨٨.

(٤) **أبو غانم** هو عبد الحميد بن ربعي بن خلف بن معدان القائد لأبي جعفر. ابن الكلبي: هشام بن محمد بن السائب، نسب معد واليمن الكبير، د. م، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ١٤٠٨ه – ١٩٨٨م، ط١، ج١، ص: ٢٦٣.

(٥) **مرج** بالفتح والسكون والجيم وهي الأرض الواسعة فيها نبت كثير، وهي في مواضع. القطيعي: عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع، بيروت، دار الجيل، ١٤١٢ه، ج٣، ط١، ص: ١.

(٦) **هو حميد بن قحطبة بن شبيب** الطائي: أمير من القادة الشجعان، ولي إمرة مصر سنة ١٤٣ه ثم إمرة الجزيرة. ووجه لغزو أرمينية سنة ١٤٨ه، ولغزو كابل سنة ١٥٢ه، ثم جعل أميرا على خراسان، فأقام إلى أن مات فيها. الزركلي: كتاب الأعلام، ص: ٢٨٣.

العاصمة من دمشق(١). ويذكر أنّهُ في عام ١٣٣هـ/ ٧٥٠م خرج رجلٌ في بخارى يُدعى شريك بن شيخ المهري(٢)، وقال: ما على هذا بايعنا آل مُحمد؛ على سفْكِ الدِّماء، وقتلِ الأنفُس، فأرسل إليه أبو مسلم الخراساني بقيادة زياد بن صالح الخزاعي فقتلَهُ(٣). وكان خروج شريك متزامنًا مع خروج السفياني في دمشق؛ والواقع أن سياسة الخليفة أبي العباس السفاح التي اتبعها من شدّ وجذب وشدة ولين والترغيب والترهيب كانت ضرورية في أول قيام الدولة العباسية، فقيام الدولة دائمًا يقترن بمثل ذلك، وهي سياسة مجدية لأنها تمكّن لنفوذ الدولة الجديدة، وأول ما قام به الخليفة أبو العباس السفاح أنه عزم على اتخاذ قصر لخلافته يكون قريبًا من شيعته وأنصاره، بدلًا من دمشق حاضرة دولة بني أمية البائدة(٤). وتوفي بمدينة الأنبار(٥) يوم الأحد سنة ١٣٦هـ/ ٧٥٣م(٦).

مما تقدم ذكره تستنتج الباحثة موقف العباسيين من المواجهة الأموية فيما يلي:

- استطاع العباسيون في دمشق من الحدّ من بعض التجاوزات التي حدثت في إقليم الشام إذ نتج عن ذلك فِرار بعضهم إلى المناطق البعيدة عن حدود بلاد الشام، وطلب الصلح من قادة الحكم العباسي.
- ومما لا شك فيه من ناحية أخرى أن النصر الذي أحرزه العباسيون نتج عنه انقسامات وعدة ثورات في أماكن متفرقة، إذ تُعَدّ دمشق ثالث تلك الثورات، فاستطاعت القوات العباسية تحقيق السيطرة على الموقف، وجعل دمشق من ممتلكات الدولة العباسية.

وفي عهد الخليفة أبي جعفر المنصور (١٣٧-١٥٨هـ/ ٧٥٥-٧٥٩م) عندما أدرك المنصور المخاطر التي أحاطت بدولته الناشئة والتي تهدف إلى تقويض حكم الأسرة العباسية عمد إلى البحث عن مكان

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص: ١٣٨. عماد: إيناس عماد وآخرون: تاريخ العصور العباسية المبكرة، د. م، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٥م، ص: ٦.

(٢) **هو شريك بن شيخ المهري**: شجاع، من الأشراف المقدمين. كان مقيمًا في بخارى. وفي أيامه دالت دولة الأمويين، وقامت الدولة العباسية، فكان من أنصار هذه. ثم نقم على أبي مسلم الخراساني لسفكه الدماء، فخرج ثائرا، وقال: ما على هذا اتبعنا آل محمد، أن تسفك الدماء وأن يعمل بغير الحق. وآزره أكثر من ثلاثين ألفا، فوجه إليه أبو مسلم جيشا، فقاتله إلى أن قتل. الزركلي: كتاب الأعلام، ص: ١٦٣.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص: ١٤٨٨. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص: ٤٣٢-٤٣٤.

(٤) العاني: وسيم رفعت عبد المجيد: العباسيين من الدعوة إلى الدولة، بغداد، مكتب وجدي للطباعة، ٢٠١٤م، ص: ٩٤.

(٥) **مدينة الأنبار**: مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ، وكانت الفرس تسميها فيروز سابور. الحموي: معجم البلدان، ص: ٢٥٧.

(٦) الخضري: الشيخ محمد: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر، ٢٠٠٣م، ط١، ص: ٤٨.

يكون ملائمًا لعاصمته جديدة، تكون تعبيرا عن سيادة أسرته، فاختار موقعًا يكون عند التقاء نهر الصرة[١] بنهر دجلة، حيث توجد بغداد البوابة التاريخية التي تؤدي إلى مدن الشرق، فلأسباب سياسية تعذّر على العباسيين اتخاذ دمشق عاصمة لهم؛ نظرا لما تُكِنّه من إخلاص للدولة الأموية، فقد كانت هذه المدينة عربية في طبعها[٢].

وفي دمشق كان الخليفة أبو جعفر المنصور قد اتبع سياسة الشدة والحزم تجاه أهل الشام، ويظهر هذا في خطبته في أثناء خروجه إلى الشام واصفا أهلها بـ (زوايا الإرجاف[٣] وكهوف النفاق...)[٤]، وليس هذا فحسب، بل إن رسالة الصحابة التي رفعها ابن المقفع إلى الخليفة أبي جعفر المنصور، وصورت طبيعة المعاملة التي عومل بها أهل الشام على يد العباسيين، وبيَّن للخليفة كيف أن أهل الشام قد حرموا من أي مناصب إدارية في الدولة الجديدة[٥]. واستطاع الخليفة أبو جعفر المنصور بحنكته السياسية وكفاءته الإدارية أن يراقب ولاته وعماله عن كثب دون أن يترك في ذلك صغيرة ولا كبيرة[٦]. وقد استطاع أبو جعفر المنصور إكمال جهود من سبقه في تثبيت دعائم الخلافة العباسية، وجعل عمه صالح بن علي واليًا على بلاد الشام سنة ١٣٧هـ/ ٧٥٥م، وجمع له دمشق وحمص وقنسرين والعواصم[٧][٨]. كما ولّى رباح بن عثمان[٩] إمرة دمشق[١٠].

---

(١) **نهر الصرة**: نهر صغير يقع في الجانب الغربي من بغداد. الإدريسي: محمد بن محمد: كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٩هـ، ج٢، ص: ٦٦٧.

(٢) عماد: تاريخ العصور العباسية المبكرة، ص: ١٣.

(٣) بيطار: أمينة: تاريخ العصر العباسي، دمشق، جامعة دمشق، ١٩٩٦م، ط٤، ص: ٦٠.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص: ٤٧١. ابن عبد ربه: العقيد الفريد، ص ١٨٥-١٨٦.

(٥) كرد: علي: رسائل البلغاء، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى، مصر، ١٩١٣م، ط٢، ص: ١٢٧.

(٦) فاروق عمر فوزي: الموصل إبان الحكم العباسي المباشر ١٣٢-٢٩٣هـ/ ٧٤٩-٩٠٥م، مجلة موسوعة الموصل الحضارية، ع٢، دار الكتب، جامعة الموصل، الموصل، ١٩٩٤م، ص: ٧٦.

(٧) **العواصم**: هي كورة قورس والجومة ومنبج وأنطاكية وتوزين وبالس ورصافة هشام، فكان المسلمون يغزون ما وراءها كغزوهم الروم، وكانت فيما بين الإسكندرية وطرسوس حصون ومسالح للروم. الهمداني: أحمد بن محمد: كتاب البلدان، بيروت، عالم الكتب، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص: ١٦١.

(٨) اليعقوبي: أحمد: تاريخ اليعقوبي، النجف، مطبعة الغري، ١٩٩٣م، ط١، ج٢، ص: ٣٨٣.

(٩) **هو رباح بن عثمان بن حيّان المرّيّ**، أمير المدينة لأبي جعفرٍ المنصور، وثب عليه محمّد بن عبد الله بن الحسن وجماعته حين خروجهم وسحبوه، وبويع محمّدٌ بالخلافة، فولّاه المنصور القضاء سنة أربعٍ وأربعين ومئةٍ، وعزل محمّد بن خالدٍ القسْريّ. المدني: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٣٠هـ، ط١، ج٢، ص: ٤٩٧.

(١٠) الصفدي: أمراء دمشق في الإسلام، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٥٥م، ص: ٣٤.

أما في عهد الخليفة المهدي[١] (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٥-٧٨٦م) فقد ولّى على دمشق المهدي محمد بن إبراهيم الإمام[٢]، وقد عزل المهدي إبراهيم بن عبد الوهاب[٣] عن كور دمشق[٤] وولاّها محمد بن إبراهيم الإمام، وبقي واليًا عليها إلى خلافة هارون الرشيد[٥] الذي عزله سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م.

وقد نزل الخليفة المهدي بقصر بطياس[٦] ظاهر حلب، وولي حينها علي بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس قنسرين وحلب والجزيرة حربا وخراجا وصلاة، ثم عرض العسكر بحلب وأغزى ابنه هارون بلاد الروم، وسيَّر محتسب حلب عبد الجبار فأحضر له جماعة من الزنادقة[٧]، فقتلهم بحلب،

---

(١) **محمد المهدي**: هو محمد بن عبد الله بن محمد، ولد بالحميمية، توفي بماسبذان في المحرم سنة تسع وستين ومائة، وبويع ولده موسى الهادي يوم وفاة أبيه. الصفدي: الحسَن بن أبي محمّد عبد الله بن عمر بن محاسن بن عبد الكريم الهَاشِمِي العبّاسي: نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك، بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ، ص: ٨٩.

(٢) هو **محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد العباسي** الهاشمي القرشي أمير دمشق من قبل المهدي والرشيد، وولي مكة وإمرة الموسم غير مرة في عهد المنصور وهارون الرشيد، كان محمد بن إبراهيم الإمام يلي إمارة الحج والسير بالناس إلى مكة، وإقامة المناسك في خلافة المنصور عدة سنين. قال إسحاق بن سليمان الهاشمي: دخلت سنة تسع وخمسين ومائة، وفيها عزل المهدي إبراهيم بن عبد الوهاب عن كور دمشق، واستعمل مكانه محمد بن إبراهيم الإمام، قال: وولي هارون الرشيد الخلافة سنة سبعين ومائة والأمير على كور دمشق إبراهيم بن صالح، فعزله وولى محمد بن إبراهيم الإمام، فلم يزل واليا على كور دمشق والأردن إلى سنة اثنتين وسبعين. وولي سنة ١٧٨ هجري إمرة مكة والمدينة واليمن، توفي ببغداد سنة ١٨٥هـ. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص: ٣١.

(٣) **إبراهيم بن محمد بن عبد الوهّاب** بن إبراهيم الإمام، وهو المعروف بابن عائشة، قتله المأمون وصلبه. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص: ٣١.

(٤) **كور دمشق**: يطلق عليها أيضا جند دمشق، تنقسم إلى أربع مراحل، وأهل هذه الكور كلها قوم من الفرس نقلهم إليها معاوية بن أبي سفيان، وكل كور دمشق افتتحها أبو عبيدة بن الجراح في خلافة عمر بن الخطاب سنة أربع عشرة، ولجند دمشق من الكور الغوطة وأهلها غسان وبطون من قيس، وبها قوم من ربيعة وحوران، ومدينتها بصرى، وأهلها قوم من قيس من بني مرة خلا السويدا فإن بها قوما من كلب. والبثينة ومدينتها أذرعات وأهلها قوم من يمن ومن قيس، والظاهر ومدينتها عمان، والغور ومدينتها ريحا، وهاتان المدينتان أرض البلقاء وأهلها قوم من قيس، وبها جماعة من قريش. اليعقوبي: أحمد بن إسحاق: كتاب البلدان، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ، ص: ١٦٢-١٦٣-١٦٤-١٦٥.

(٥) **هارون الرشيد**: أبو جعفر بن المهدي محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، ولد بالري في آخر ١٤٥هـ. السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: تاريخ الخلفاء، القاهرة: المكتبة التجارية الكبري، ١٩٦٩م، ص: ٢٦١. ص: ٢١٠.

(٦) **بطياس** أجمع أهل حلب على أن بطياس قرية من باب حلب بين النّيرب وبابلّى، كان بها قصر لعليّ بن عبد الملك بن صالح أمير حلب، وقد خربت القرية والقصر، وقال الخالديّان في كتاب الديرة: الصالحية قرية قرب الرّقّة وعندها بطياس ودير زكى. الحموي: شهاب الدين بن محمد ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ط٢، مج٣، ص: ٤٥٠.

(٧) **الزنادقة** هم كل شاك أو ضال أو ملحد الذين يقولون بأزلية العالم، وأطلق عليهم الزردشتية والمانوية، وغيرهم من الثنوية الزنادقة وهم القدرية، تبعد تعاليمهم عن تعاليم الإسلام، وعقائدهم تقوم على الفساد والعبث بالآداب الاجتماعية، يرجع تاريخهم إلى آخر العصر الأموي. الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، د. م: المكتبة الوقفية، د. ت، ج٢٨، ص: ٧.
=

وولي حلب والشام ابنه هارون، وأمر كاتبه يحيى بن خالد البرمكي[(١)] أن يتولى ذلك كله بتدبيره، وكانت ولايته في سنة (١٦٣هـ/ ٧٥٤م)[(٢)].

وأود الإشارة إلى أن السياسة التنظيمية للخليفة العباسي اتَّسمت باختلافها عمن سبق من الخلفاء؛ إذ اتسمت بالهدوء والتسامح وإقرار العدل واهتمامات أخرى لتنظيم الدولة العباسية.

وعهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٧-٨١٠م) كان هو واسطة عقد الدولة العباسية، حيث وصلت الدولة إلى أفخم درجاتها في مختلف المجالات جاها وسلطانًا وثروة وعلما وأدبًا، فارتفعت فيه حضارة الدولة العلمية والأدبية والمادية إلى أرقى درجاتها، وكان في عهد الرشيد كبار الرجال من تزدان وتفتخر بهم الممالك من رجال الإدارة والحرب، فعظمت الهيبة في الداخل والخارج، وكانت أخلاق الرشيد مما ساعد على هذا الرقيّ، مما كان له الأثر الكبير على أحوال دمشق في هذه الفترة[(٣)].

وفي سنة ١٨٤هـ/ ٧٩٢م تحولت المنازعات القديمة بين اليمانيين والعدنانيين في سورية إلى حرب مستعرة، وبقيت دمشق نحو ستين مسرحًا للانقسامات والحروب الداخلية، فلم يهتمّ في بداية الأمر الرشيد لها، بل وجدها فرصة لإضعاف قوة أهالي هذه البلاد التي ثبت عنده عدم إخلاصهم. ولكن بعد عشرة أعوام تجددت المنازعات مرة أخرى، فأرسل عندها موسى بن يحيى بن خالد البرمكي[(٤)] واليا عليها، فأصلح بينهم وسكنت الفتنة[(٥)].

ولقد واصل هارون الرشيد استكمال تحصينات ثغوره المتاخمة للدولة البيزنطية، وأقام منطقة جديدة بين شمال الجزيرة وشمال بلاد الشام، أطلق عليها اسم: منطقة العواصم، وجعل قاعدتها مدينة منبج[(٦)] في شمال شرق حلب، ورتب فيها جيشًا دائمًا.

العسقلاني: أحمد بن علي: لسان الميزان، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م. ج٦، ص: ٥٦.

(١) **يحيى بن خالد بن برمك البرمكي** أبو علي الوزير والد جعفر البرمكي، هو من أسرة فارسية، ضم إليه المهدي ولده الرشيد فرباه، وأرضعته امرأته مع الفضل بن يحيى. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص: ٣٧٤.

(٢) المولى الصاحب: كمال الدين أبو القاسم الحلبي الحنفي: زبدة الحلب من تاريخ حلب، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م، ط١، ص: ٣٦.

(٣) الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية، ص: ١٠١-١٠٢.

(٤) **موسى بن يحيى بن خالد البرمكي**: ولاه الرشيد إمرة الشام في فتنة أبي الهيذام، وقدم دمشق في سنة ستة وسبعين ومائة، وأصلح بين المضرية واليمانية. الصفدي: أمراء دمشق في الإسلام، ص: ١٠٦.

(٥) العاني: العباسيين من الدعوة إلى الدولة، ص: ١١٣.

(٦) **مدينة منبج** تقع بالقرب من بالس، وهي مدينة خصبه حصينة وكثيرة الأسواق الأزلية عظيمة الآثار. ابن حوقل: محمد بن علي: صورة الأرض، بيروت، دار صادر، ١٩٣٨م، ج١، ص: ١٨٠.

كذلك اهتمّ بمنطقة الثغور الشامية[١] التي على الحدود بين آسيا الصغرى وسوريا؛ فعمّر فيها طرسوس[٢] وأضنة[٣] وعين زربه (ناورزا)[٤]، كما أقام فيها حصونًا جديدة، مثل حصن الهارونية[٥] بين مرعش وعين زربه. واهتم الرشيد بمناطق الثغور وولى عليها ابنه الثالث أبا القاسم الملقب بالمؤتمن[٦]، كذلك اهتمّ بتقوية الجيش العباسي حتى صار من أقوى جيوش العالم في ذلك الوقت، ثم وجه الحملات المتكررة على المواقع البيزنطية في آسيا الصغرى. وكان الخليفة هارون الرشيد أكثر الخلفاء العباسيين تعلقًا بدمشق، وقال في إحدى المرات: "إنه لأمر يدعو للدهشة الشديدة أن يتمكّن المرء من العيش خارج دمشق، فكيف يعيش الإنسان سعيدًا وهو بعيد عن تلك المناظر الرائعة التي لا يوجد لها مثيل في أي مكان آخر؟!"[٧]، كما قال: "إنّ الدنيا أربع منازل، وقد نزلت منها ثلاثا، إحداها دمشق والرّقة والرّيّ وسمرقند[٨]، وأرجو أن أنزل الرابعة، ولم أر في هذه المنازل الثلاث التي نزلتها موضعا أحسن من السرباني لأنّه شارع يشقّ مدينة الرّيّ في وسطه نهر جار عن جانبيه جميعا الأشجار ملتفة متصلة، وبينها الأسواق

---

(١) **الثغور الشامية**: الثغور هي كل فرجة في جبل أو بطن، وكل موقع قريب من أرض، تعتبر الثغور منطقة محفوفة بالمخاطر بين الدولتين بسبب تعرضها الدائم للإغارة واحتوائها على الدروب والمنافذ التي تسلكها الجيوش المحاربة من الطرفين، يتضح من وضع المسلمين للثغور على تخوم بلادهم ما كان لديهم من نضج عسكري. ابن منظور: محمد أكرم: لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ، ج٤، ص: ١٠٣. وسوف أتطرق لها تفصيلا في الفصل الثاني.

(٢) **طرسوس** بوزن قربوس: بلد بالشام مشرفة على البحر قرب المرقب وعكا، وهي اليوم بيد الإفرنج، نسبوا إليها أبا عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الخواص المقرئ الطرطوسي. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص: ٣٠.

(٣) **أضنة** من المدن التركية، يسكن الكرد في الغالب في الأحياء الجنوبية للمدينة، يقع مركز المدينة على نهر سيحان، على بعد ٣٠ كيلومترا من البحر الأبيض المتوسط جنوب الأناضول. وكانت أضنة تُسمّى عند العرب: «أدنة»، ثم غيّرَ الترك الاسم إلى «أطنة» بعد أن صدر أمر الباب العالي بهذا التعديل تجنبًا للالتباس بمدينة أدرنة. زكي بك: أحمد: قاموس الجغرافي القديمة، مصر، المطبعة الأميرية، ١٨٩٩م، ص: ٨.

(٤) **عين زربه** هو بلد بالثغر من نواحي المصيصة، قال ابن الفقيه: كان تجديد زربه وعمارتها على يد أبي سليمان التركي الخادم في حدود سنة ١٩٠، وكان قد ولي الثغور من قبل الرشيد، ثم استولى عليها الروم فخرّبوها، فأنفق سيف الدولة ابن حمدان ثلاثة آلاف ألف درهم حتى أعاد عمارتها، ثم استولى الروم عليها في أيام سيف الدولة. الحموي: معجم البلدان، ص: ١٧٧.

(٥) **الهارونية**: غربي جبل اللكام في بعض شعابه، وهي حصن صغير بناها هارون الرشيد فنسبت إليه. ابن العديم: كمال الدين: بغية الطلب في تاريخ حلب، د. م، دار الفكر د. ت، ج١، ص: ٢١٩.

(٦) **المؤتمن** هو عبد الله بن هارون الرشيد ولد سنة ١٦٧٠هـ، وأمه فارسية تسمى مراجل، وكان يكنى أبا العباس ويلقب بالمأمون. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١٤، ص: ٢١٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص: ٢٧٢.

(٧) ديجورج: جيرار: دمشق من عصور ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥م، ط١، ص: ١٣٠.

(٨) **سمرقند** في الإقليم الرابع، طولها تسع وثمانون درجة ونصف، وعرضها ست وثلاثون درجة ونصف، وقال الأزهري: بناها شمر أبو كرب فسميت شمر كنت، فأعربت فقيل سمرقند، هكذا تلفظ به العرب في كلامها وأشعارها. الحموي: معجم البلدان، ص: ٢٤٧.

محتقّة"[١]. هذا ما قاله الخليفة العباسي هارون الرشيد.

أما الرقّة فهي محافظة في شمال شرق سورية، تقع على ضفاف نهر الفرات، وفيها يلتقي رافده نهر البليخ[٢]، وفي عهد الخليفة الأمين[٣] (١٩٣-١٩٨هـ/ ٧٨٧-٧٩٢م) الذي كان عهده مليئا بالفتن والاضطرابات، وفي الوقت الذي قامت هذه الفتنة بينه وبين أخيه المأمون اشتعلت نار الثورة في بلاد الشام على يد علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية المعروف بالسفياني، وقد احتلّ دمشق وما يليها، وطرد عامل الأمين، وكاد يتمّ له الأمر لولا قيام نزاع بين اليمنيين والمضريين، فأرسل الأمين الجيوش لقمعها بقيادة الحسين بن علي بن ماهان[٤]، ثم عبد الله بن صالح بن علي العباسي[٥]، ولكن حال بغداد حال دون قيام عمل جدي ضد السفياني، فأصبحت بلاد الشام مسرحا للفوضى سنتين أو أكثر، بالإضافة إلى تحيّز الحسين بن عيسى بن عيسى لجنده الخراسانيين على جند الشاميين، ثم ترك الشام وعاد فجأة إلى بغداد[٦].

أما في عهد الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٧٩٢-٨١٢م) بدمشق، فقد ضاق الحال وقلّ المال، فشكا ذلك إلى أخيه المعتصم[٧] وكان بيده أعمال، فقال المعتصم: يا أمير المؤمنين، كأنك بالمال وقد وافاك بعد أسبوع، فوصل في تلك الأيام من الأعمال التي كان المعتصم يتولاها ثلاثون ألف ألف ألف درهم (٣٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ثلاثون مليار تقريبًا) -الألف مكررة ثلاث مرات- (٩٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ تسعون تريليون تقريبًا) فقال ليحيى بن أكثم: اخرج بنا لننظر إلى هذا المال، فخرج وخرج الناس، وكان قد زين الحمل وزخرف، فنظر المأمون: إن انصرافنا إلى منازلنا بهذا المال

---

(١) ديجورج: دمشق من عصور ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية، ص: ١٣٠.

(٢) الحموي: معجم البلدان، ص: ٢٠٦.

(٣) **الخليفة الأمين** محمد بن هارون الرشيد، ولد في الرصافة ابنه جعفر الأكبر بن المنصور، تولى الخلافة عقب وفاة أبيه هارون الرشيد باعتباره ولي عهده، وكان عمره حينئذ ثمانية وعشرين عامًا. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١٤، ص: ٥٠.

(٤) **الحسين بن علي بن عيسى** بن ماهان: قائد كأبيه. لما كانت الفتنة بين الأمين والمأمون كان هو في الرقة، ومات أمير الرقة عبد الله بن صالح فقام ابن ماهان بأمرها. وجهز جيشا قصد به بغداد، لنصرة الأمين فدخلها، ولم تُرضه سيرة الأمين، فابتعد عنه، ودعا الناس إلى القيام عليه، فالتفّ حوله خلق كثير، وقاتله بعض رجال الأمين، فظفر بهم. وأخذ البيعة للمأمون. الزركلي: كتاب الأعلام، ص: ٢٤٤.

(٥) **صالح بن علي بن عبد الله** بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي العباسي، أول من ولي مصر من قبل خلفاء بني العباس، مولده بالسواد وقيل: بالشراة. ابن تغري بردي: يوسف: كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصر، دار الكتب، د. ت، ص: ٣٢٣.

(٦) نواب: عواطف بنت محمد: العصر العباسي الأول، د. م، ١٤٣٤هـ، ص: ١١.

(٧) **المعتصم** محمد بن هارون الرشيد الخليفة أبو إسحاق محمد بن الرشيد هارون بن محمد المهدي بن المنصور العباسي. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص: ٢٩٠.

وانصرف الناس فأمر كاتبه أن يوقع لهذا بألف ألف، ولذلك بمثلها، ولآخر بأكثر منها حتى فرق أربعه وعشرين ألف ألف ألف درهم (٢٤,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ أربعة وعشرون مليار تقريبا)[١]، وفي سنة ٢١٦هـ ظهر عبدوس الفهري[٢]، فوثب بمن معه على عمال أبي إسحاق، فقتل بعضهم، وذلك في شعبان، فشخص المأمون من دمشق يوم الأربعاء لأربع عشرة بقيت من ذي الحجة إلى مصر، وفيها قدم الأفشين[٣] من برقة منصرفا عنها، فأقام بمصر[٤][٥].

أما الخليفة المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ/ ٨١٢-٨٢١م) فقد كان يتولَّى بلاد الشام، ومنها دمشق ومصر في عهد أخيه المأمون، فعهد إليه بالخلافة، وعدل عن تولية ابنه العباس، وربما يعود إلى شكيمته ومتانة خلقه. وقد كان لاعتماد المعتصم على الأتراك أثر سيئ في نفوس العرب، فثاروا في بلاد الشام تحت زعامة أبي حرب المبرقع اليماني[٦]، وتم إخماد ثورتهم. وكذلك أثار الأكراد الفتنة في بلاد الموصل على يد جعفر الكردي[٧]، فبعث إليهم المعتصم أحد قواده الأتراك فقتله، ثم وثب أحد أتباعه فقتله في

---

(١) ابن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، بيروت، دار القلم العربي، ١٩٩٧م، ١٤١٨هـ، ط١، ص: ٢١٦.

(٢) **عبدوس الفهري** الوجه البحري بمصر وقد انتفض وانضم الأقباط إليه في سنة ٢١٦هـ/ ٨٣١م، وحشدوا وجمعوا فكثر عددهم وساروا نحو الديار المصرية؛ فتجهز عيسى بن منصور وجمع العساكر والجند لقتالهم، فضعف عن لقائهم، وتقهقر بمن معه، فدخلت الأقباط وأهل الغربية مصر، وأخرجوا منها عيسى هذا على أقبح وجه لسوء سيرته، وخرج معه أيضًا متولي خراج مصر وخلعوا الطاعة؛ ودامت الحروب في السنة المستمرة بمصر إلى أن قدمها أمير المؤمنين عبد الله المأمون لخمس خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين، فسخط على عيسى بن منصور المذكور، وحل لواءه وعزله، ونسب له كل ما وقع بمصر ولعماله؛ ثم جهز العساكر لقتال أهل الفساد، وأحضر بين يديه عبدوس الفهري فضربت عنقه، وقمعوا أهل الفساد من سائر أراضي مصر بعد أن قتلوا منهم مقتلة عظيمة، ثم رحل الخليفة المأمون من مصر. مجموعة من المؤلفين بإشراف علوي بن عبد القادر السقاف: الموسوعة التاريخية، موقع الدرر السنية، ١٤٣٣هـ، ص: ١٢٨.

(٣) **الأفشين**: لقب كان يطلق على ملوك أشروسنة إحدى كور بلاد ما وراء النهر، كان أبوه حاكما على أشروسنة، ووقع خلاف بينهما فترك حيدر بلدته ورحل إلى بغداد، وتقرب من الخليفة العباسي المأمون، وشجعه على غزو أشروسنة، وسهل له ذلك، ولما تم للمأمون فتحها ولاه عليها حاكما بعد أبيه. القلقشندي: أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ، ج٥، ص: ٤٥٤.

(٤) ابن الفوطي: كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد: مجمع الآداب في معجم الألقاب، إيران، مؤسسة الطباعة والنشر، ١٤١٦هـ، ج٤، ص: ٣٣٦. لمزيد من المعلومات انظر إلى الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص: ١١٦.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص: ٦٢٥.

(٦) **المبرقع**: أبو حرب اليماني بن عبد الله السفياني. ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ، ج١١، ص: ١١٧.

(٧) **جعفر الكردي** عبد الرحمن بن جعفر الشافعي الشهير بالكردي. الدينوري: أحمد بن داود: كتاب الأخبار الطوال، مصر، وزارة الثقافة والإرشاد، ١٩٦٠م، ص: ٤٠٢.

أوائل خلافة الواثق[(١)].

وأما الخليفة الواثق بالله[(٢)] (٢٢٧-٢٣٢هـ/ ٨٢١-٨٢٦م) فقد كان يتشبه بعمه المأمون في صفاته وأخلاقه وكرمه لأنه هو الذي رباه[(٣)]، ولما مات المعتصم ثارت القيسية[(٤)] بدمشق، وعاثوا وأفسدوا وحصروا أميرهم بدمشق[(٥)]، فبعث إليهم الواثق بالله عسكرا مع رجاء بن أيوب، فقاتلهم وكانوا قد اجتمعوا بمرج راهط[(٦)]، فقتل من القيسية نحو ألف وخمسمائة، وانهزم الباقي، وصلح أمر دمشق[(٧)]. كما كان له مجلس نظر عقده للنظر بين الفقهاء والمتكلمين في أنواع العلوم من العقليات والسمعيات في جميع الفروع[(٨)].

وقد قسم العباسيون الولاية على الأقاليم إلى قسمين، خصوصًا في عهد الخليفة هارون الرشيد:

الأول: الولاية الكبرى: وهي التي تكون لأحد أبناء الخليفة أو شخص مقرب من الخليفة، حيث يتولى هذا الوالي عدة أقاليم في الدولة، ويقوم بتصريف أمورها من العاصمة، أو من أحد تلك الأقاليم بعد الرجوع إلى الخليفة، ويرسل إليها ما يشاء من الولاة.

الثاني: الولاية الكاملة: حيث يتمتع الوالي ببعض السلطات التي توسع دائرة نفوذه، مثل النظر في الأحكام وجباية الضرائب[(٩)] والخراج وحماية الأمن وإمامة الصلاة وتسيير الجيوش للغزو.

---

(١) نواب: العصر العباسي الأول، ص: ١١.

(٢) **الخليفة الواثق** هارون بن المعتصم بالله، يكنى أبا جعفر، وقد تولى الواثق بالله الحكم يوم وفاة والده المعتصم. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص: ٣٠٦.

(٣) الأربلي: عبد الرحمن سنبط: خلاصة الذهب المسبوك، مختصر من سير الملوك، بغداد، مكتبة المثنى، د. ت، ص: ٢٢٤.

(٤) **القيسية**: قبيلة تنتسب إليها عدة قبائل من قحطان وعدنان ومن قيس أيضا بنو نمير وبأهلة ومازن وغطفان، تنسب إلى قيس عيلان بن مضر العدنانية. وهذا هو المفهوم لكلمة قيسي كقبيلة. أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج١، ص: ١٩٤- ١٠٦.

(٥) مما سبق ذكره يتضح لنا أهمية دمشق مع الولاة، فمع وجود الخلافة أصبحت دمشق تحت الإدارة المباشرة لمعظم خلفاء بني أمية الذين اتخذوها مقرا للخلافة، تمكن الخلفاء العباسيون بعد ذلك من تطوير نظام الولاة إذ شهدت دمشق نقلة في مركزها الإداري، فبعد أن كانت دمشق تبعث الولاة إلى مختلف المناطق أصبحت تستقبل واليًا عليها كمدينة عادية ضمن الولاية، وذلك يعود إلى أن دمشق لم تعد عاصمة للدولة الإسلامية بعد سقوط دولة بني أمية سنة ١٣٢هـ.

(٦) **مرج راهط** على مقربة من بلدة جوبر خارج دمشق إلى الشرق منها. البلاذري: أنساب الأشراف، ج٦، ص: ٢٦٢.

(٧) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ط١، ج٢، ص: ٣٥.

(٨) الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية، ص: ٢٣٢. للاستفادة والاستطلاع على تنظيم ولاة دمشق خلال الحكم العباسي يرجع إلى المصادر التالية: الصفدي: الوافي - ابن عساكر: تاريخ دمشق - الذهبي: سير أعلام النبلاء - الطبري: تاريخ الرسل والملوك.

(٩) **الضرائب**: التي تؤخذ في الجزية ونحوها، وغلة العبد. الفيروزابادى: مجد الدين: قاموس المحيط، بيروت، مكتب التراث في مؤسسة =

ففي العصر العباسي كثر عزل الولاة، وهذا ينعكس على صورة من صور الرقابة الشديدة التي كانت تمارس على الولاة(١).

ومما سبق ترى الباحثة أنه كان للخلفاء العباسيين في العصر العباسي الأول العديد من الإسهامات التي كان من شأنها خدمة البلاد وتتابعها للعصور التالية، سواء بالأمور الحسنة أو خلافها، وكان لطباع الحاكم وصفاته في تنظيم حكمه الأثر على الأحداث والوقائع في عصره، فالخليفة أبو العباس عبد الله السفاح كان يريد تأسيس دولته، ولا يكون تأسيس الدولة بالتسامح والرأفة، بل بالقوة، فقد كان حازما قويا، وكان يوصي عماله بذلك، وفتك ذلك بأهل دمشق حتى إنه نبش قبور بني أمية، وفي عهد الخليفة أبي جعفر المنصور الذي يعود له الفضل في تثبيت دعائم الدولة من خلال إنجازاته العظيمة على المستوى الإداري وغيره، ويعتبر الخليفة أبو جعفر المؤسس الحقيقي للخلافة العباسية، وباني عزها ومجدها وقوتها. أما خلافة المهدي التي استمرت عشرة أعوام فهي فترة انتقال بين عهد الشدة والقمع الذي ساد عهد من سبقة من الخلفاء وعهد الاعتدال واللين الذي امتازت به فترة حكمه؛ لذلك فقد انتهج سياسة لينة تداوي الجرح والنفوس وتجمع الشمل، وامتاز عهده بالهدوء الداخلي. أما الخليفة الهادي فلم تكن له الكثير من الأحداث في دمشق لقصر الفترة الزمنية للخلافة التي لم تتعدَّ سنة واحدة. وبويع للخليفة هارون الرشيد بالخلافة بعد أخيه الهادي، واستمر حكم هارون الرشيد حوالي ٢٣ عاما، شهد العصر العباسي الأول أوج ازدهاره، ورغم حدوث الكثير من الاضطرابات والفتن إلا أنه سرعان ما يعود الأمن والسكون. أما خلافة الأمين والمأمون فقد ذكرنا أن طباع الأمين كانت تنحدر إلى اللهو والعبث وما إلى ذلك، فأدى هذا إلى كون عصره مفحمًا بالمشاكل والنزاعات المتعدّدة، على عكس أخيه المأمون الذي كان يمتاز بالحكمة وإدارة الأمور والكرم والسخاء، مما أدّى إلى تثبيت أموره في الدولة ومحبة واحترام الناس له من جميع الفئات، وزهو عصره. وبالحديث عن ثامن الخلفاء المعتصم بالله فقد واجه التحديات الكبيرة في محاولته للحفاظ على سلطته وتوسع نفوذه، وواجه أيضًا تمرُّداتٍ وصراعات، وعلى الرغم من التحديات التي واجهها المعتصم بالله في النظام الإداري إلا أنه نجح في الحفاظ على سلطته وتوفير استقرار نسبي خلال فترة حكمه. أما الخليفة التاسع والأخير في العصر العباسي الأول الخليفة الواثق بالله فكان خليفة متميزا في نظام الإدارة، وكان يجمع بين القوة والحكمة والعدل، قاد بحكمة ونجاح، وترك أثرًا في تاريخ الدولة العباسية.

=
الرسالة، ١٣٢٦هـ، ص: ١٠٨.

(١) الكساسبة: حسين فلاح سلمان: الدواوين المركزية في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير، الأردن: د. ن، ١٩٨٦م، ص: ٨٩.

المبحث الثاني: إسهامات الخلفاء في التنظيم القضائي في دمشق:

كان منصب قاضي القضاة هو منصب ديني ودنيوي إسلاميّ ابتُكر خلال العصر العباسيّ أيام خلافة هارون الرشيد، بعد أن ظهرت الحاجة الملِحة إلى فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية، وبعد أن ازدهرت الدولة الإسلامية وتنوعت مرافقها وتوسعت وصارت الحاجة مُلزِمة أن يتولى كل شخص في الدولة منصبًا إداريًّا مستقلًّا عن غيره من المناصب، كي يقوم بواجبه على أكمل وجه، كما أنه قام بتقليد منصب قاضي القضاة لأول مرة في التاريخ الإسلامي إلى الإمام أبي يوسف الذي يُعتبر أوَّل من نظَّم شؤون القضاء بالاستقلالية إلى حدٍّ ما عن السلطة التنفيذية، كما أنه أوجد الزيَّ الخاص بالقضاة(١).

ولا بد في البداية أن نقُومَ بتعريف القضاء وشروطه:

فالقضاء لغة: هو إتمام الشيء قولًا وفعلًا، والفعل من القضاء: قَضيتُ(٢).

وفي الشرع: هو قطع الخصومة أو قول ملزم صدر عن ولاية عامة. فهو في العرف الشرعي: الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي وقطعًا للنزاع بالأحكام الشرعية المأخوذة من الكتاب والسنة وهو من أعمال الرسل عليهم السلام(٣)، كما في قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾(٤).

وللقضاء شروط حيث قال الفقهاء: يشترط فيمن يولَّى القضاء أن يكون بالغا ذكرًا عاقلًا حرًّا مسلمًا عدلًا مجتهدًا سليم الحواس(٥)، وقيل في شرط أن يكون القاضي ذكرًا: يجوز أن تقضي المرأة فيما تصحّ فيه شهادتها، ولا يجوز أن تقضي فيما لا تصحّ فيه شهادتها. وشذ ابن جرير الطبري فجوَّز قضاءها في جميع الأحكام، ولا اعتبار بقول يردُّه الإجماع مع قول الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾(٦). يعني في العقل والرأي، فلم يجز أن يقمن على الرجال(٧).

---

(١) ابن بطوطة: محمد عبد الله: تحفة الأنظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار، بيروت، دار إحياء العلوم، ١٤٠٧هـ، ص: ١١٠-١١١. شبارو: عصام محمد قاضي: القضاة في الإسلام، بيروت، دار النهضة العربيَّة، ١٩٩٢م، ص: ١٥.

(٢) الأزهري: محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م، ج٩، ص: ١٧١.

(٣) محمود بن محمد: تاريخ القضاء في الإسلام، القاهرة: المطبعة المصرية الأهلية الحديثة، ١٩٣٩م، ص: ٩.

(٤) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٥) زيدان: عبد الكريم: نظام القضاء في الشريعة الإسلامية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩م، ط٢، ص: ٢٥.

(٦) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٧) الماوردي: علي بن محمد: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، الكويت، دار بن قتيبة، ٢٠٠٨م، ص: ٨٨.

ومن الشروط الأخرى التي ينبغي للقاضي "أن يتحلى بها هي أن يكون القاضي قويًّا من غير عنف، لينًا من غير ضعف، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، ذا فطنة وتيقظ، لا يؤتى من غفلة، ولا يُخدع لغرة، عفيفًا ورعًا، بصيرًا بعيدًا عن الطمع، وتعتبر هذه الصفات مرجحات لاختيار القاضي عند التزاحم والتساوي في الشروط السابقة التي تم ذكرها[١]، فقد كان الخلفاء في العصر العباسي الأول وقاضي القضاة والولاة يتخيرون القضاة من الأكفاء والثقات والعلماء والفقهاء، ومن حسنت سيرته، وارتفعت مكانته بين الناس وفي المجتمع، وكانوا أقضى الناس وأكثرهم معرفة بالفتوى والفقه والأحكام الشرعية[٢].

كذلك يهدف القضاء إلى إقامة العدل وتحقيق القسط وحفظ الحقوق والأموال والأنفس والأعراض، وحماية حقوق العامة، وتطبيق الأحكام الشرعية، وإقامة حدود الله تعالى، ويصونُ القِيَم والأخلاق، ويمنع العدوان والظلم والبغي بمختلف أشكاله وأوصافه[٣].

تحلّل الباحثة أن دراسة النظام القضائي في مجلس القضاء من الدراسات التاريخية المهمّة؛ إذ يعتبر الركيزة في إقامة العدل بين الناس؛ نظرًا إلى أنه يعطي الحقوق لأصحابها؛ إذ يعتبر المقياس الرئيسي لتطوير الأمم.

لقد حظي القضاة في العصر العباسي الأول بالتبجيل والاحترام، وكان تعيينهم وعزلهم يتم بأمر الخليفة، وأول من فعل ذلك الخليفة المنصور، فقد عين قضاة البلاد بأمره سنة ١٣٦هـ/ ٧٥٣م، حيث اهتم خلفاء العباسيون بالتثبت من الأحكام، فعينوا جماعة من المزَكّين، وظيفتهم تتبع أحوال الشهود، كما اهتموا بأحوال القضاة المادية حتى يعيشوا في يسر ورخاء، وقد تطوّر القضاة بصورة ملحوظة في العصر العباسي الأول، وظهر منصب قاضي القضاة المستحدَث، وكان يقيم في عاصمة الدولة ويقوم بتعيين القضاة في الأقاليم والبلاد المختلفة، وأول من لقب قاضي القضاة أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحب كتاب (الخراج) وذلك في عهد الرشيد[٤].

ومن أجل بيان شكل الإدارة في العهد العباسي، والقضاء منها بشكل خاص وتحديدًا في دمشق، فلا بد لنا أن نوضّح الصورة السياسية للدولة العربية الإسلامية بوجه عام لاستنباط -بالتبعية- صورة القضاء داخل دمشق، فمذ بدأ العهد العباسي سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م[٥] تغيرت معظم المقوّمات والأسس

(١) زيدان: نظام القضاء في الشريعة الإسلامية، ص: ٣٣.

(٢) الزحيلي: محمد: تاريخ القضاء في الإسلام، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م، ص: ٢٢٨.

(٣) الزحيلي: تاريخ القضاء في الإسلام، ص: ١٣.

(٤) قباني: محمد: الدولة العباسية من الميلاد إلى السقوط، بيروت: دار وحي القلم، ٢٠٠٦م، ط١، ص: ٥١.

(٥) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص: ٢٦١.

الإدارية الأموية، بل أزيلت كل آثارها في العهد الجديد، إلا القضاء، فقد ظل واستمر وتطوّر وبقي أغلب القضاة في أعمالهم[١]، كون الكثير من الأئمة والفقهاء عاصروا عهد الخلافتين، كأبي حنيفة النعمان[٢] والأوزاعي[٣] وغيرهم، واستفادت الخلافة العباسية من الإدارة والتنظيم القضائي من سابقيهم، وأضافوا إليه أشياء كثيرة تتوافق مع التطور والتوسّع، فاتسعت دائرة القضاء بدليل ما رواه الإمام مالك عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: "يحدث للناس من الأقضية بقدر ما يحدث لهم من الفجور"[٤]، وهذه القاعدة هي المنسوبة للخليفة العادل سيدنا عمر بن عبد العزيز ﷺ، والتي بنيت عليها الكثير من الأحكام المستجدّة، بهدف التوسعة على ولاة الأمر فيما يُسَنّ من تشريعات لمواجهة القضايا المستجدة التي لم يرد بشأنها نصّ محدّد؛ لضبط شؤون البلاد والعباد، ولتكون هذه القاعدة شاهدة على مرونة الشريعة الإسلامية، وقدرتها على تحقيق موجبات السعادة للبلاد والعباد، في إطار فهم وسطي. وكان قد تطور القضاء كباقي العلوم، هذا لأن العباسيين استدركوا الوهن الذي أصاب الخلافة الأموية، فأصلحوا الإدارة، وعمادها التنظيم القضائي، وأولوه عناية خاصة وأهمية كبيرة.

وتركت هذه الصورة للخلفاء بالنسبة للقضاء الذي بلغ القمة في عهد المنصور[٥] والرشيد والمأمون، وتدنى إلى الحضيض في بعض العهود الأخيرة من العصر العباسي، وشرع العلماء في عهد المنصور بتدوين العلوم من الحديث والفقه والتفسير واللغات والتاريخ، كما ظهرت المذاهب الفقهية والمذاهب الكلامية، وترك هذا بصماته في تعيين القضاة وعزلهم وحريتهم في الاجتهاد والالتزام بالمذهب[٦]، فاسترد الخليفة

---

(١) انظر الملحق رقم (٢).

(٢) **أبو حنيفة** (٨٠-١٥٠هـ/ ٦٩٩-٧٦٧م) هو النعمان بن ثابت بن زوطي -بضم الزاي وفتحها- ابن ماه، الفقيه المحدث صاحب المذهب. ولد بالكوفة في خلافة عبد الملك بن مروان (الخليفة الأموي) وتربى فيها وعاش بها أكثر حياته، وتوفي ببغداد. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٦، ص: ٣٩٠-٤٠٣.

(٣) **الأوزاعي** هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي إمام أهل الشام؛ لم يكن بالشام أعلم منه، قيل: إنه أجاب في سبعين ألف مسألة، وكان يسكن بيروت. روي أن سفيان الثوري بلغه مقدم الأوزاعي، فخرج حتى لقيه بذي طوى، فحل سفيان رأس بعيرة عن القطار ووضعه على رقبته، فكان إذا مر بجماعة قال: الطريق للشيخ. سمع من الزهري وعطاء، وروى عنه الثوري وأخذ عنه عبد الله بن المبارك وجماعة كبيرة، وكانت ولادته ببعلبك سنة ثمان وثمانين للهجرة، وقيل: سنة ثلاث وتسعين. ومنشؤه بالبقاع، ثم نقلته أمه إلى بيروت. وكان فوق الربعة خفيف اللحية به سمرة، وكان يخضب بالحناء. وتوفي سنة سبع وخمسين ومائة يوم الأحد لليلتين بقيتا من صفر، وقيل: في شهر ربيع الأول بمدينة بيروت. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ص: ١٢٧.

(٤) السبكي: تقي الدين علي: قضاء الأرب في أسئلة حلب، د. م، المكتبة التجارية مكة المكرمة، ١٤١٣هـ، ص: ٢٩٧.

(٥) **تستنتج الباحثة** من سياسة المنصور قيامها على عدة ركائز كالعدل ورفع الظلم عن الناس، ولعل من أهمها إرجاع الحقوق إلى أصحابها.

(٦) الزحيلي: تاريخ القضاء في الإسلام، ص: ٢٢٤.

أبو جعفر المنصور النظام القضائي وأولاه عناية خاصة وأهمية كبيرة، كما استرد حق تعيين القضاة في الأقاليم، وازداد الاهتمام بقضاء المظالم، وأوجدوا نظامًا خاصًّا لقضاء الحسبة، ودار المظالم الذي جلس إليه معظم الخلفاء(١).

وبهذا أسس الخليفة أبو جعفر المنصور نظامًا إداريا دقيقًا في المجال القضائي، وكان يصر بنفسه على مراقبة عماله والقضاة خصوصًا، لكونه يعُدّ القاضي أحد أركان الدولة الأربعة، التي لا تصلح بدونهم وهم: القاضي، وصاحب الشرطة، وصاحب الخراج، وصاحب البريد(٢).

وكان للقضاة في دمشق الشأن الكبير والمكانة عظيمة بين الناس، فكانوا يعظمونهم أشد التعظيم؛ ولذلك اهتم الخلفاء بأمر القضاء والقاضي وتوليته واختياره من أكفاء الناس؛ لأن نمو البلاد إنما هو بالحكم بالعدل بين الناس.

فقد ولى المنصور يحيى بن حمزة(٣) وكان من أهل الثقة والعلم، فلم يزل قاضيًا حتى مات، ومن بعده عبد الرحمن بن يزيد(٤) الذي ولي قضاء دمشق في زمن المهدي، ومن بعده تولى عمرو العدوي قضاء دمشق في زمن الرشيد، ولم يزل على القضاء حتى مات في الفتنة التي كانت بين الأمين والمأمون. ثم تولى بعده عبد الأعلى بن مسهر الدمشقي(٥) الحافظ الإمام شيخ الإسلام في الشام، وولي قضاء دمشق كرهًا؛ خرج علي بن عبد الله بن يزيد بن معاوية السفياني(٦) سنة ١٩٥هـ(٧) فولي القضاء بدمشق

---

(١) وكيع: محمد بن خلف بن حبان: أخبار القضاء وتواريخهم، بيروت، دار الكتب العربية، د. ت، ج١، ص: ١٨٤.

(٢) كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٨م، ط٣، ج٢، ص: ١٩٩.

(٣) **يحيى بن حمزة**: هو يحيى بن حمزة بن واقدٍ الحضرمي مولاهم، الإمام الكبير الثقة، أبو عبد الرحمن الحضرمي مولاهم، البتلهي، الدمشقي، قاضي دمشق، ولد سنة ثلاثٍ ومائةٍ، قرأ القرآن على يحيى الذماري، وحدث عن عطاءٍ الخراساني وعروة بن رويمٍ وعمرو بن مهاجرٍ وأبي وهبٍ الكلاعي عبيد الله ومحمد بن الوليد الزبيدي وثور بن يزيد ويزيد بن أبي مريم والأوزاعي. دام على القضاء ثلاثين عاما، وكان ثبتا في الحديث، وإن كان يميل إلى القدر فلم يكن داعية. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ص: ٣٥٤-٣٥٥.

(٤) **عبد الرحمن بن يزيد** بن محمد بن حنظلة بن محمد بن عباد بن جعفر بن رفاعة بن أبي رفاعة، قاضي مكة، وله ابن محدث اسمه محمد؛ وكان أبوه يزيد بن محمد قد استخلفه عيسى بن يزيد الجلودي على مكة، فدخلها عنوة إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، وقتل يزيد بن محمد. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص: ١٤٣.

(٥) **عبد الأعلى بن مسهر الدمشقي**: أبو مسهر، من حفاظ الحديث. ويقال له: ابن أبي دارمة، كان شيخ الشام، وعالمها بالحديث والمغازي وأيام الناس وأنساب الشاميين. امتحنه المأمون العباسي وهو في الرقة، وأكرهه على أن يقول: القرآن مخلوق. فامتنع، فوضعه في النطع، فمد رأسه وجرد السيف، فأبى أن يجيب، وقيل: أجاب ولم يرض المأمون بإجابته، فحمل إلى السجن ببغداد، فأقام نحوا من مئة يوم، ومات. الزركلي: كتاب الأعلام، ص: ٢٦٩.

(٦) **عبد الله بن خالد** المعروف بأبي العميطر علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية السفياني، وأمه نفيسة بنت عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص: ٤١٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص: ٢٣٢.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص: ٢٣٢.

عبد الأعلى بن مسهر كرها، ثم لما خلع علي بن عبد الله تنحى أبو مسهر عن القضاء، فلم يولَّ القضاء بدمشق أحد بعد ذلك حتى قدم المأمون، وقد قيل في أبي مسهر: كان عظيم القدر كثير العلم والأخبار من أعلم الناس(١)، حيث ذكر عن علي بن عثمان النفيلي الحراني(٢): كنا بدمشق على باب أبي مسهر جماعة من أصحاب الحديث، فمرض أيامًا ثم دخلنا عليه نعوده، فقلنا له: يا أبا مسهر، كيف أنت؟ قال: أصبحت والحمد لله في عافية، راضيا عن الله ﷻ ساخطًا على ذي القرنين، حيث لم يجعل السد بيننا وبين أهل العراق كما جعل بين أهل خراسان وبين يأجوج ومأجوج(٣). ويذكر أن يحيى بن حمزة كتب إلى الأمير إسحاق بن عيسى كتابًا، بدأه بقوله: "أما بعد، فلا ينبغي لقاض أن يكون غارمًا(٤)، لأن الغارم يعِد فيخلف، ويقول فيكذب، ولا ينبغي أن يكون به حاجة إلى أحد فيَهِنُ في الحق، وينعاق(٥) عن مفظعه؛ لأن طلب الحاجات فقر ظاهر وهمّ شاغل، ولا ينبغي أن يعارض همّ الحكم هم غيره، فيزري بصاحبه، ويشغله عنه"(٦).

فرض الخلفاء العباسيون ما يعرف بالغرامات التي تصدر من القضاة، إذ يعتبر هذا المورد مستحدثًا في العصر العباسي الأول حيث توجّه القضاء لفرض عقوبات مالية على بعض المذنبين، وكانت تلك الأموال تؤخذ وتنفَق على مصالح المسلمين العامة(٧).

وبهذا فقد بلغ التنظيم الإداري للقضاء غايته القصوى في العهد العباسي، وظهرت فيه تنظيمات كثيرة وأعمال جسيمة تتناسب مع التطور الاقتصادي والاجتماعي للعهد العباسي، وتغطي التوسع الجغرافي وطول الفترة الزمنية التاريخية لبني العباس، وكانت الرعاية للقضاء تامة وكاملة، وبلغت الذروة والقمة في العصر الذهبي الأول للعهد العباسي؛ مما كان له الأثر على مدينة دمشق وتنظيم القضاء فيها، التي كان فيها القضاء هو الأمر الأول والركن الأساسي والأهم بالنسبة لكل خليفه(٨).

---

(١) ابن طولون: شمس الدين: قضاة دمشق، دمشق، المجمع العلمي، ١٩٥٦م، ص: ١٣.

(٢) **الحراني**: هو علي بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن عثمان، أبو محمد النفيلي الحراني، سمع: أبا محمد عبيد الله بن موسى العبسي، وأبا عبد الله محمد بن بكار بن بلال العامري، ويعلى بن عبيد، وأبا صالح كاتب الليث، وعبيد بن جناد الحلبي، والمعافى بن سليمان، وآدم بن أبي إياس، ويزيد بن عبد ربه الجرجسي، وسعيد بن عيسى بن عبد الرحمن الثقفي، وأبا مسهر الدمشقي، وهشام بن إسماعيل الدمشقي، وغيرهم. المقدسي: أبو محمد عبد الغني: الكمال في أسماء الرجال، الكويت، الهيئة العامة للعناية بطباعة ونشر القرآن الكريم والسنة النبوية وعلومها – شركة غراس للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع، ج٧، ج١، ٢٠١٦م، ص: ٣٩٩.

(٣) ابن طولون: قضاة دمشق، ص: ١٣.

(٤) الغرم: الدين، ورجل غارم أي: عليه دين.

(٥) هكذا وردت في (تاريخ دمشق) لابن عساكر ولعلها (يعاق) عن قضائه كما ورد في الحضارة العربية الإسلامية لشوقي خليل.

(٦) خليل: شوقي: الحضارة العربية الإسلامية، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٦م، ط٥، ص: ٢٨٣.

(٧) المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٢٠٠٥م، ج٣، ص: ١١٢– ٣٤٨.

(٨) الزحيلي: تاريخ القضاء في الإسلام، ص: ٢٢٦.

ومما سبق ترى الباحثة بأن التنظيم القضائي لم يكن فقط منحصرًا على جانب الخلفاء العباسيين، بل نُظّم من جانب آخر من قبل قضاة الدولة؛ إذ أسهم بأثر إيجابي على كافة أنحاء الدولة الإسلامية، وبهذا فإن القضاء كان له الأهمية القصوى لدى الخلفاء العباسيين، خاصة في العصر الأول، فقد ظهر اهتمامهم وعنايتهم به منذ وقت مبكر، فعظُم شأن القضاة، وقوِي مركزهم منذ عهد الخلفاء العباسيين الأول، ورغم قلة وندرة الأحداث التي تدور حول القضاء في دمشق فقد تأثرت دمشق بفترة حكم كل خليفة ونظام القضاء المتبع في عصره. وأيضًا إن انتقال الحكم من الأمويين إلى العباسيين لا يعني أن النظام القضائي تغير تغيرا كبيرا بحيث صار لكلا العصرين خصوصية وتميز واختلاف عن بعضها من حيث القواعد والأصول، فمن الصعب الفصل بين العصرين من الناحية القضائية التي اتخذت من القرآن الكريم والسنة والاجتهاد في العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ/ ٧٥٠-٨٤٧م) مصدرا، وعلى الخصوص بدمشق، فقد نما نموا طبيعيًا لما تبلور في العصر الأموي، وعمل العباسيون في البداية على تمييز أنفسهم عن الأمويين الذين جاءوا بعدهم، فسعوا إلى إقامة حكم الله في الأرض، وجذبوا الفقهاء إلى صفهم، وعمدوا إلى استشارتهم في الأمور الإدارية، فنجحوا في تنظيم القضاء الذي يعد من التنظيمات المهمة للعصر العباسي.

المبحث الثالث: تنظيم الخلفاء العباسيين للدواوين في دمشق:

كانت بداية الدواوين[١] في الإسلام على يد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤-٦٤٤م)، ففي عهده اتسعت الفتوح وشملت الشام والعراق، فكثرت الأموال كما كثر عدد الجند، أاصبح من الصعب حصرهم لمعرفة أعدادهم وعدتهم وتنظيمهم، وأيضًا كثرت الواردات، فهو أول من دون الدواوين من العرب في الإسلام[٢]، حيث روي عن أبي هريرة ﷺ أن عمر بن الخطاب قام في الناس خطيبًا فقال: "إنه قدم علينا مال كثير، فإن شئتم أن نعدَّه لكم عدًّا، وإن شئتم أن نكيله لكم كيلًا"، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، إني قد رأيت هؤلاء الأعاجم يدوّنون ديونًا يعطون الناس عليه.

---

(١) **الديوان**: بكسر الدال وتفتح، هو مجموع الصحف، أما اصطلاحًا: فهو يطلق على الكتاب الذي يكتب فيه لأهل الجيش والعطية، ويطلق على العمال الذين يقومون بأعمال الجنايات وحفظ حقوق الدولة فيما يخص الدخل والخرج وإحصاء عدد العساكر بأسمائهم وتقدير أرزاقهم ومقدار أعطياتهم. ويطلق أيضا لفظ الديوان على المكان الذي يجلس فيه هؤلاء العمال، والديوان في تعريف أقضى القضاة أبي الحسن الماردي الديوان محفوظ بحفظ ما تعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، د. م، دار الفكر للنشر، د. ت، ج١، ص: ٣٠٣. المعايطة: زريف مرزوق: نشأة الدواوين وتطورها في صدر الإسلام، الإمارات، مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠٠م، ص: ٤٠.

(٢) الكساسبة: الدواوين المركزية في العصر العباسي الأول، ص: ٢٣.

قال: فدون الديوان[١]. وقيل في رواية أخرى: إن الذي أشار بالديوان هو خالد بن الوليد ﷺ فقال: "رأيت ملوك الشام يدوِّنون" فقبل منه عمر[٢]. وكان الديوان الأول هو ديوان الجند؛ ولذا أنشأ الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الديوان.

تعريب الدواوين:

كان الديوان الذي اتخذه عمر بن الخطاب ﷺ الأصل الذي تأسست عليه الأداة الحكومية للخلافة الإسلامية، وارتضى عمر لولاته في الشرق أن يستعينوا في جمع الخراج بنفس عمال الفرس لخبرتهم التامة بكل الشؤون المتصلة بهذا الجمع، من تقدير الخراج وغيره، وظلوا يدونونها بالفارسية حتى أمر عبد الملك بن مروان[٣] بتعريبها في العراق، كما أمر بتعريب الدواوين الرومية في الشام ومصر، ومن الأسباب التي جعلت عبد الملك يقوم بتعريب الدواوين الاختلاف الواضح منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الذي بين أحكام الجزية والخراج وعشور الأرض وعشور التجارة في العراق وفارس عنها في الشام ومصر، وقد حمل على إيجاد هذا الاختلاف اختلاف لغات الدواوين إلى العربية، ويستخرج منها نظامًا موحدًا يفرضه على الدولة الإسلامية كلها[٤]، ولكن كان هناك تأثير للدواوين الفارسية كما كان في عهد معاوية، فقد تأثر بنظم الدواوين الفارسية، فاتخذ ديوانًا للخاتم وديوانًا للرسائل[٥]، وأدى التعريب إلى نقل كثير من المصطلحات الأجنبية إلى العربية، وانتشار اللغة العربية التي أصبحت لغة الإدارة والثقافة، فضلا عن أنها لغة الدين والسياسة.

أما عن نشأة الدواوين في العصر العباسي الأول فقد كانت السجلات الرئيسية تكتب على الجلود حتى عصر الرشيد حيث صارت أو بعضها يكتب على الورق الذي أخذ ينتشر استعماله في العالم الإسلامي[٦]، وكانت منظمة تنظيمًا دقيقًا، وبدأ التنظيم يتخذ شكله الأساسي في عهد الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٥-٧٨٥م)، وفي وزارة الوزير أبي عبيد الله معاوية بن يسار[٧]، وأن هذا الوزير جمع

---

(١) البيهقي: أحمد بن الحسين: كتاب السنن الكبرى، ج٦، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص: ٥٦٩. المعايطة: نشأة الدواوين وتطورها في صدر الإسلام، ٢٠٠٠م، ص: ٤٠.

(٢) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ص: ٣٠٣.

(٣) **عبد الملك بن مروان** بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. الزهري: محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٢١-٢٠٠١م، ج٧، ص: ٢٢١.

(٤) حلاق: تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي، ص: ١٨٥.

(٥) ضيف: شوقي: العصر العباسي الأول، القاهرة، دار المعارف، د. ت، ط ٨، ص: ٢٠.

(٦) العلي: صالح أحمد: الدواوين والوزارة مراكزها في العهود العباسية، د. م، د. ن، د. ت، ص: ١٣٧.

(٧) **معاوية بن عبيد الله** بن يسار الأشعري أبو عبيد الله: من كبار الوزراء. أصله من طبرية من بلاد الأردن. اشتغل بالحديث والأدب. =

له حاصل الدولة، ورتب الديوان (الخراج) وقرر القواعد في إدارة الدولة، كما أنه أول من صنف كتابًا في الخراج ذكر فيه أحكامه الشرعية وقواعده، وأنه هو الذي استحدث في ترتيبه الجديد الدوائر أو الأقسام في كل ديوان من دواوين الدولة والتي تطورت فيما بعد[١]. وقد أخذت الدواوين في العصر العباسي بالتطور بحسب الظروف التي مرت بها الدولة الإسلامية، فأحدثوا دواوين جديدة، كما وسعوا من صلاحيات الوزير[٢]، وكان ديوان الإنشاء تارة يضاف إلى الوزارة فيكون الوزير هو الذي ينفذ أموره بقلمه ويتولى أحواله بنفسه[٣]، وألحقوا إليه الإشراف على كل الدواوين. ومن هذه التطورات الاستفادة من الخبرة الفارسية في الشؤون الإدارية، كما استدعى تطور أنواع العمران البشري واعتماد العباسيين على الفرس في إدارة شؤون الدولة أخذ كثير من أنظمة الحكم والكثير من الأمور، خاصة الدواوين التي أدت إلى اتساع نطاق الجهاز الإداري للحكومة الإسلامية[٤].

وفي عهد الخليفة أبي العباس السفاح أعيد ترتيب وتنظيم السجلات الإدارية، واتخذ لذلك سجلات ودفاتر عوضًا أن تكون في صحف متفرقة لصيانتها من الضياع، وفي عهد المنصور بعد نقل الخلافة إلى بغداد أمر بنقل بيت المال وخزانة السلاح ونقل الدواوين، ومنها ديوان الرسائل والجند والخراج والخاتم وديوان النفقات والأحشام الذين كانوا يعملون في البلاط. ولما جاء عهد الخليفة المهدي جاءت معه سياسة المراجعات والإصلاحات، فاستحكمت التنظيمات على مستوى الدواوين، وقويت مراقبة أدائها، واستحدثت دواوين جديدة كدواوين الزمام سنة ١٦٢هـ/ ٧٧٩م. ولم يتوقف تطور ديوان الإنشاء في عهد المهدي، وأصبح من يتولاه يستخلف عليه من يريد، بالإضافة إلى فصل المراسلات الخاصة بالخليفة عن مراسلات الدولة وخاصة وزارة التفويض[٥]، ثم مضى التطور قُدُما في عهد الرشيد، فقد أدخل عليه تعديلات، وفي عهد الخليفة الرشيد ظهر ديوان الصوافي للنظر في أمور الأراضي التابعة للدولة، وكذلك أملاك الخليفة وأسرته -باعتباره رئيسا للمسلمين- المنتشرة في أنحاء الدول المختلفة التي تأتي بالتبعية منهم دمشق، كما ظهر ديوان الجهابذة في عهد الخليفة المأمون، وهو فرع من فروع بيت المال اتخذ للنظر

=

واتصل بالمهديّ العباسي قبل خلافته، فكان كاتبه ووزيره. وكان المهدي يعظمه ولا يخالفه في شيء يشير به عليه. ولما آلت الخلافة إلى (المهدي) فوض إليه تدبير المملكة والدواوين. الزركلي: كتاب الأعلام، ص: ٢٦٢.

(١) الحيارى: مصطفى: الدواوين من كتاب الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر، عمان، ١٩٨٦م، ص: ١٩.

(٢) دراج: أحمد السيد: صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية، د. م، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، د. ت، ص: ٣٣-٣٤.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ص: ١٢٧.

(٤) دراج: أحمد السيد: صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية، د. م، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، د. ت، ص: ٣٣-٣٤.

(٥) **وزارة التفويض**: وهي أن يعهد الخليفة بالوزارة إلى رجل يفوض إليه النظر في أمور الدولة والتصرف في شؤونها دون الرجوع إليه. الشريف: حسن أحمد: العالم الإسلامي في العصر العباسي، القاهرة، دار الفكر العربي، د. ت، ص: ٢١٧.

في حسابات بيت المال، أنشأ ديوان الموالي والغلمان للنظر في شئون الموالي المرتبطين ببلاط الخليفة(١) بهدف تسجيل أسماء مواليه وغلمانه من الأتراك، والاهتمام في الاستكثار منهم، وسبب ظهوره كثرة الأتراك واستخدامه لهم وتزايد عددهم في الجيش، مثل ديوان الصادرات وغيرها من الدواوين التي ظهرت تلبية للحاجة إليها في ذلك العصر، وبذلك فإن للديوان أهمية كبرى فيما يتعلق بأمور الدولة وحقوقها وحصر جنودها مراتبهم، فاهتم الخلفاء العباسيون بالدواوين وكثرت اختصاصاتها، وتنوعت بسبب التعاون الوثيق بين العباسيين والفرس، كما أخذ العباسيون الخبرة الفارسية في مجال الإدارة، كما احتفظوا ببعض تنظيمات الدولة الأموية خصوصًا في الدواوين والدوائر الرسمية، كما استحدثوا بعض الدواوين كديوان المصادرات، وديوان المظالم وغيرها(٢).

ومن أثر الدواوين في العصر العباسي ما حدث في خلافة الرشيد في عام ١٨٧هـ/ ٨٠٣م حيث أمر بقتل جعفر بن يحيى البرمكي(٣)، وأمر بحبس ولديه يحيى والفضل، وأمر بتصفية أموالهم، وقد اختلف المؤرخون في الدوافع التي حملت الخليفة الرشيد على تصفية البرامكة(٤) بهذا الشكل، ومن الأسباب التي أدت لهذا منح الرشيد يحيى البرمكي صلاحيات واسعة، فكان يدير ويرأس الديوان، وبيده ديوان الخاتم الذي يعد رمز السلطة والنفوذ، وبهذا فإن المتحكم في الدواوين تكون له سلطة ونفوذ واسع تمكنه حتى من أن يكون خطرًا على سلطة الخليفة نفسه(٥).

وأيضًا من الأزمات الشديدة التي أثرت تأثيرًا كبيرًا في الدولة العباسية فيما يخص الدواوين واقعة إحراق الدواوين في بغداد سنة ١٩٧هـ/ ٨١٣م، خلال الفتنة بين الخليفة الأمين والخليفة المأمون، فقد أصابت النظام الإداري والمالي وسجلاتها وغيرها، فكان ذلك مع فتن الأقاليم قد شلَّ الدولة العباسية وخاصة الإدارة المالية تمام الشلل، فلم تتحسن الأوضاع إلا حين استقر المأمون في بغداد، وبدأ تنظيم

---

(١) أولاد ضياف: رابح: محاضرات في تاريخ النظم الإسلامية، الجزائر، د. ن، ٢٠١٥م، ص: ٦٠-٦٣.

(٢) قباني: الدولة العباسية من الميلاد إلى السقوط، ط١، ص: ٥٠.

(٣) **جعفر بن يحيى البرمكي** أبو الفضل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جاماس بن يشتاسف البرمكي وزير هارون الرشيد. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ص: ٣٢٨.

(٤) **البرامكة**: هي أسرة تسكن بلخ، بدأ اتصال البرامكة بالعباسيين عندما دخل خالد بن برمك في الدعوة العباسية، وأصبح لهم دور في الحياة الإدارية والسياسية للدولة العباسية والعلمية والعمرانية والمالية، فكسبوا ولاء العامة والخاصة من المجتمع العباسي، حتى جاء شهر صفر سنة ١٨٧هـ فأمر الشيد بسجنهم ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم فيما عرف في التاريخ بنكبة البرامكة. الإتليدي: محمد بدياب: نوادر الخلفاء المشهور بإعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص: ١٦٧.

(٥) عزام: خالد: موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العباسي عمان، دار أسامة للنشر، ٢٠٠٩م، ص: ١٢٠-١٢١.

أمر الخراج من جديد سنة ٢٠٤هـ/ ٨١٩م، وهي كما قال قدامة بن جعفر: "أول سنة يوجد حسابها بالدواوين"(١).

أنواع الدواوين:

١. ديوان الخراج: عُرّف بأنه: "ما وضع على رقاب الأرضين من حقوق تؤدّى عنها وأرض ما وقعت عليه المساحة"(٢)، وهو الذي يدون فيه جبايات الأموال في دولة الخليفة، فعن طريقه كان يتم تحصيل الضرائب المستحقة عن الأراضي حسب الأسس التي وضعت، وأيضًا تحفظ فيه سجلات تقدير الضرائب في جميع أنحاء الدولة ومقدارها وكيفيتها وطريقة تحصيلها، وبالإضافة إلى مهمته من ناحية الزراعة كان هذا الديوان مسؤولا عن ضريبة الجزية وضريبة الصدقات وعشور التجارة(٣).

٢. ديوان الضياع: يرجع إلى زمن الخليفة هارون الرشيد، وإن اختصاص هذا الديوان مرتبط بالإقطاعات(٤) التي يبدو أن الخلفاء قد أكثروا من إطلاقها في هذه الفترة.

٣. ديوان الجند: يعد أكبر ديوان في الدولة، يحدّد فيه مقدار أعطيات جميع العرب والجنود المقاتلة من العرب وغير العرب، ومنذ إنشائه وهو باللغة العربية(٥).

٤. وكان هناك ديوان يسمى ديوان العرض الذي تكمن وظيفته في اختيار الراغبين بالالتحاق بالجيش(٦)، ولما خفت حركة الجيوش وهدأت الحروب الخارجية أبطل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك العطاءات لمن لا يقوم أو يشارك بالعمل العسكري بنفسه أو من يبعث مكانه نائبا عنه، فضلا عن قيامه بإلغاء أسماء جميع من يستنكفون في الجندية ولو كان أميرًا أمويًّا، وبهذا الإصلاح تحدد الأشخاص الذين يتناولون أعطيات مقدرة ومقررة من ديوان الجند، ولم يعد أموال هذا الديوان حقًّا لجميع العرب، وكانت هناك دواوين متفرعة من ديوان الجند، وكانت

---

(١) يعقوب بن إبراهيم: أبو يوسف: كتاب الخراج لأبي يوسف، د. م، المكتبة الأزهرية، د. ت، ص: ٩٩. بديوي: خالد محمد أحمد: الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية والثقافية في عصر الخليفة المأمون رسالة ماجستير، ص: ٣٥٧.

(٢) فطوم: مسلم وآخرون: نظام الدواوين في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير، الجزائر، د. ن، ٢٠١٥م، ص: ٤١.

(٣) فوزي: فاروق عمر: تاريخ النظم الإسلامية، بيروت، دار الشروق، ٢٠١٠م، ص: ٣٦٨.

(٤) **الإقطاع**: أن يقطع السلطان رجلا أرضا فتصير له رقبتها وتسمى تلك الأرضون: قطائع واحدتها: قطيعة مفاتيح العلوم. الخوارزمي: محمد بن أحمد: مفتاح العلوم، د. م، دار الكتاب العربي، د. ت، ص: ٨٦.

(٥) فطوم: نظام الدواوين في العصر العباسي الأول، ص: ١٧.

(٦) إلياس: عبد الوهاب خضر: نظام دفع رواتب جيش الخلافة العباسية في العراق، الموصل: مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية: المجلد ٩، العدد ١، ٢٠٠٨م، ص: ٢٤٠.

تحت إشراف ولاة، ولا يمكنهم اتخاذ أي قرار بمبادرة أي هجوم دون استئذان الخليفة[١]. وكان هذا الديوان يشتمل على أغراض عدة، ومن أهمها وأبرزها دفع راتب الوزير وحواشي الخليفة وأصحاب بيت المال وأرباب الرتب بحضرة الخليفة، ورواتب القضاة وأرباب الدواوين[٢].

٥. ديوان النفقات: وقد كان أكبر مهمات هذا الديوان هو القيام بنفقات دار الخلافة وحاجاتها ونفقات الدواوين المركزية، ويعود اقتصار النفقات على ذلك إلى طبيعة النظام الإداري، وكانت دواوين الخراج تقوم مقام ديوان النفقات فيها، بالإضافة إلى جبايتها للخراج وبقية الضرائب، حيث كانت تستوفي من تلك الأموال النفقات الراتبة أو أعطيات الجند فيها، ويرسل الباقي إلى العاصمة. وقسم هذا الديوان إلى نفقات نظرًا لتنوع الأعمال التي كانت تجري تحت إشراف صاحب الديوان[٣].

٦. ديوان بيت المال: وهو الديوان الذي يقوم بالإشراف على ما يرد إلى بيت المال من الأموال، وما يخرج منه في أوجه النفقات المختلفة[٤]، وكانت نشأته لازمة لضبط ايرادات الدولة ومصروفاتها في الجهة والوجهة المناسبة لها، وكان لهذا الديوان أهمية كبيرة حيث سمي بالديوان السامي[٥]؛ لأنه يعد أصل الدواوين، ويرى أن هذا الديوان من أهم مؤسسات الدولة لأنه يهتم بحفظ حقوق الدولة في دخلها وخراجها[٦].

٧. ديوان الرسائل: يعتبر هذا الديوان من أهم الدواوين في الخلافة العباسية، فيتم في هذا الديوان جمع مكاتبات الخليفة في مختلف الأمور؛ مثل العهود والولايات والتي تظهر براعة الكاتب وسعة معرفته، وهو معرض للملوك وواجهة الدولة إلى الدول الأخرى، وكان يختار لهذا الديوان الأكفاء من الناس في المروءة والحشمة والعلم والبلاغة والفصاحة، وكانت الرسائل الديوانية تمثل الرسائل الخاصة بشؤون الدولة في الداخل والخارج، والديوان هو مصدرها وموردها، فقد كانت تتناول تصريف أعمال الدولة وما يتصل بها[٧]. كما يعرف بديوان الإنشاء لقب أبو

---

(١) العمري: أكرم ضياء: الخلافة الراشدة، د. م، مكتبة العبيكان، ٢٠١٧م، ص: ١١٧.

(٢) المقريزي: تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة، نشر بولاق، د. ت، ج٢، ص: ٤٠١.

(٣) السيد: دراسات في تاريخ العرب، ص: ٢٩٥.

(٤) البغدادي: قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م، ص: ٣٦.

(٥) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ص: ١٩٢.

(٦) البغدادي: الخراج وصناعة الكتابة، ص: ٣٦. الكساسبة: الدواوين المركزية في العصر العباسي الأول، ص: ٦٢.

(٧) البغدادي: الخراج وصناعة الكتابة، ص: ٣٧. ضيف: العصر العباسي الأول، ص: ٤٦٨.

العباس السفاح كاتبه بالوزارة، كما لقب متوليه بصاحب ديوان الرسائل، وأن العامة كانوا يبدلون الباء من كلمة كاتب السر بميم فيقولون: كاتم السر، وهذا يكتم السر؛ لأنه يكتم سر الملك(١). ولأهمية الكتابة والتدوين في الدولة العباسية كان ديوان الإنشاء أهم دواوين الخلافة، وحظي أصحابه بالاهتمام بكتب التراجم.

٨. دواوين التوقيع والخاتم(٢) والمظالم: وكانت هذه الدواوين مرتبطة بالخليفة أو من ينوب عنه في القيام بأعمالها، وكان يقوم بأعمالها عدد من الكتاب يزيد أو ينقص حسب مقدار العمل فيها، ولم يكن فيها مجالس خاصة كباقي الدواوين.

وتوحّدت إدارة ديوان الخاتم مع ديوان الفض، وعهد بهما إلى رجل واحد كان يتسلم لقاء ذلك راتبًا شهريًّا قدره أربعمائة دينار، واستمر توحيد هذين الديوانين بعد ذلك(٣).

ومن خلال ما تقدم ذكره يتبين أن ديوان الخاتم يعد من التنظيمات السلطانية والوظائف الملكية، إذ كان يسجل كل أمر يصدره الخليفة، ثم تختم النسخة الأصلية وترسل إلى الجهة المرسلة، ونظرًا إلى أهمية هذا الديوان فقد كانت ترسل المراسلات قبل إنشائه غير مختومة وتسلم إلى الجهة المعنية.

٩. ديوان البريد: لم ينشأ ديوان البريد في العصر العباسي، وإنما كان موجودًا في العصور السابقة، ولكنه حُدِّث وأصبح أكثر سرعة وفاعلية، وكان البريد خاصًّا بأعمال الدولة، ولا يهتم بنقل رسائل الجمهور، وكان على صاحب البريد أن يراقب العمال، ويتجسّس على الأعداء، وهذا تطور في مهمة صاحب البريد الذي كانت تقتصر على نقل الأخبار من الخليفة إلى العمال وبالعكس، فأصبح بمثابة عين الخليفة في تقصي الأخبار والمعلومات(٤)، وبالنسبة لدمشق مع ديوان البريد كانت هناك طريق بريد تربط العاصمة دمشق بعواصم الأمصار الإسلامية، ومن أهم هذه الطرق الطريق الذي يربط بين الكوفة ودمشق، والطريق الذي يربط بين مكة والمدينة بدمشق(٥).

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ص: ١٣٥-١٣٧.

(٢) **الخاتم**: هو رسم كانت الفرس تجري أمرها عليه، لأن الملك إذا أمر بأمر وقعه صاحب التوقيع بين يديه، وهي الآلة التي تجعل في الأصبع ومنه تختم إذا لبسه، ويطلق على النهاية ومنه: ختمت الأمر إذا بلغت آخره. البغدادي: الخراج وصناعة الكتابة، ص: ٥٥. ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ص: ٣٢٦.

(٣) البغدادي: الخراج وصناعة الكتابة، ص: ٥٥. السامرائي: حسام الدين: المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتب، ٢٠٠٤م، ط٢، ص: ٢٢٣.

(٤) بيطار: العصر العباسي الأول، ص: ٣٣٠.

(٥) دراج: صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية، ص٣٣.

ويمكن في هذا الصدد أن أشير إلى أن العباسيين أضافوا وسائل أخرى في ديوان البريد عكس الأمويين، ومما تقدم يمكن القول أن وسائل نقل البريد والمراسلات تنوعت في العصر الأول، وهذا راجع إلى نوعية الأخبار والأغراض والمكاتبات، ومع تعدد وسائل النقل فإن المصادر والمدونات التاريخية تتفق على ذكر استخدام البغال والخيول والجمال والحمام الزاجل، وهذا الطرح الذي ذهب إليه المؤرخ ابن الأثير.

١٠. ديوان الزمام – الأزمة: استحدث هذا الديوان في الدولة العباسية كجهاز إشراف على عمل الدواوين الأخرى، ويعد هذا الديوان من أهم الدواوين التي برزت واستحدثت في عهد الخليفة المهدي، ويقوم على مراجعة حسابات الضرائب في دواوين الولايات الفرعية ضمن سجلات توضع في هذا الديوان. وكانت أيضًا حكومة الخليفة تسمى بديوان العزيز، وكان رئيس الوزراء يشرف على هذا الديوان[١] ويلقب بوزير ديوان العزيز، ورؤساء الدواوين الأخرى يلقبون أحيانًا بالوزير، ولكنهم تابعون لرئيس الوزراء الذي كان على رأس الحكومة، وهذه كانت أهم الدواوين المتعارف عليها في العصر العباسي حيث يوجد هناك دواوين أخرى، منها ما كانت تقام لأغراض محددة وتنتهي بانتهاء الغرض منها[٢].

١١. ديوان الحوائج: ديوان مستحدث يقوم رئيسه بجمع الرقائع وضبطها للخليفة حتى ينظر فيها وينصف أصحابها، أنشأه الخليفة المنصور[٣].

ترى الباحثة أنّ العصر العباسي الأول من أزهي العصور، فقد استطاع الخلفاء تسيير البلاد بشكل منظم من أجل نشر القوانين بالكيفية الصحيحة، فقد عمل حكام الدولة على تسهيل شؤون البلاد والتقدم والرقي بها، وكان من أهم هذه الإسهامات تدوين الدواوين وتطويرها إلى العديد من الدواوين التي تخدم الدولة وتعمل على النهوض بها. ومما سبق يتضح للباحثة مدى تأثير الدواوين في كل عصر خليفة من الخلفاء في العصر العباسي حيث إن نظام الدولة يختلف تماما ويتأثر بمدى تنظيم الدواوين فيها، وهذا يترتب على ما حدث في دمشق وتأثير الدواوين وتنظيمها فيها من قبل الخليفة، حيث تنظيم الدواوين وأحكامها وجعلها في أيدٍ أمنيه وأناس ثقة يترتب عليها التنظيم الملحوظ في أحوال الدولة في جميع الجوانب الإدارية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

---

(١) البغدادي: الخراج وصناعة الكتابة، ص: ٥٦. حسن: التاريخ الإسلامي العام، ص: ٥٥٨.

(٢) البغدادي: الخراج وصناعة الكتابة، ص: ٢٠-٤٤.

(٣) طيفور: أحمد بن طاهر: كتاب بغداد، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٤٩م، ص: ٣٩.

كما ترى الباحثة تميز العصر العباسي بسمات حضارية، ومن أبرزها الدواوين والقضاء، فمن الرأي الصحيح الذي لا يقبل الشك أن ما تعرضت له دمشق خلال العصر العباسي من تنظيمات دفعتها إلى إبراز مكانتها التاريخية في تلك الحقبة كما جاء في كتب المصادر.

الفصل الثاني

النُّظُم الاقتصادية في دمشق خلال العصر العباسي الأول

المبحث الأول: التنظيم الزراعي.

المبحث الثاني: تنظيم الأحوال التجارية.

المبحث الثالث: تنظيم الصناعة الحرفية.

المبحث الرابع: تنظيم الخلفاء العباسيين للموارد المالية.

الفصل الثاني
النُّظُم الاقتصادية في دمشق خلال العصر العباسي الأول

تميَّزت فترة العصر العباسي الأول بسماتها الاقتصادية المزدهرة والأوضاع التجارية المتعددة، حيث اكتسبت طابع التنوع في الأدوات والوسائل والسلع والنظم المتبعة؛ إذ تمتعت دمشق بأنماط تجارية متنوعة أسهمت في استحداث أسواق وشركات تجارية تضمن الكفاءة والجودة والحماية للتجار والسلع. وسَأتنَاول في هذا الفصل النظم الاقتصادية فِي دمشق خلال العصر العبَاسِي الأول من خلال التَنظِيم الزرَاعِي فِي دمشق، وَالتجَارِي، وَالحرف وَالصنَاعَات، وتنظيم الخلفاء العباسيين للموارد المالية.

المبحث الأول: التنظيم الزراعي:

أ- الثروة الزراعية:

تميزت دمشق عن غيرها من مناطق الشام بغناها بمصادر المياه، التي تتمثل في نهر بردى وفروعه الكثيرة، وعلاوة على ذلك كثرة الينابيع المتفجرة فيها، والتي تؤدي إلى تجمع السيول المتعددة والمتكونة في مواسم الأمطار[(١)].

وقد استغلّ أهل دمشق واستثمروا تلك المصادر للمياه، وعملوا على شق الطرق والقنوات إلى أراضيهم وبساتينهم لتسقي زروعهم وأشجارهم[(٢)].

يتضح لنا أنّ الأوضاع الزراعية في دمشق استمرت على ما كانت عليه أيام الخلافة الأموية وما قبلها[(٣)]. ولكن المأمون خلال زيارته لدمشق ومقامه بدير مران[(٤)] أمر بحفر قناة من نهر منين[(٥)] وأجراها إلى معسكره بدير مران[(٦)].

---

(١) دويدري: رجاء: جغرافية سورية في العصر العربي، دمشق، مطبعة طربين، ١٩٨٢م، ص: ٤٣٠.

(٢) خير: صفوح: مدينة دمشق، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد، ١٩٧٢م، ص: ١٤٠.

(٣) بيطار: أمينة: الحياة السياسية واهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام، ص: ٣٢٨.

(٤) **دير مُران**: بضم أوله، بلفظ تثنية المر، والذي بالحجاز مَران، بالفتح، قال الخالدي: هذا الدير بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة، وبناؤه بالجص وأكثر فرشه بالبلاط الملون، وهو دير كبير وفيه رهبان كثيرة، وفي هيكله صورة عجيبة دقيقة المعاني، والأشجار محيطة به. الحموي: معجم البلدان، ص: ٥٣٣.

(٥) **مَنين**: بالفتح قرية في جبل سنير قريبة من دمشق. الحموي: معجم البلدان، ص: ٢١٨.

(٦) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٢، ص: ٢٩١، علي: محمد كرد: خطط الشام، ص: ٢٦٦-٢٦٧.

وقد بذل الخلفاء العباسيون جهدًا لإصلاح الأوضاع الاقتصادية في دمشق لعلهم يستطيعون إنقاذ المنطقة من حالة السوء والتردي التي كانت عليها، ولعلّهم بعد ذلك يستطيعون زيادة الدخل ويذهب إلى خزينة الدولة. وقد بعث الخليفة المنصور بقية بن الوليد الكلاعي(١) وهضب بن طوق(٢) ومحرز بن حسان(٣) لتعديل أرض دمشق(٤).

كما قام بتعديلها مرة أخرى حيث بعث إسماعيل بن عياش بن سليم الحمصي(٥) إلى دمشق فعدل أرضها للخراج(٦).

وكان الخليفة المنصور قد عدل أرض الغوطة(٧) وجعل على كل ثلاثين مدا دينارا بالقاسمي، وكان أداء الناس على ذلك الحال إلى أن تعدى من تعدى(٨).

وأقام الخليفة المأمون سنة ٢١٤هـ/ ٨٢٩م بدمشق لمساحة أرض الشام، حيث استقدم أحمد بن حرب بن محمد بن مازن الطائي(٩) من الموصل إلى دمشق، حتى يقوم بتعديل أرض الشام ومساحتها(١٠).

---

(١) **بقية بن الوليد بن صائد** بن كعب بن حريزٍ الحميري، الحافظ، العالم، محدث حمص أبو يحمد الحميري، الكلاعي، ثم الميتمي، الحمصي، أحد المشاهير، ولد سنة عشرٍ ومائةٍ، سمع ذلك منه: يزيد بن عبد ربه الجرجسي، وروى عن: محمد بن زيادٍ الألهاني، وصفوان بن عمروٍ السكسكي، وبحير بن سعدٍ وغيرهم، وكان من أوعية العلم، لكنه كدر ذلك بالإكثار عن الضعفاء، والعوام، والحمل عمن دب ودرج. بعثه أبو جعفر المنصور إلى دمشق لمساحتها. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٥، ص: ٢٣٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ص: ٥١٩.

(٢) **هضب بن طوق**: كاتب ولي خراج دمشق في ولاية الخليفة المنصور. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٢٧، ص: ١١٥.

(٣) **محرز بن حيان الفزاري** مولى بني فزارة والي خراج دمشق وتعديلها. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٥٧، ص: ٨٠.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٠، ص: ٣٢٩.

(٥) **هو إسماعيل بن عياش بن سليمٍ العنسي**، الحافظ الإمام، محدث الشام، أبو عتبة الحمصي، العنسي مولاهم، ولد: سنة ثمانٍ ومائةٍ، وسمع من: شرحبيل بن مسلمٍ الخولاني، ومحمد بن زيادٍ الألهاني، وعبد الله بن دينارٍ البهراني، وعبد الرحمن بن جبير بن نفيرٍ وخلقٍ من الشاميين. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص: ٣١٢-٣١٣.

(٦) الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٣م، ١٤١٣هـ، ط٢، ص: ٧١.

(٧) **الغوطة**: اسم البساتين والمياه والنباتات التي حول دمشق. ابن منظور: محمد كرم: لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ، ج٧، ص: ٣٦٦.

(٨) علي: خطط الشام، ص: ٥٨.

(٩) **أحمد بن حرب بن محمد بن مازن الطائي**: أحمد بن حرب بن محمد الطائي الموصلي أخو علي بن حرب يروي عن يزيد بن هارون وإسماعيل بن علية وسفيان بن عيينة وأبي معاوية حدثنا عنه شيوخنا مات بأذنة سنة ثلاث وستين ومائتين الثقات. ابن حبان: محمد بن حبان: الثقات لابن حبان، الهند، وزارة المعارف للحكومة العالمية الهندية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، ج٨، ص: ٣٩.

(١٠) ابن العديم: عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة: بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، د. ت، ج٥، ص: ٢١٨٣-٢١٨٥.

وكانت كورة بخارى[١] معروفة بأنها جنة حقيقية، لا سيما في أيام آل ساسان أي: بعد سنة ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م، ويُعدّ وادي الصغد[٢]بين جنات الأرض الأربع -والثلاث الأخرى هي: شعب بوان في فارس، وبساتين الأبلة الممتدة من البصرة إلى الجنوب الشرقي، وغوطة دمشق-. فقد كان ينمو في جنائن هذه الكورة شتى أنواع الأشجار المثمرة والبقول والأزهار كالتمر والتفاح والمشمش والدراق[٣] والخوخ والليمون والبرتقال والتين والعنب والزيتون واللوز والرمان والباذنجان... إلخ[٤].

وقد عني خلفاء العصر العباسي بالزراعة وفلاحة البساتين التي قامت على دراسة علمية، بفضل انتشار المدارس الزراعية التي لها أثر كبير في إنارة عقول المسلمين، فتوسعوا في البحث النظري، ودرسوا أنواع النباتات وصلاحية التربة لزراعتها، واستعملوا الأسمدة المختلفة لأنواع النبات.

ولما جاء الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م) زاد اهتمامه الكبير بالإصلاح الزراعي، فرفع الظلم عن رعيته وأصلح أمورهم، وقرر في أوائل عهده تخفيف الضريبة عن أهل السواد سنة (١٧٢هـ/ ٧٨٩م) فأصدر أمرا بحذف مقدار نسبة ضريبة العشر التي كانت تجبى بعد جباية ضريبة النصف ٥٥%، وذلك بزيادة العشر عن النصف فبلغت الغلة[٥] ٦٠%، وكان قد حصل منذ أواخر أيام المهدي حين اختلت الأمور ووجدت الحاجة الشديدة إلى المال، فكان حذف الرشيد الزيادة للعشر بإرجاعه إلى النصف ٥٠% إنصافا ولا شك للزراع[٦].

---

(١) **الكورة** اسم فارسي بحت، يقع على قسم من أقسام الأستان، وقد استعارتها العرب وجعلتها للأستان، كما استعارت الإقليم من اليونانيين فجعلته اسما للكشخر، فالكورة والأستان واحد. والكورة كل صقع يشتمل على عدة قرى. الحموي: معجم البلدان، ص: ٣٦. وبخارى من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، يعبر إليها من آمل الشط، وبينها وبين جيحون يومان من هذا الوجه، وكانت قاعدة ملك السامانية، وهي مدينة على أرض مستوية، وبناؤها خشب مشبك، ويحيط بهذا البناء من القصور والبساتين والمحال والسكك المفترشة والقرى المتصلة سور يكون اثني عشر فرسخا في مثلها يجمع هذه القصور والأبنية والقرى والقصبة. الحموي: معجم البلدان، ص: ٣٥٣.

(٢) **وادي الصغد**: بالضم ثم السكون، وآخره دال مهملة، وقد يقال بالسين مكان الصاد: وهي كورة عجيبة قصبتها سمرقند، وقيل: هما صغدان صغد سمرقند وصغد بخارى، وقيل: جنان الدنيا أربع: غوطة دمشق وصغد سمرقند ونهر الأبلة وشعب بوان، وهي قرى متصلة خلال الأشجار والبساتين من سمرقند إلى قريب من بخارى لا تبين القرية حتى تأتيها لالتحاف الأشجار بها، وهي من أطيب أرض الله، كثيرة الأشجار غزيرة الأنهار متجاوبة الأطيار. الحموي: معجم البلدان، ص: ٤٠٩.

(٣) **الدراق**: شجرة مثمرة تتبع سلالة الخوخ تنبت في الشام. أحمد: مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ، ص: ٧٤٠.

(٤) الحموي: معجم البلدان، ص: ٤٠٩.

(٥) **الغلة**: فيه هي معيار التقدير وليس مساحة الأرض المزروعة. عمارة: محمد: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، بيروت، دار الشروق، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ط١، ص: ٥٥٣.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص: ٢٣٦.

وقد كان تملّك الأراضي الزراعية في العصر العباسي تابعًا لما كان عليه في العصر الأموي إذ يعد استثمارا يعود بالربح الوفير على صاحبه. ولما كان الأمويون يهتمون بتنمية مواردهم الاقتصادية وثروتهم الخاصة، فقد أقبلوا على عمل الضياع[١] وتملكها، وأدى ذلك إلى ظهور ما يعرف بـ (ضياع بني أمية)، وكانت تشمل القصور والحوانيت[٢] والقياسر[٣] والطواحين[٤] وغيرها. وكانت لهم طرق عدة في استصفاء هذه الضياع، ومن هذه الطرق التنظيمية: الإقطاع[٥]، وإحياء الأراضي الموات، والشراء والإلجاء[٦]، والمصادرات، ولا سيما مصادرة أملاك الخارجين على السلطة[٧].

وبعد أن سقطت الدولة الأموية (١٣٢هـ/ ٧٤٩م) حلّت محلها الأسرة العباسية، واستحوذت على جميع ما تركته الدولة الأموية. وبعد أن قضى عبد الله بن علي على أغلب الأمويين ومن يشك في أمره من أهل الشام، رأى أن يستولي على أموالهم مهما كانت الوسيلة التي يستخدمها لتحقيق ذلك. ولما انتهى القتال بين الأمويين والعباسيين في معركة الزاب (١٣٢هـ/ ٧٤٩م) هرب مروان بن محمد[٨] تاركا وراءه معسكره وأمواله التي استولى عليها، وأخذ يتحرى أموال الأسرة الأموية بشتى الوسائل، وترك بعضهم طمعا بالأموال التي في صحبتهم[٩].

---

(١) **الضياع**: جمع ضيعة، وضيعة من معانيها العقار، والمنازل والأراضي المغلة، ومن معانيها الحرفة والصناعة والتجارة. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص: ٢٦٢٤، مادة ضيع.

(٢) **الحوانيت**: بيوت الخمارين، والحوانيت أيضا الخمارون. الشيباني: منسوب لأبي عمر: شرح المعلقات التسع: بيروت، مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠١م، ص: ٥٩.

(٣) **القياسر**: الإبل العظام. الجوهري: أبو نصر: كتاب الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص: ٨٩١.

(٤) **الطواحين**: طواحين الطحانة الطحن وحرفة الطحان. فيروزابادي: المعجم الوسيط، ج٢، ص: ٨٨١.

(٥) **الإقطاع**: الأرض المقطعة تسمى قطيعة، وجمعها قطائع وإقطاعات هي الجزء في الأرض المقطعة التي يملكها الحاكم لمن يريد من أتباعه منحة، وتطلق أيضا على الجنود الذين أقطعوا هذا الإقطاع. البصري: عويسيان: موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، مصر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، د. ت، ص: ٤٣.

(٦) **الإلجاء**: هو نظام قديم يرجع تاريخه إلى قبل الإسلام. ومحتواه أن يلجأ شخص إلى تسجيل أرضه باسم شخص قوي صاحب سلطة في الدولة كالخليفة أو أمير بوصفه المالك الحقيقي للأرض ليحمي نفسه من الضرائب. وفي العهد الأموي تحولت الأراضي بمرور الزمن إلى الأمراء وأصبحت ضياع بني أمية. الخوارزمي: محمد بن أحمد بن يوسف: مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، د. ت، ط٢، ص: ٨.

(٧) الأزرقي: أبو وليد محمد بن عبد الله: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، بيروت: دار الأندلس، ١٩٦٩م، د. ط، ج٢، ص: ٢٥٢.

(٨) **أبو عبد الملك مروان الثانى** بن محمد بن أبي العاص الأموي القرشي آخر خلفاء بني أمية. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص: ١٠٧.

(٩) بيطار: تاريخ العصر العباسي، ص: ٦٩، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص: ٤٣٤.

وقد عرفت دمشق والمدن الشامية بكثرة أشجارها، خصوصا الزيتون والصنوبر، ووصفت بأنها أكثر بلاد الله زيتونا، وانتشرت أشجارها في مدن طرطوس[١]، واللاذقية[٢]، وبعلبك[٣]، وحلب[٤].

ب- المحَاصِيل الزراعيَّة:

اشتهرت دمشق بزراعة سلسلة من المحاصيل الزراعية المتنوعة كالحبوب والخضروات والأشجار المثمرة والورود، واستمرت دمشق في العصر العباسي الأول بزراعة المحاصيل التي عرفتها من قبل كما أدخلت بعض المزروعات الجديدة[٥].

وسار الخلفاء العباسيون على سياسة حكيمة ترمي إلى عدم إرهاق المزارعين بالضرائب، وعني بعض هؤلاء الخلفاء بوضع قواعد ثابتة لأنواع الخراج بحسب نوع المحصول وجودة الأرض، وراعوا خفض الضرائب إذا قل المحصول لسبب من الأسباب. وكذلك عني الخلفاء العباسيون بشؤون الزُّراع، وعملوا على تخفيض الضرائب عليهم، فألغى أبو جعفر المنصور الضريبة النقدية التي كانت تفرض على الحنطة والشوفان، وأحل محلها نظام المقاسمة[٦]، وهو دفع الضرائب نوعا بنسبة خاصة من المحصول. على أن النظام النقدي القديم ظل على النخيل والفواكه وأشباهها. وقد توسع الخليفة المهدي في تطبيق النظام الذي أدخله أبوه المنصور فعمَّمه، وجعل الضرائب تجبى دائما بالنسبة للمحصول، وإذا كانت الأرض ممتازة الخصب ولا تحتاج إلى عمل كثير ألزم المزارع بأن يقدم إلى الحكومة نصف غلة[٧] أرضه، وإذا صعب عليه إرواؤها دفع الثلث أو الربع أو الخمس تبعا لحالة الأرض[٨].

---

(١) **طرطوس**: هي بلدة من بلاد الشام، مشرفة على البحر والساحل قرب البحر. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص: ٣٠. السمعاني: عبد الكريم بن محمد: كتاب الأنساب، الهند، مجلس دارة المعارف، ١٣٨٢هـ، ج٩، ص: ٦٧.

(٢) **اللاذقية**: بالذال معجمة مكسورة، وقاف مكسورة، وياء مشددة: مدينة في ساحل بحر الشام تعدّ في أعمال حمص. وهي غربيّ جبلة بينهما ستة فراسخ، وهي الآن من أعمال حلب، قال بطليموس في كتاب الملحمة: مدينة لاذقية طولها ثمان وستون. الحموي: معجم البلدان، ص: ٥.

(٣) **بعلبك**: بالفتح ثم السكون، وفتح اللام، والباء الموحدة، والكاف مشددة: مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرّخام لا نظير لها في الدنيا، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وقيل: اثنا عشر فرسخا من جهة الساحل. الحموي: معجم البلدان، ص: ٤٥٣.

(٤) الجبوري: سعد رمضان: الأخشاب واستخداماتها الحضارية في المشرق العربي الإسلامي، الإسكندرية، المكتب الجامعي الجديد، ٢٠١٨م، د. ط، ص: ٥١.

(٥) بيطار: تاريخ العصر العباسي، ص: ٣٣٠-٣٣١.

(٦) **المقاسمة**: مصدر قسم الشيء، الحظ والنصيب من الخير. ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص: ٤٧٨.

(٧) **الغلة**: الدخل الذي يحصل من ريع الأرض. ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص: ٥٠٤.

(٨) صحيفة الخليج: النشاط الزراعي، اقتصاد الوفرة في زمن العباسيين، ١٦ أكتوبر ٢٠٠٨م، تم استرداده يوم الاثنين ١٠-١١-١٤٤٥هـ تمام الساعة ٩:١٩ من الموقع: https://www.alkhaleej.ae/

وقد خصص العباسيون مبالغ مالية بغرض إحياء أرض الموات سالكين منهج الرسول ﷺ في ذلك، وعملوا على تطوير مشاريع الريّ وسقي الأنهار وإصلاح السدود وحفر الآبار، ويعد الخليفة أبو جعفر المنصور أول من قام بحفر نهري الأسد، وهو أحد شعوب دجلة في طريق البصرة، وعمل على توسيعه حتى يسمح بدخول السفن وتسهيل التجارة(١)، كما أن الخليفة هارون الرشيد أنفق عشرين ألف ألف درهم (٢٠,٠٠٠,٠٠٠ عشرون مليون تقريبًا)، من أجل حفر نهر القاطول(٢) شرقي دجلة لسقي الأراضي، ومثل هذه السياسة سار عليها المأمون والمعتصم، حيث قاموا على إنشاء العمارات والبساتين والأرحية وصفي الأنهار، وحمل النخل من بغداد والبصرة إلى سمراء، حتى صلحت الأشجار، وزكت الثمار، وحسنت الفواكه، وزرع الناس أصناف الزرع(٣).

كما حرصت الدولة على إيجاد مُزارعٍ غير مستَعبَد توفَّر له حياة كريمة، ولا تثقل كاهله بالضرائب من أجل زيادة حجم الإنتاج الزراعي، وقد تمكن الخلفاء العباسيون من التحكم في هذا القطاع مما نتج عنه تنوعٌ في المحاصيل الزراعية في معظم الأقاليم، فانعكست هذه المحاصيل على تنوع الصناعات الغذائية، أبرزها صناعة الخبز، والفواكه المجففة، وصناعة السكر والحلويات والعسل، وصناعة الزيتون. كما نجد في مقدمة هذه المحاصيل الحبوب وخاصة القمح، لاعتماد الأغنياء والفقراء عليه، لصناعة الخبز الذي يعد الغذاء الأساسي لمختلف الشعوب، وقد لاحظ الرحالة الصيني شوجو–كوا توفر الحنطة والشعير في بغداد وأنّ جميع الناس يأكلون الخبز(٤).

لهذا عُدّت هذه الحبوب (القمح، الشعير والذرة) خلال العصر العباسي الأول المصدر الرئيسي في تمويل مخزن القوت الضروري، كما أنّ الفائض منها نقل إلى المناطق المجاورة، كما أن الأرز تم استيراده من الهند والصين نظرا لشهرتهم به(٥).

أما الفواكه فكانت منتشرة بكثرة، واستفاد منها المجتمع العباسي بتجفيفها خصوصا صناعة القُطين

---

(١) صحيفة الخليج: النشاط الزراعي، اقتصاد الوفرة في زمن العباسيين، ١٦ أكتوبر ٢٠٠٨م، تم استرداده يوم الاثنين ١٠–١١–١٤٤٥هـ تمام الساعة ٩:١٩ من الموقع: https://www.alkhaleej.ae/

(٢) **القاطول**: المعروف بأبي الجند، يأخذ من دجلة ويصب أسفل الشاذروان الذي أحدثه الرشيد عند عمله ذلك بين الجزيرة والموصل، فاعول من القطل، وهو القطع. الحموي: معجم البلدان، ص: ٣٦٥. الحميري: محمد عبد الله: كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، بيروت، مؤسسة ناصر الثقافية، ١٩٨٠م، ٤٤٩.

(٣) اليعقوبي: أحمد بن إسحاق: البلدان، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت، د. ط، ص: ٦٤.

(٤) الطحاوي: حاتم عبد الرحمن: بغداد في كتابات الجغرافيين الصينيين في العصور الوسطى، قراءة في مصنف شوجو–كوا، أعمال أبحاث مؤتمر دولي أدب الرحالة العرب والمسلمين، الإمارات: دار السويدي، ٢٠٠١م، ط١، ص: ٩٩.

(٥) الخازن: وليام: الحضارة العباسية، بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية، ١٩٨٤م، ط١، ص: ٦٥.

بعد أن يتم تخفيفها، بالإضافة إلى قصب السكر الذي أصبح استهلاكه واسع النطاق في القرن ٢هـ/ ٨م، خصوصا في العصر العباسي الذي يستفاد منه في صناعة الحلويات والعسل، حتى أنشأَت الدولة مصانع لصناعة السكر، وانتشرت زراعته في كل من مصر وبلاد الشام(١).

أما عن الخضروات في العصر العباسي فهي متنوعة، ومن أشهرها: البصل، والثوم، والجزر، والكرمب، والخيار(٢).

ت- الثروة الحيوَانِية:

لقد تنوعت الحيوانات في دمشق حيث رُبّيت فيها الأغنام والأبقار والماعز، وقد كان أهل دمشق يعتمدون على ألبانها ولحومها وأصوافها(٣).

وكان أهل دمشق يستخدمون في طعامهم لحوم الغنم أكثر من غيرها، بينما كانت الأبقار يستفاد من ألبانها بشكل أكبر، علاوةً على استخدامها في كثير من الأحيان في الأعمال الزراعية كالحراثة(٤)(٥) والنقل أو الجر، ووجد إلى جانب ذلك الخيول والبغال والحمير التي استخدمت للقيام بالأعمال الزراعية، علاوةً على استخدامها في عمليات التنقل المختلفة(٦).

واهتم أهل دمشق بتربية أنواع مختلفة من الطيور، منها الإوز والدجاج والحمام، وكان يتم تفريخ هذه الطيور بالحضانة الطبيعية، وذلك لطبيعة الجو في الشام عامةً ودمشق خاصةً.

كما وجد في دمشق الغزلان والأرانب والأسود وكثير من الوحوش الأخرى، وكانت منطقة الميدان في دمشق فيها من الأسود والغزلان الكثير. وقد وصفت دمشق بأنها كثيرة البراغيث(٧).

وقد اهتم العباسيون بحماية الحيوانات بكافة أنواعها، فقد أنشؤوا ما يسمَّى بالحير، وهو مكان متسع جدًّا ومحصَّن يمكن أن يستعمل في بعض الأوقات كحظيرة، والغالب أن هذه الأخيرة كانت لغرض حماية كثير من الحيوانات، ولم يغفلوا عما يحتاجه الحيوان من رعاية في هذا المكان، فوفروا فيه الماء

---

(1) Tsugitaka Sato, Sugar in the Social life of Medieval Islam. Islamic Area Studies, vol. 1 (Leiden-Boston: Brill, 2015). p 334.

(٢) الدينوري: ابن قتيبة: عيون الأخبار، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٢٥م، ط٣، ص: ٢٨٣.

(٣) علي: خطط الشام، ص: ١٨٤.

(٤) انظر إلى الملحق رقم: (٣).

(٥) الطبرِي: تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص: ١٩٦.

(٦) ابن عسَاكر: تاريخ دمشق، ص: ٤٠٤.

(٧) الطبرِي: تاريخ الطبري، ج٩، ص: ٢١٠، ابن عسَاكر: تاريخ دمشق، ج٢، ص: ٤٠٤.

والكلأ والظل والحماية، فاستطاعت الحيوانات أن تحيا في الحير كما كانت تعيش في البرية لكن ضمن جدران.

أسباب العناية بالحيوانات:

١. الغذاء والصناعة: فوائد تربيتها المعروفة (الاستفادة من ألبانها ولحومها والجلود والصوف، وفي الحروب، وفي الأعمال الزراعية كالحراثة وغيرها).
٢. المتعة: إذ أصبح اقتناء الحيوانات المفترسة من الضروريات في القصور العباسية، وهو مما يعكس مدى التطور والقوة الذي كانت عليه الدولة العباسية إذ كان معظم الخلفاء والأمراء يقضون أوقاتهم بها كمراتع لهو يمارسون فيها الصيد والسباق(١).
٣. الصيد: إذ كان الصيد أحد الوسائل الأساسية للمرح بالنسبة لخلفاء بني العباس.
٤. الجمال والفنون في الحير، فإن إنجاز حدائق الحيوان يعتبر إنجازا حضاريا، وهو يدل على قوة الدولة والمنعة والرفاهية التي عاشتها، وتقدم أساليب الهندسة والمعمار وحب الجمال، بل حتى مواضيع الرسوم الجدارية والأرضية احتل الحيوان فيها قسما كبيرا(٢).

وترى الباحثة أنّ التنظيم الزراعي شمل الثروة الزراعية، والحيوانية، والمحاصيل الزراعية، وأنّ المصادر التي تيسرت للاطلاع عليها لم تشر بالكثير إلى قيام العباسيين بالاهتمام بأمور الزراعة وعمل المشاريع الزراعية التي تساهم في حل المشاكل الزراعية وتنمية الثروات الزراعية خلال فترة الدراسة، ولكن لم يهمل الخلفاء هذا الجانب من الجوانب الاقتصادية لما يعود به من نفع وتقدم للدولة، وساعدهم على ذلك أنه توفرت في دمشق عوامل التطور والتكامل الزراعي، وعلى رأسها خصوبة التربة والمناخ والخبرات المتراكمة عند سكانها، وأيضًا تميز دمشق عن غيرها بغناها بمصادر المياه، وكثرة الينابيع المتفجرة فيها، وكثرة محاصيلها لطبيعة الجو فيها.

المبحث الثانِي: تنظِيم الأحوَال التجَارِية:

تعتبر التجارة في حياة أهل دمشق ذات جذور عميقة، وأثر بالغ في مجمل أنشطتهم الاقتصادية عبر العصور القديمة، والعصور التي شهدت نهوض الحضارة العربية الإسلامية وتألقها. ومعروف أن الفتوحات الإسلامية وحّدت المنطقة، ونقلت تداول النقد من الاحتكار الأجنبيّ إلى التداول العام، ووضعه بين

(١) الجبوري: حمدية صالح وآخرون: حدائق الحيوان دراسة في جذورها التاريخية وتطورها خلال العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٤٧هـ)، د. م، مجلة كلية التراث الجامعة: ع١، ٢٠١١م، ص: ٢٨٩-٢٩٠.

(٢) الجبوري: حدائق الحيوان دراسة في جذورها التاريخية وتطورها خلال العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٤٧هـ)، ص: ٢٩٠.

أيدي سكان البلاد، كل هذه الأمور قادت إلى تطورات موضوعية أدت إلى ارتقاء مكانة دمشق التجارية عبر العصور، ومن ثم تكيفها مع المتغيرات الاقتصادية والسياسية التي شهدتها المنطقة العربية في القرون اللاحقة. وترجع أهمية دمشق كمركز من المراكز التجارية لوقوعها على طريق القوافل الآتية من آسيا الصغرى أو من أقاليم الفرات إلى بلاد العرب، وكان كثير من الحجاج يجتمعون في هذه المدينة ثم يسيرون في جماعات كبيرة إلى مكة، وفيها يتفرقون بعد أداء فريضة الحج[(١)].

وقد انعكس الاستقرار السياسي في العصر العباسي الأول على الجوانب الاقتصادية في الدولة، خاصةً التجارة التي عُني بها خلفاء ذلك العصر عنايةً تامة بتسهيل سبلها، فحفروا الآبار وأقاموا المحطات في طرق القوافل وأنشؤوا المنائر في الثغور وبنوا الأساطيل لحماية السواحل من غارات لصوص البحار، وكان لذلك أثر بعيد في نشاط التجارة الداخلية والخارجية، وأصبحت قوافل المسلمين تجوب البلاد وسفنهم تمر عباب البحر[(٢)].

ولعل ما يؤكد اهتمام الخلفاء ما ذكره الهارون الرشيد لأحد مشاوريه قائلًا له: "يكفي التجار ما أمَّنّا لهم من السبل في غير الديار، وما احتفرنا لركبهم من الآبار، وأوجدنا لهم من المناهل في البلدان العامرة، التي نحب أن تكون سوق التجارة فيها دائرة"[(٣)].

وقد شجع خلفاء العصر العباسي التجار تشجيعا غير مباشر بما أدخلوا من مظاهر الترف إلى بلاطهم، وذلك بتعبيد الطرق، وتأسيس مدينة بغداد[(٤)]، إذ ساعد موقعها على أن تصبح سوقًا تجاريًّا من الطراز الأول. كما كانت مدينة دمشق مركزًا مهما للقوافل الآتية من آسيا أو من أقاليم الفرات إلى بلاد العرب ومصر، وأصبح الفرات ودجلة شريانين تجاريين مهمين في داخل بلاد الدولة العباسية[(٥)].

ومما تم إيضاحه حول تنظيم الأوضاع نتطرق إلى تنظيم الطرق التجارية في دمشق خلال العصر

---

(١) سرور: محمد جمال الدين: تاريخ الحضارة في الشرق منذ عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري، القاهرة، ١٩٦٥م، ص: ١٤٤.

(٢) حسن: إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ج٢، ص: ٣١١.

(٣) المدور: جميل نخلة: حضارة الإسلام في دار الإسلام، القاهرة، دار العالم العربي، ٢٠٠٨م، ص: ١٠٤.

(٤) **تأسيس مدينة بغداد** في عام تسع وثلاثين ومائة، أراد أبو جعفر مدينة لنفسه ودار المملكة فسار بنفسه يرتاد الأماكن حتى انتهى إلى بغداد، وهي إذ ذاك قريه يقوم بها سوق في كل شهر، فخط لنفسه وحشمه ومواليه وولده وأهل بيته المدينة، وسماها مدينه السلام، ثم خط لجنوده حول المدينة، مضى نحو الشام قاصدا لبيت المقدس حتى وافاها، فأقام بها شهرا، ثم سار إلى الرقة، فأقام بها بقية عامه ذلك، ثم سار من الرقة حتى وافى مدينه السلام، فأقام بها حولا كاملا. الدينوري: عيون الأخبار، ص: ٣٨٣.

(٥) التميمي: حمدي حسين نخلة علوان: الحياة الاقتصادية في الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية مج (٧)، عدد (٢٢) ٢٠١٥م – ذو القعدة ١٤٣٦هـ، ص: ٣١٢.

العباسي:

أ- الطرق البرّية والبحرية:

أما الطرق التجارية فقد ذُكر الطريق البريّ من الأندلس أو من فرنجة، فيعبر السوس الأقصى إلى طنجة، ثم إلى إفريقيا، ثم إلى مصر، ثم إلى الرملة(١) ثم إلى دمشق، ثم إلى الكوفة، ثم إلى بغداد، ثم إلى البصرة، ثم إلى الأهواز، ثم إلى فارس وإلى كرمان، ثم إلى السند ثم الهند وإلى الصين(٢).

وهذا الطريق هو مسلك تجار الروس في البر، وهم جنس من الصقالبة يحملون معهم جلود الخز وجلود الثعالب السود والسيوف، وربما أخذوا في طريقهم هذا خلف رومية وبلاد الصقالبة ثم إلى خليج مدينة الخزر، ثم إلى ما وراء النهر، ثم إلى التغزغز(٣)، ثم إلى الصين(٤).

وقد اهتم بهذا الطريق أهل الشام، حيث يمر الطريق بعديد من المدن الداخلية: الرملة، ودمشق، وحماة(٥)، وأنطاكيا(٦)، وحلب، والتي استفادت من التجارة مع اللاتين ولا سيما البيزيين والجنوبيين والطقسانيين والبنادقة وكلهم إيطاليون(٧).

وكان طريق القوافل الكبرى التي يجتازها الحجاج السوريون يبعد عن البحر بعض الشيء، لأنه كان يمر شرقي نهر الأردنّ خارج فلسطين، ولكن زيارة المسجد الأقصى وبيت المقدس وقبر إبراهيم الخليل كانت من الأمور المقدَّسة، وكان كثير من الحجاج يحجّون بيت المقدس بعد أداء فريضة الحج في مكة، فيتقابلون مع حجاج الغرب المسيحيين، وبذلك أتيحت للتجار في بيت المقدس سوق كبيرة، يفد إليها تجار الأمم عام يقام في الفرصة لتبادل السلع من كل المختلفة، وكان أكثر الحجاج يجتمعون في دمشق التي كانت ملتقى عدة طرق مهمة، ثم يسيرون في جماعات كبيرة إلى مكة، ومنها يتفرقون بعد أداء فريضة الحج. وقد أدت هذه الحركة المستمرة إلى انتشار السلع في أسواق دمشق، ولما كانت المدن

---

(١) **الرملة**: مدينة عظيمة بفلسطين وكانت قصبتها قد خربت الآن، رباطا للمسلمين، وهي في الإقليم الثالث، طولها خمس وخمسون درجة وثلثان، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وثلثان. الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص: ٦٩.

(٢) ابن خرداذبة: عبيد الله بن عبد الله: المسالك والممالك، بغداد: مكتبة المثنى، ١٨٩١م، ص: ١٥٤.

(٣) **التغزغز**: صنف من الأتراك يلبسون القطن واللبود ليس لهم بيت عبادة. الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص: ٤٤٢.

(٤) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص: ١٥٤.

(٥) **حماة**: مدينة قديمة على نهر يقال له: الأرنط. اليعقوبي: معجم البلدان، ص: ١٦٠.

(٦) **أنطاكيا**: مدينة تركية تقع في قارة آسيا على حافة واد خصيب معتدل المناخ، يقع على نهر العاصي، وتبعد عن البحر المتوسط وقد أسسها الرومان، اهتم المسلمون بها لكونها ثغرًا من ثغور الدولة الإسلامية. المصري: أبو سعيد: كتاب موسوعة سفير التاريخ الإسلامي، الكتب مرقم أليا، ج١١، ص: ١١٠.

(٧) علي: خطط الشام، ص: ٢٤٢.

البحرية -مثل: طرابلس[١] وبيروت[٢] وصور[٣] وعكة[٤]- لا تبعد عن سوق دمشق الكبيرة إلا بضعة أيام فلا يبعد أنها كانت تحصل على ما تحتاج إليه من السلع التي كانوا يبتاعونها في سوق دمشق الكبير، وهناك طريق آخر مهم يوصل إلى سوريا، وهو مجرى الفرات الذي يبدأ من الخليج الفارسي (بحر فارس)[٥]، وينتهي عند نقطة لا تبعد كثيرًا عن البحر الأبيض المتوسط[٦]، وكان ببلاد الشام -وخاصةً دمشق- كثير من الأسواق التي امتدت بها الحوانيت على جانبي الشوارع، وكان لطائفة من التجار قسم خاص بها، وللتجار الغرباء فنادق قريبة الشبه بالأسواق الكبيرة.

وسلك التجار دروبا ومسالكَ متعدّدة لإيصال بضائعهم، ثم الحصول على سلع وبضائع، وقد سلك تجارها نفس هذه الدروب، سواءً كانت نهرية أو برية، وقد شكلت القنوات والممرات المائية المتفرعة من هذين النهرين روافد زادت من حركة التجارة الداخلية بين المدن، خاصةً تلك التي تقع بين بغداد ومدن الجنوب. ويوجد الطريق البري إلى الشام ومصر حتى الأندلس، والذي يربط عشرات المدن في المنطقة، فيخرج هذا الطريق من بغداد، ومنها إلى الأنبار، ثم إلى دمشق، ومنها إلى غزة ورفح والعريش، وينتهي في الفسطاط بمصر، ثم ينطلق إلى الإسكندرية[٧].

ويبدو أن لتوافر المنتجات الزراعية أهمية كبيرة في استقطاب التجار مثل (بالس)[٨] إذ كان الطريق

---

(١) **طرابلس**: بالرومية والإغريقية ثلاث مدن قيصر أول من بناها، وتسمى أيضا مدينة إياس مدينة طرابلس، بها سور صخر جليل البنيان، وهي على شاطئ البحر. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص: ٢٥.

(٢) **بيروت**: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تعد من أعمال دمشق، بينها وبين صيدا ثلاثة فراسخ. الحموي: معجم البلدان، ص: ٥٢٥.

(٣) **صور**: وهي قرية على شاطئ الخابور، بينها وبين الفدين نحو من أربعة فراسخ، كانت بها وقعة للخوار. الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص: ٤٣٤.

(٤) **عكة**: اسم بلد على ساحل بحر الشام من عمل الأردن، وهي من أحسن بلاد الساحل في أيامنا هذه وأعمرها. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص: ١٤٣.

(٥) الخليج الفارسي أو ما يسمى ببحر فارس هو شعبة من بحر الهند الأعظم، واسمه بالفارسية كما ذكره حمزة: زراه كامسير، وحدّه من التّيز من نواحي مكران على سواحل بحر فارس إلى عبّادان، وهو فوه دجلة التي تصبّ فيه، وأول سواحله من جهة البصرة وعبادان أنك تنحدر في دجلة من البصرة إلى بليدة تسمى المحرزة في طرف جزيرة عبادان تتفرّق دجلة عنده. الحموي: معجم البلدان، ص: ٣٤٣.

(٦) التميمي: الحياة الاقتصادية في الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص: ٣١٣.

(٧) اليعقوبي: البلدان، ص: ٧.

(٨) **بالس**: بلدة بالشام بين حلب والرّقة، سميت فيما ذكر ببالس بن الروم بن اليقن بن سام بن نوح عليه السلام، وكانت على ضفّة الفرات الغربية، فلم يزل الفرات يشرّق عنها قليلا قليلا حتى صار بينهما في أيامنا هذه أربعة أميال، قال المنجمون: طول بالس خمس وستون درجة، وعرضها ست وثلاثون درجة، وهي في الإقليم الرابع. ابن حوقل: صورة الأرض، ص: ١٨٠. الحموي: معجم البلدان، ص: ٣٢٨.

إليها عامرا، ولها بساتين فيما بينها وبين الفرات، وأكثر غلاتها القمح والشعير[١].

وكذلك دمشق التي اشتهرت بكثرة أشجارها وفواكهها وثمارها، فيذكر أنّ بها مياها كثيرة وأشجارا وزروعا متصلة[٢].

ومما ساعد في توطيد العلاقات التجارية بين العراق والشام سهولة المواصلات البرية والنهرية، وعدم وجود حواجز طبيعية تقف حجر عثرة في طرق القوافل الذاهبة للشام أو العكس، حيث كانت السفن تأتي من بغداد محملة بالبضائع من الشام ومصر والمغرب[٣].

ب- النقود والصكوك:

عرف الناس منذ القدم طرق مبتكرة للتعاملات التجارية إذ تطورت مع أحوال المجتمعات، فلا بد من ابتكار وسائل أكثر حفظا للحقوق التجارية وتحقيقا للأرباح، ومنها ما يلي:

النقود:

تعتبر النقود وسيلة متطورة من وسائل التعامل التي سهلت التبادل التجاري. ومن الأنظمة المهمة التي تنظم حياة المجتمع في العصر العباسي الائتمان، ويقصد به الاستحفاظ والوثوق بالأمانة، وهو عبارة عن نقل السلع والنقود من استعمالها الحاضر، وأهم سلعة النقود الرمزية أنها تخوّل للأفراد والجماعات حق الحصول على السلع (النقود) الحاضرة والآجلة[٤]. عندما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة استمر في ضرب النقود على الطرازين الساساني والبيزنطي، وقد قرر أن يقوم بعملية الإصلاح وتعريب النقود، والراجح أنه بدأ يضرب العملة الجديدة فيما يبدو في عام ٧٤هـ/ ٦٩٣م، ويؤيد هذا الاحتمال وجود الدينار في المتحف الأهلي الباكستاني الذي يعود ضربه إلى عام ٧٤هـ/ ٦٩٣م[٥] إذ سهل التبادل التجاري بين الناس في المجتمعات أكثر مما كانت عليه الحال من قبل، فمن المعلوم أن الدولة العباسية كانت تتعامل بنظام نقدي مزدوج، فهي تتعامل بالدينار والدرهم معا، وتعترف بهما[٦].

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص: ١٦٥.

(٢) الإصطخري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي: مسالك الممالك، تحقيق دية غوية، ليدن، بغداد، مكتبة المثنى، بريل، ١٩٦٧م، ص: ٥٩. والحموي: معجم البلدان، ص: ٤٦٣-٤٧٠.

(٣) الضلاعين: مروان عاطف: التجارة في بغداد في العصر العباسي الأول، الأردن، أطروحة دكتوراة، ٢٠٠٦، ص: ٢٣٦.

(٤) حسن: زهراء محسن: نظام الانتمان في العصر العباسي الأول، مجلة أوروك، ع٢، ٢٠١١، ص: ١٠.

(5) Miles: George C: The earliest Arab gold coinage, the American numismatic socitym no 13, 1967, p: 212 .

(٦) الضلاعين: التجارة في بغداد في العصر العباسي الأول: ص: ١٤٠-١٤٣.

الصكوك:

تعدَّدت وسائل التعامل التجاري في دمشق والأسواق الشامية، وقد استخدم الصكّ في التعامل بوصفه وسيلة من وسائل التجارة، وهو بمنزلة أمر خطّي يدفع بوساطته مقدار من النقود إلى الشخص الوارد اسمه فيه(١)؛ إذ يعتبر الصك الوسيلة الثانية في التعاملات التجارية فهو عبارة عن ورقة مالية(٢) التي كانت في ظل النشاط التجاري التي يتعامل بها التجار فيما بينهم أو للدولة، وقد ارتبط هذا التنوع بتطور النشاط التجاري وكثرة الطلب على الأوراق النقدية، ومن هذه التعاملات المالية الصكوك، فأصبح الصك يستخدم في نقل أو كتابة دين قليل، فكانت قيمة الصك قد تصل إلى تسعه دراهم(٣)، فقد انتشرت كإحدى وسائل الائتمان في المعاملات التجارية(٤)، وقد انتشرت أيضًا دار سك العملة في دمشق وحلب وغيرها من المدن الشامية الأخرى، وقد سُكَّت العملات الزنكية الذهبية والفضية التي امتازت بأنها سليمة الضرب، أي: التي تكون سليمة من كل عيب يقع عليها في النصوص والنقوش والخط أو الدوائر أو القالب(٥)، وقد قام التجار باستعمال الصكوك في عمليات التسليف والإقراض، وقيل فيه: "لأن يجاور أحدكم أسدا في أجمه خيرٌ له من أن يجاور تاجرا، إذا شاء أن يسلفه أسلفه وكتب عليه صكا"(٦).

الجهبذ:

لقد كان الجهبذ يقوم بنفس عمل الصيرفي إذ كانت هذه المهنة موجودة منذ القدم في التعاملات التجارية، إلا أن تسميتها اختلف في العصر العباسي من صيرفي إلى جهبذ من اتساع في مهماته؛ إذ تطور عمله إلى جباية خراج الولايات. ولقد كان أغلب الجهابذة هم من أهل الذمة، لا سيما فئة اليهود؛ ذلك لأن لديهم الأموال الكثيرة، فضلا عن مزاولتهم لهذه المهنة، وأكثرهم من الصباغين والدباغين في هذا الإقليم –بلاد الشام– والأطباء والكتبة نصارى وبعض من العرب(٧).

---

(١) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: فوزي عطوي، بيروت: دار صعب، ١٩٦٨م، ج٢، ص: ٢٦١.

(٢) سمير: طبي: الصيرفة والمؤسسات الائتمانية في العصر العباسي ودور غير المسلمين في ذلك، جامعة باتنة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد الساس، ص: ٣٢٢.

(٣) حسن: زهراء محسن: نظام الانتمان في العصر العباسي الأول، مجلة أوروك، ع٢، ٢٠١١، ص: ٨.

(٤) سمير: طبي: الصيرفة والمؤسسات الائتمانية في العصر العباسي ودور غير المسلمين في ذلك، ص: ٣٢٢.

(٥) الحسيني: العملة الإسلامية في العهد الأتابكي، دفتر، المسكوكات، ص: ١٧٧.

(٦) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٤، ص: ١٧٧.

(٧) المقدسي: محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت، دار صادر، ١٩٩١م، ط ٣، ص: ١٨٣.

السفاتج:

أما السفتجة[١] فكان من أهم فوائدها أنها تقوم بنقل الأموال الضخمة من بلد لآخر، وفي الوقت نفسه تسهيل المتاجرة بين دولة لأخرى[٢]. وبذلك نجد أن السفتجة كان لها دور كبير في تنشيط حركة التبادل التجاري وتسهيل المدفوعات الآمنة من أخطار الطريق ونقل النقود[٣].

لهذا فإن استعمال النقود الصكوك السفتجة – الحوالات أو الكمبيالات يدل على مدى الثقة المتبادلة بين المتعاملين في دمشق خلال العصر العباسي الأول.

ت- الورق:

لقد سادت في العصر العباسي الأول مثل بقية أرجاء العالم القديم نظرية السلطة القائمة على احتكار المعرفة بيد الصفوة. إنّ هذا العصر اتصف "بحكم استبدادي أشد ما يكون الاستبداد، حكم لا يحسب فيه أي حساب للرعية، فهي أدوات مسخّرة للحاكم، وليس لها من الأمر أي شيء، ففي يده كل الأمر وكل السلطان[٤]، لكن رغم كون هذا النظام سلطويًّا سياسيًّا، إلا أن العصر العباسي شهد نهضة فكرية وعلمية كبيرة بفضل تطوير وسيلة اتصال فاعلة، هي الورق. وكان من أهم الأسباب في بلوغ الحركة العلمية غايتها من النهضة الواسعة استخدام الورق، إذ أخذ يعم منذ بداية العصر العباسي الأول، وكانوا قبل ذلك يكتبون في الجلود والقراطيس المصنوعة بمصر من ورق البردي. ولم يلبث الفضل بن يحي البرمكي[٥] أن أنشأ في عهد الرشيد مصنعًا ببغداد للورق، ففشت الكتابة فيه لخفته، وغلبت على الكتابة في الجلود والقراطيس"[٦].

وابتداءً من القرن العاشر عمّت مصانع الورق بغداد ودمشق وطبرية وطرابلس الشام بعد أن أنشا الوزير جعفر البرمكيّ (ت: ٨٠٣م) أول مصنع للورق في بغداد عام ٧٩٤ أو ٧٩٥هـ/ ١٣٩٤ أو ١٣٩٢م على عهد الخليفة هارون الرشيد، وتبعته مصانع في العالم الإسلاميّ بكامله، وكان أول ذكر للورق في مصر عام ٧٩٦هـ، ولم يوقف انتشاره في الدولة العباسية واستيراده من الصين.

---

(١) **السفتجة**: بضم فسكون ففتحتين: وهو أن يعطي مالا لآخر، وللآخر مال في بلد المعطي. الفيروزابادي: قاموس المحيط، ج٢، ص: ٢٩٨.

(٢) سمير: طبي: الصيرفة والمؤسسات الائتمانية في العصر العباسي ودور غير المسلمين في ذلك، ص: ٣٢٢.

(٣) الجفري: عصام هاشم: التطور الاقتصادي في العصر الأموي، ص: ٤٨.

(٤) ضيف: العصر العباسي الأول، ص: ٢١.

(٥) **الفضل بن يحيى** بن خالد بن برمك أبو العباس البرمكي أخو جعفر البرمكي، وقد تقدم ذكره، كان الفضل من أكثرهم كرما، أكرم من أخيه جعفر، ولكن جعفر أبلغ في الرسائل والكتابة منه. الصفدي: الوافي للوفيات، ج٢٤، ص: ٥٠.

(٦) ضيف: العصر العباسي الأول، ص: ١٠٣.

واشتهرت (دكاكين الوراقين) حيث كانوا ينسخون الكتب، ويجلدونها، ويبيعونها[(١)]، وقد أدرك الخليفة أبو جعفر المنصور (٧٥٤-٧٧٢هـ/ ١٣٥٣-١٣٥٤م) أهمية الورق، فأمر بالتوسّع في صناعته وإنتاجه، وأوعز باستخدامه في الوزارات والمجامع العلمية والدواوين، منهيًا بذلك المنافسة بين وسيلة اتصال قديمة ممثلة بالرق أو البردي[(٢)]، محلًّا مكانها وسيلة اتصال جديدة تتصف بالوفرة والرخص[(٣)].

ويعبِّر هذا القرار عن رؤية مستقبلية للخليفة المنصور، وإدراك واقعي لأهمية استخدام أداة اتصال جديدة، عرف بأن إدخالها سيسهم في تحسين مستوى الإدارة في أرجاء الإمبراطورية لسهولة الحصول عليها، ورغم أن كتب التاريخ التي روت قصة المنصور تبين أن المؤرخين يعدونه "المؤسس الحقيقي لدولة العباسيين" وواضع "سياستها الداخلية والخارجية"[(٤)]؛ وأنه "الذي أسس كيان هذه الدولة العربية العظيمة"؛ إلا أنّ جميع هذه التآليف لا تلتفت إلى دور المنصور في إدخال صناعة الورق لا من قريب أو بعيد، إلا ما يرد ورودًا عابرًا، إذ يذكر أحدهم أن صناعة الورق في عهد المنصور "انتعشت... على أيدي الصناع القادمين إليها من الصين ومصر"[(٥)].

وذلك أن استخدام الورق وفر للخليفة المنصور تحقيق المزيد من الكفاءة الإدارية بسبب سهولة استخدامه في المراسلات والبريد، بل إنّ استحداثه ديوان الخبر[(٦)] تحديدًا مكّن من تحقيق سيطرة فاعلة على أنحاء الإمبراطورية كلّها وربطها بالمركز، بما يعنيه ذلك من إضفاء القوة على النظام السياسي، واستمراره واتساع رقعة الدولة وازديادها قوة ومنعة لدرجة أنّ حفيد المنصور الرشيد يستطيع أن يخاطب السحابة[(٧)] بعد سنوات قائلًا: "أمطري حيث شئت؛ فسيجيئني خراجك"[(٨)].

---

(١) متز: آدم: الحضارة العربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م، ج٢، ص: ٣٦٥.

(٢) **الرق**: جلد رقيق رفيع يكتب فيه، ويطلق على الصحيفة البيضاء، الرقاع التي كتب فيها الريق ضد الغليظ. عمر: أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. م، عالم الكتب، ص: ٩٢٩. الزبيدي: محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت وزارة الإرشاد والإنباء، ١٣٨٥من، ج٢٥، ص: ٣٥٣.

البردي: ورق له استعمالاته الخاصة في مجال الكتابة. عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ص: ١٨٥-٩٢٩.

(٣) خليفة: شعبان عبد العزيز: الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، الشرق المسلم والشرق الأقصى، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ص: ١٩٢.

(٤) العسلي: بسام: المنصور القائد، بيروت، دار النفائس، ص: ١٢٢.

(٥) الجومرد: عبد الجبار: داهية العرب أبو جعفر المنصور مؤسس دولة بني العباس، بيروت: منشورات دار الطليعة، ص: ٣٥٤.

(٦) تكمن أهمية ديوان الخبر في عهد الخليفة المنصور في الإسناد في الخبر مثل العلم، إذ يعتبر ذا أهمية في الدولة، ففي زمننا الحاضر يطلق عليه: نظام المخابرات. الصفدي: الوافي للوفيات، ج٢٦، ص: ٥٥.

(٧) الموسى: عصام سليمان: الورق وتطور صناعته في العصر العباسي كوسيلة اتصال فاعلة، مجلة جامعة دمشق، مج٢٧، عدد ٣، ٤، ٢٠١١م، ص: ٢٣٠.

(٨) الكوسج: إسحاق بن منصور: كتاب مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه، د. م: عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٢م، ص: ٣٦.

وفي عهد الخليفة المنصور ظهر أول كتاب مصنوع من الورق في العام ٧٧٠م. لكن الخليفة هارون الرشيد الذي قرر نقل الصناعة إلى حاضرة الإمبراطورية أدرك أهمية الورق كوسيلة اتصال إستراتيجية مركزية لا غنى عنها، تحتّم وجود مصانعه في مركز الخلافة، بعد أن رسخت فعالية هذه الأداة الاتصالية في الإدارة والثقافة في عهد من سبقه. وهكذا أمر بإقامة مصانع للورق في بغداد التي تتوافر فيها المياه بكثرة. وقد أقيم أول مصنع للورق في عام ١٧٨هـ/ ٧٩٤م، وأشرف البرمكي يحيى بن الفضل على بنائه، وقد أدى ازدهار الوراقة في العصر العباسي إلى بناء أسواق للوراقين، وظهور كتاب متخصصين في النسخ مقابل أجور يتقاضونها. وأصبحت الوراقة مرادفة "لمصطلح الناشر في عصرنا الحالي"[(١)]. فكثرت التآليف العلمية والدواوين، وحرص الناس على تناقلها في الآفاق والأمصار، فانتسخت وجلدت، وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ والتصليح والتجليد وسائر الأمور المكتبية والدواوين، واختصت بالأمصار العظيمة العمران[(٢)].

أصبحت الكتب الورقية في العصر العباسي مادة أساسية للمعرفة في جميع فروع العلم والمعرفة[(٣)]. وبسبب كثرة الكتب وتعدد موضوعاتها تم تصنيفها، فوضعت فهارس جامعة، من أشهرها فهرست ابن النديم (العام ٣٧٦هـ/ ٩٨٧م) الذي حصر ثمانية آلاف وخمسمائة كتاب مؤلف ومترجم خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة، وفهرست ابن خير الإشبيلي[(٤)].

وظهرت أسواق للوراقين في المدن الرئيسة الأخرى، وأصبحت هذه الأسواق ملتقى لأهل الفكر والكَتَبَة، تدور في حوانيتها المساجلات والمناقشات وتبادل المعلومات وإلقاء الشعر، تماما مثل مراكز المعرفة في عصرنا الراهن[(٥)].

ث- الوَارِدَات وَالصادِرَات:

كانت مصر تستورد من بلاد الشام الأنسجة الحريرية الراقية، ويحمل إليها من صيدا التين والزبيب والزيت، ومن بيروت الفواكه، ومن هذه الفواكه التفاح والقراصيا[(٦)]، ويحمل إليها أيضا من دمشق

---

(١) خليفة: الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، ص: ١٤٩.

(٢) الموسى: الورق وتطور صناعته في العصر العباسي كوسيلة اتصال فاعلة، ص: ٢٣٢.

(٣) ضيف: العصر العباسي الأول، ص: ١٠٣.

(٤) خليفة: الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، ص: ٢٢٨.

(٥) الموسى: الورق وتطور صناعته في العصر العباسي كوسيلة اتصال فاعلة، ص: ٢٣٣.

(٦) **القراصيا** هي عبارة عن فاكهة البرقوق المجفف، وهي من الفواكه الشائع استخدامها في شهر رمضان الكريم في إعداد الخشاف، كما أنها تدخل في طهي العديد من الحلويات والأطباق الشهية، وهو ثمار بعض أنواع الفصيلة الوردية وخاصة الخوخ الشائع. المعجم الموحد لمصطلحات علم الأحياء، سلسلة المعاجم الموحدة، تونس: مكتب تنسيق التعريب، ١٩٩٣م، ص: ٢٨٣.

القنب[١] وقمر الدين الذي كان يصنع من المشمش[٢].

ومن المنتجات الأخرى التي كانت تصدرها دمشق إلى مصر الثلج، إذ كان يعتمد تصديره بصورة رئيسة على نقله والمحافظة عليه حتى لا يذوب، وكان ينقل الكثير منه إلى مصر في العصر الإخشيدي[٣] وخاصة إلى قصر كافور الإخشيدي. ومن السلع التي كان يصدرها أهل دمشق إلى مصر الأواني الكبيرة والقدور المصنوعة من النحاس، وكانت من الطلاوة بحيث تظنها مصنوعة من الذهب الخالص[٤].

وكانت أوربا الشرقية تبتاع ورقها من الشرق الأدنى مباشرة وبالأخص دمشق، ويشهد على ذلك اسم الورق الدمشقي في كتاباته، والسكر كان أيضا من بين صادراتها إلى أوروبا، وبالأخص السكر الطرابلسي، إذ كانت تصدره بجميع أشكاله رقائق أو ناعم أو بشكل حلوى[٥].

وبحكم ما تتمتع به دمشق من وفرة في المواد الأولية المختلفة من صناعية وزراعية فقد كان يصدَّر الفائض منها إلى بلدان كثيرة، وفي مقدمة صادرات دمشق البنفسج[٦] والصفريات[٧]، والحبوب

---

(١) **القنب** بذور القنب هي بذور نبات القنب يعرفها البعض بالغذاء الخارق (Cannabis sativa) والتي تعرف تجاريا باسم (Hemp Seed) تنتمي إلى نفس نوع نبات الحشيش (الماريجوانا) ولكنها مختلفة عنها بعدة وجوه. يتميز القنب عن الحشيش باحتوائها على كميات ضئيلة جدا أو معدومة من مركب (THC تترا هيدرو كانابينويد) الذي يعطي الحشيش تأثيره النفساني (psychoactive) الذي يغير العقل، وتعتبر هذه البذور البنية الصغيرة مغذية بشكل استثنائي وغنية بالبروتينات والمعادن المختلفة والألياف والأحماض الدهنية الصحية (بما في ذلك أوميغا ٣ وأوميغا ٦) ولها تأثيرات مضادة للأكسدة، وقد تقلل من أعراض العديد من الأمراض، وتحسّن صحة القلب والجلد والمفاصل. الموقع الإلكتروني:

https://www.medicalnewstoday.com/articles/323037#nutritional-benefits

(٢) أبو البقاء: عبد الله البدري، نزاهة الأنام في محاسن الشام، بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨٠م، ص: ٢١٥

(٣) **العصر الإخشيدي**: دولة إسلامية مؤسسها هو محمد بن طغج بن جف الملقب بالإخشيد أي ملك الملوك، في القرن الرابع الهجري بمصر. النويري: أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، دار الكتب والوثائق، ١٤٢٣هـ، ج٢٤، ص: ٤٦. أحمد بن علي: المقريزي: كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ، ج٢، ص: ١٤٧.

(٤) أبُو نعِيم الدِين: نَاصر خسرُو: سفرنَامة، ترجمة الدكتُور يحيى الخشاب، الهيئة المصرِية العَامة للكتَاب ١٩٩٣م، ط١، ص: ١٠٤.

(٥) ابن الشحنة: أبِو الفضل محمد الحلبِي الحنفِي: الدر المنتخب فِي تَارِيخ مملكة حلب، تعليق، يُوسف بن إليَاس سركِيس الدمشقِي، المطبعة الكَاثُوليكِية للإبَاء اليسُوعِيِين، بِيرُوت ١٩٠٩م، ص: ٢٦٢-٢٦٣.

(٦) **البنفسج**: يعرف بدهن الورد البنفسج طيب، وليس دهنه بطيب. السلمي: عز الدين عبد العزيز: الإمام في بيان أدلة الأحكام، مكة المكرمة، دار البشائر، ١٤٠٧هـ، ص: ٧٨.

(٧) **الصفريات**: النحاس المصنوع الأصفر. اليفرني: محمد بن عبد الحق: الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٣٦هـ، ج٢، ص: ٢١٦.

والمعصور والبلعيسي[١] والديباج[٢] والكاغد[٣] والجوز والقطين[٤] والزبيب، وإن الدهان الذي كان يصنع في بعلبك كان يصدر إلى مختلف البلدان[٥].

وقد عرفت دمشق بكثرة إنتاجها من الفواكه، فالفائض منها كان يصدر إلى بلدان كثيرة ومنها مصر وحران وما حولها من البلاد، وتفاحها كان يصدر إلى الخلفاء في بغداد[٦]، وكانت التجارة بين مدينة السلام وبلاد الشام نشطة ومنظمة لدرجة أن الخضروات تجلب أحيانا من الشام إلى أسواق العراق دون أن يلحق بها أي تلف، فقد كان يضرب المثل بالتفاح الشامي لحسن طيبه وجودته[٧]، فقد كانت السفن التجارية تأتي باستمرار محملة بالبضائع العربية ومنها الدقيق في نهر الفرات حتى تصل إلى بغداد، إضافة إلى زيت الزيتون والسكر والزجاج[٨]، ومن السلع الواردة[٩] من البصرة إلى أسواق بغداد التمور عن طريق مرسى البصرة والأبلة؛ فنستنتج من ذلك أهمية مرسى البصرة لتسهيل السلع التجارية المتبادلة من البصرة إلى أقاليم أخرى[١٠].

(١) **الثياب البلعسية**: نسبة إلى كورة البلعاس من عمل حمص على الأرجح. كرد: خطط الشام، ص: ٢٠٠.

(٢) **الديباج**: يعتبر من النساجة والحياكة والغزل، وقد ذكر الإدريسي أنّ دمشق كانت جامعة لصنوف المحاسن والصناعات مثل الديباج النفيس الثمن العجيب الصنعة، والعديم المثال، الذي يحمل منها إلى كل بلد، ويتجهز به منها إلى كل الآفاق والأمصار المصاقبة لها، والمتباعدة عنها. ومصانعها في كل ذلك عجيبة، تضاهي ديباجتها بديع ديباجة الروم، وتقارب ثياب دستوا، وتنافس أعمال أصبهان، وتشف على أعمال طرز نيسابور، من جليل ثياب الحرير المصمتة، وبدائع ثياب تنيس، وقد احتوت طرزها على أفانين من أعمال الثياب النفيسة، ومحاسن جمة، فلا يعادلها جنس ولا يقاومها مثال. كرد: خطط الشام، ص: ٢٠١.

(٣) نوع من أنواع الورق، وقال الرحالة ناصر خسرو: إن الكاغد الجيد الذي كان يصنع في طرابلس يشبه ورق سمرقند إلا أنه أحسن صنعا. كرد: خطط الشام، ص: ٢٢٣.

(٤) **الجوز والقطين**: أقام به وتوطن – السكان في الدار. جبل: محمد حسن: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، د. ن، ٢٠١٠م، ج٤، ص: ١٨٠٩.

(٥) الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص: ٤٦٥.

(٦) متز: الحضارة العربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ص: ٣٠٩.

(٧) الضلاعين: التجارة في بغداد في العصر العباسي الأول، ص: ٢٠٩.

(٨) اليعقوبي: كتاب البلدان، ص: ٢٤.

(٩) فخلال القرن الأول الهجري كانت مدينة البصرة محور التجارة الداخلية للعراق، ويأتي التمر في أول السلع التي كانت تصدر من مدينة البصرة إذ كان سوق التمارين من أول الأسواق التي بنيت في البصرة. الضلاعين: التجارة في بغداد في العصر العباسي الأول، ص: ٢٢١.

(١٠) الضلاعين: التجارة في بغداد في العصر العباسي الأول، ص: ٢١٦.

ج- الصلات التجارية:

لم تتوقف تجارة دمشق على نقل البضائع داخل حدود مدينتها فقط، وإنما تعدى ذلك إلى بلاد مختلفة من العالم، فقد كانت لها علاقات تجارية مع الشرق والغرب، فهي مستودع تجارة الشرق قبل ظهور الإسلام، ومنذ فجر التاريخ وهي نقطة تلاقي البضائع الواردة من فارس وبلاد ما بين النهرين وآسيا الصغرى، مع البضائع القادمة من مصر وبلاد العرب والمتجهة إلى الشمال. وظلت دمشق مركزا كبيرا للتجارة والعلوم والصناعة في الشرق حتى بعد أن فقدت مركزها كعاصمة للدولة الإسلامية(١).

ويعد إقليم الشام من الأقاليم الغنية ذات الخبرات الوافرة، فقامت على منتجاته تجارات واسعة مع العراق وباقي أنحاء الأقاليم، وعن الصلات التجارية مع مصر وبلاد الشام فإنّ ما تتمتع به دمشق وضواحيها من خيرات ذاتية وفيرة وأخرى ترد عليها من بلدان أخرى، وامتلاكها واجهة عريضة على البحر المتوسط، فضلًا عن التسهيلات الممنوحة للتجار في ظل الحكم الإسلامي من حرية التنقل وتأمين الطرق التجارية، كان له أعظم الأثر في عظم ثروات دمشق وتنشيط الحركة التجارية بينها وبين ما يجاورها من بلدان لا سيما مع مصر، وهذا يفسر استمرار التبادل التجاري بين البلدين، فكان المصريون يجلبون من دمشق ماء الورد، إذ إنه عند المصريين في غاية العظمة بحيث يصفه أطباؤهم للمرضى فيقولون: ماء ورد شامي(٢).

أما العلاقات التجارية بين دمشق ومدن الشام الأخرى فقد كانت واسعة ومنظمة، ومنها حلب التي تؤمها قوافل العراق والهند والصين، ويحمل إليها الكثير من بضائع هذه الدول، وبالمقابل فإن دمشق كانت تزود تقريبا كل مدن الشام بالأسلحة الجيدة وخاصة السيوف الدمشقي، وكان يحمل من بيروت وهي من الضواحي المهمة في دمشق معدن الحديد إلى مختلف مدن الشام(٣).

ومما كان يرد إليها من المدن الشامية الأخرى الثياب الجيدة التي تأتيها من مدينة صور(٤)، وهذا

---

(١) لوبون: غوستاف: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، دار بابيلون، باريس، ٢٠٠٨م، ص: ١٦٥-١٦٦. وانظر: هايد: فيلهلم: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، عربه في الترجمة الفرنسية أحمد محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م، ج١، ص: ١٨٢.

(٢) ابن الشحنة: الدر المنتخب فِي تَارِيخ مملكة حلب، ص: ٥.

(٣) الإدريسي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ص: ٣. محاسنة: محمد حسين: الأحوال الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، ١٩٨٦م، ص: ١٥.

(٤) **حران**: مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور في الإقليم الرابع وهي قصبة ديار مضر، بينها وبين الرّها يوم وبين الرّقّة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم. الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص: ٢٣٥.

النوع من الثياب كان لا يصنع إلا فيه، وكان للأزمات التي تعرضت لها دمشق في بعض الأحيان الأثر الواضح في نقص الغلات فيها، فيضطرون إلى الاستعانة بالمدن الشامية المجاورة لسد النقص الحاصل في المواد الغذائية(١).

وعن الصلات التجارية مع العراق والجزيرة الفراتية والخليج العربي؛ فقد كان لدمشق علاقات تجارية نشطة مع العراق، ففي العصر الأموي كانت هناك وكالات تجارية ما بين أهل الكوفة ودمشق، وفي العصر العباسي كان أهل العراق يقومون بدور الوسيط التجاري بين دمشق وبلدان الشرق؛ فالسلع التي تأتي إلى بغداد من بلاد فارس والهند يحملونها إلى دمشق، ويحملون منها إلى هذه البلدان أنسجتها الحريرية المشهورة وجلودها المدبوغة ونحاسها المكفت بالفضة(٢).

أما عن علاقة دمشق التجارية مع الجزيرة الفراتية ومدنها فقد كانت نشيطة طوال العصر الإسلامي، إذ كان تجار نصيبين(٣) يأتون بقوافلهم إلى دمشق وهي محملة بالرصاص، أما تجار حران فكان مجيئهم إلى دمشق من أجل منتجاتها من عسل النحل والقطن والموازين والفواكه(٤). وإن القوافل التجارية بين حران ودمشق كانت تمر من على الجسر الذي يقع عند قلعة النجم المطلة على الفرات، وكان هذا الجسر معبرا لقوافل العراق والشام والروم(٥).

وكان لدمشق صلات تجارية مع الخليج العربي ومدنه، فالملاحة في الخليج العربي والمحيط الهندي في هذه الحقبة كان استمرارا للصلات التجارية التي سبقت الإسلام، فقد واصلوا نشاطهم التجاري والبحري في العصر الإسلامي، فعن طريق الخليج العربي كانت دمشق تستورد الفولاذ(٦) من الهند(٧).

ولشهرة العراق بتموره فقد كان يصدر الأنواع الجيدة منه إلى بلاد الشام، ويحمل إلى الخلفاء من

---

(١) الإدريسي: كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص: ٣٦٦.

(٢) لوبون: حضارة العرب، ص: ١١٧.

(٣) **نصيبين**: ذكر في تاريخ كلدو وأثور أن مدرسة نصيبين كانت أول مدرسة في الشرق، ازهرت في القرن الخامس والسادس والسابع وبلغت عزها ومجدها، واشتهرت مدرسة نصيبين أكثر من مدرسة أورهاي اشتهار مدرسة المدائن وغيرها، وكان صيتها في فارس والروم وإيطاليا وأفريقية، وهي أول كلية لاهوتية بل أول جامعة درّس فيها علم الإلهيات، وظهر منها علماء كفاة كتبوا في الفنون ولا سيما في الإلهيات. كرد: خطط الشام، ص: ١٣.

(٤) الحموي: معجم البلدان، ص: ٤٦٥. حمادي: محمد جاسم: الجزيرة الفراتية والموصل دراسة في التاريخ السياسي والإداري، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٩٧٧م، ص: ٢٣.

(٥) عثمان: فتحي: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، ٢٠١٧م، ج٣، ص: ٢٣٨.

(٦) **الفولاذ**: نوع من الصلب متين جدا ويصنع بخلط الصلب بعناصر أخرى. الفيروزابادي: قاموس المحيط، ج٢، ص: ٧٠٠.

(٧) الخوري: منير: صيدا عبر حقب التاريخ، بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦م، ص: ١١١.

دمشق إلى بغداد التفاح الجيد، ثلاثون ألف تفاحة كل عام[(١)].

ولما كانت بعض مدن الجزيرة الفراتية محطات على الطرق المؤدية إلى الشرق، فإنّ التجار الدمشقيين تنبهوا لهذا الأمر، فحولوها إلى مخازن للسلع المعدة للتصدير إلى بلدان الشرق، ومن هذه المدن (بالس) التي كانت تسمى فرضة أهل الشام، إذ كانت محط رحال التجارة[(٢)].

كما كان لدمشق صلات تجارية مع الكثير من الدول الأوربية، إذ تغلغل اللبنانيون والصيداويون في أسواق أوربا التجارية، وأسّسوا جاليات ناهضة في كثير من مدن إيطاليا وفرنسا وإسبانيا منذ القرن السادس الميلادي[(٣)].

ح- الثغور:

تعتبر الثغور أشبه ما تكون بالخطوط الدفاعية الأولى ضد الأعداء، وعرفت بأنها موضع المخافة من أطراف البلاد، وقد كانت الثغور في فترة العصر العباسي الأول تشكل خطًّا طويلًا من الحصون والقلاع بين بلاد الشام والدولة البيزنطية، وكانت تنقسم إلى قسمين: الثغور الجزرية، وهي الشمالية الشرقية، ومن بلدانها ملطية[(٤)]، وزبطرة[(٥)]، وحصن منصور[(٦)]، وبستنا والحدث[(٧)]، ومرعش[(٨)]، وعلى الرغم من أنها جزيرة إلا أنها من الشام، إذ يذكر أن[(٩)] من ملطية إلى مرعش تسمى ثغور الجزيرة، لأنّ أهل الجزيرة بها

---

(١) الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٦٥م، ص: ٥٣٢.

(٢) زيادة: تجارة بلاد الشام الخارجية، ص: ٣٠٠.

(٣) الحموي: معجم البلدان، ص: ٤٦٥، القزويني: زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، ص: ٢٤١.

(٤) **ملطية**: بفتح أوله وثانيه، وسكون الطاء، وتخفيف الياء، والعامّة تقوله بتشديد الياء وكسر الطاء، هي من بناء الإسكندر وجامعها من بناء الصحابة: بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام وهي للمسلمين. الحموي: معجم البلدان، ص: ١٩٢.

(٥) **زبطرة**: من ثغور الجزيرة قرب مالطية فيها حصن هدمه الروم وأعاد بناءه هارون الرشيد واسترده الروم ثم استولى عليه المعتصم في حملته الشهيرة على عمورية سنة ٢٢٣هـ. موقع الإسلام: تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، ج٢، ص: ٣٦.

(٦) **حصن منصور**: من أعمال ديار مضر لكنه في غربي الفرات قرب سميساط، وكان مدينة عليها سور وخندق وثلاثة أبواب، وفي وسطها حصن وقلعة عليها سوران، ومن حصن منصور إلى **زبطرة** مرحلة، وهو منسوب إلى منصور بن جعونة بن الحارث العامري القيسي، كان تولّى بناء عمارته ومرمّته. الحموي: معجم البلدان، ص: ٢٦٥.

(٧) **بستنا والحدث**: حصن يقع شمالي مرعش ويقوم على جبل يقال له: (الأحيدب) ويقع على الدرب الذي يحمي ثغور الجزيرة ويعرف بدرب الحدث وقد تناوب المسلمون والروم الاستيلاء عليه غير مرة. موقع الإسلام: تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، ص: ١٥٥.

(٨) **مرعش**: تسمى باللغة اليونانية (مراسيون MARASION) وهي مدينة تقع على نهر جيحان، وهي أول درب الحدث، من الثغور الشامية وتقع الآن في أراضي الجمهورية التركية. موقع الإسلام: تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، ص: ٣١١.

(٩) الإصطخري: مسالك الممالك، ص: ٥٥.

يربطون وبها يغزون[١]. وكانت هذه المدن هي أهم مدن الثغور؛ أما ملطية فهي مدينة الحد من الطرف الشرقي، بينما كانت مرعش مدينة الحدود الوسطى، فهي ثغر وليس وراءه إلا عمارات العدو، في حين إن طرسوس هي مدينة الحد الغربي[٢].

أما القسم الثاني فهي الثغور الشامية التي تقع في الجهة الشمالية الغربية من بلاد الشام لحمايتها، ومن بلدانها الحربية إلى بلاد الروم أولهما درب الحدث[٣]، وهو في الشمال الشرقي، ويصل بين مرعش جنوبا، والبستان شمالًا، وكان يحمي هذا الدرب حصن الحدث، أما الدرب الثاني فيعرف بدرب السلامة، وهو الذي يبدأ من طرسوس إلى العليق إلى الرهوة[٤]، ومنها إلى الجرد قوب إلى البذنون، إلى لؤلؤة إلى هرقلة[٥]، إلى قونية، ومنها إلى عمورية[٦] إلى خليج القسطنطينية، وهو الطريق الذي سلكه سعاة البريد وتمر منه وفود قيصر والخليفة[٧]، فالثغور البرية من طرطوس حتى رفح فيما يطلق عليها الثغور البحرية، وهي مراكز لحشد الجيوش وتنظيمها والانطلاق بها للجهاد صوب بلاد الروم صيفًا وشتاء[٨].

ونجد أنّ اهتمام الخلفاء وغيرهم بمنطقة الثغور راجع لأهميتها الدفاعية والإستراتيجية، فضلًا عن أهمية موقعها التجاري، إذ كانت ثغور الشام تشغل موقعا مهما بين الشام والعراق وأرمينية وآسيا الصغرى، وقد ارتبطت مع هذه الجهات بشبكة من الطرق هيأت لها دورا تجاريا كبيرا، وقد تحدثت كتب الجغرافيا العربية عن الطرق التي ربطت الثغور بالشام التي كان من أهمها الطرق من آمد إلى الرقة ذات اليسار، ثم إلى الثغور الجزرية أو الشامية، ومنها إلى الساحل الشامي. وكذلك الطريق الواصل بين حلب إلى الثغور الشامية. ولم تكن هذه الطرق وهذا الموقع وسيلة اتصال بين الشعوب لتبادل التجارة فقط، بل لتبادل الثقافات أيضا، فالحروب المتواصلة التي دارت بين المسلمين والروم، كثيرا ما كانت تؤدي إلى وقوع

(١) ابن منظُور: لسان العرب، مج ٣ ص: ١٠٣.

(٢) ابن حُوقل: صورة الأرض، ص: ١٥٥.

(٣) **درب الحدث**: وهو في الشمال الشرقي من مدينة مرعش الواقعة على نهر جيحان إلى مدينة (البستان) شمالا وكان يحمي هذا الدرب حصن الحدث. موقع الإسلام: تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، الكتاب مرقم آليا، ص: ١٦٦.

(٤) **الرهوة**: هي أرض بني خشم ونصر ابني معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة والرهوة صحراء قرب خلاط. الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص: ١٠٨.

(٥) **هرقلة**: مدينة تقع شمالي غربي طرسوس، وقد تحرف هذا الاسم فأصبحت تسمى (أركلية) موقع الإسلام: تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، ج٢، ص: ٤١٠.

(٦) **عمورية**: عمورية من أرض الروم. الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله: العبر في خبر من غبر، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت ص: ٣١٥.

(٧) ابن خردَاذبة: المسالك والممالك، ص: ١٠٠-١٠١.

(٨) حشاش: توفيق سليمان: الثغور الشامية في العهد العباسي الأول، غزة: رسالة ماجستير، ٢٠١٦م، ص: ١٦.

الأسرى من كلا الجانبين في يد الآخر، فكان هذا سببا من أسباب امتزاج الحياة الاجتماعية واقتباس كل طرف من الآخر[(١)].

ولقد تجاوز التجار المسلمون الثغور إلى مدينة طرابزندة[(٢)]، ذلك المركز التجاري الكبير الذي تجتمع فيه بضائع الشرق، ثم تدخل بعد ذلك إلى بلاد الروم، وكانت مدينة طرابزندة مقصدا للتجار العرب، وقد أكد بأنها "مدينة يجتمع فيها التجار من بلد الإسلام، فيدخلون منها إلى بلد الروم للتجارة ويخرجون بها"[(٣)]، وبذلك شهدت أسواقها حركة تجارية، ومن التجار الذين رحلوا للثغور تاجر الدواب محمد بن سليمان بن حبيب الأسدي[(٤)]، الذي كان يرابط بها ويتاجر، ومن هنا يمكن القول أن إقليم الثغور لعب دورا حضاريًّا وحربيًّا في آنٍ واحد.

وقد اهتم العباسيون اهتمامًا كبيرا بتأمين الطرق وتوفير سبل الراحة للقوافل التجارية الذاهبة إلى الشام وباقي نواحي بلاد الإسلام، واهتمت زبيدة بنت جعفر المنصور[(٥)] بحماية الثغور، فأمرت بإنشاء مراكز للراحة في الثغر الشامي وفي طرطوس، وعملت عليها أوقاف كثيرة[(٦)].

خ- الأسوَاق:

يمثل السوق معلما أساسيًّا من معالم المدينة الإسلامية، فالسوق هو المركز التجاري الرئيسي الذي يلتقي فيه التجار والحرفيون من أجل البيع والشراء، وقد لعب السماسرة[(٧)] دائما دورا مهما في تنشيط الأعمال التجارية[(٨)].

---

(١) ابن خردَاذبة: المسالك والممالك، ص: ٩٦-٩٨-٩٩.

(٢) **طرابزندة**: بالفتح، ثم السكون، وراء وألف، وباء موحّدة مفتوحة، وزاى مضمومة، ونون ساكنة، ودال مهملة وهاء: مدينة من أعيان مدن الروم على ضفّة بحر القسطنطينيّة الشرقي، وهو المعروف ببحر بنطس، وإلى هذه المدينة منتهى جبل القبق، ثم يقطعه البحر، وهي مشرفة على البحر، وماؤه يحيط بها كالخندق، عليه قنطرة إذا دهمهم أمر قطعوها. ولها رستاق واسع، ويقابلها مدينة كراسنده. القطيعي: عبد المؤمن بن عبد الحق: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ، ج١، ص٩١.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ج٢، ص: ٢٩٥.

(٤) **محمد بن سليمان** بن حبيب الأسدي أبو جعفر لوين قثنا ابن عيينة. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ص: ١٦٢.

(٥) **زبيدة بنت جعفر** توفيت سنة ست عشرة ومائتين، في خلافة المأمون، اسمها أمة العزيز، وهي ابنة عمة الرشيد وزوجته، وأم الأمين، وهي التي بنت الآبار والبرك والمصانع بمكة. المرجاني: محمد عفيف: بهجة النفوس والاسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢م، ص: ٦٣٦.

(٦) المرجاني: بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار، ص: ٦٤٦.

(٧) **السماسرة**: الذي يبيع البر للناس السمسار فارسية معربة، والجمع السماسرة. ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص: ٣٨٠.

(٨) زنيد: خالد أحمد: التجارة في بلاد الشام حتى نهاية العصر العباسي الأول، الأردن، رسالة ماجستير، ١٤١٢هـ، ص: ٥٦.

لقد برزت ظاهرة التخصص في الأسواق الشامية منذ منتصف القرن الهجري الأول (٧م) فهناك بدمشق مثلًا سوق القمح، حيث يجتمع أهل السلعة فيسهل على الدولة الإشراف على هذه الأسواق(١).

وقد كانت أسواق دمشق مغطاة بالخشب أو بألواح وحصر، فضلا عن كونها مبلطة بالحجر الصلد(٢).

ومن الأسواق الدمشقية: سوق القمح، سوق البقل، سوق الدواب، وسوق الدجاج، وسوق الريحان التي يبدو أنها كانت معروفة، نظرا لشهرة دمشق وغوطتها بالورود(٣).

ومن الأسواق التي عرفت في دمشق أيضا: سوق الشعير، وسوق الدقيق، نظرا لشهرة بلاد الشام بإنتاج الحبوب(٤).

وتجدر الإشارة إلى بروز الأسواق في مدينة دمشق، مما يدل على أهميتها التجارية.

ومن الملاحظ على أسواق دمشق أنها لم تكن كلها متخصصة في بيع نوع محدد من السلع، بل وجدت أسواق أخرى جامعة تباع فيها مختلف أنواع البضائع، فمثلا السوق الكبير في دمشق، سوق عظمى تجمع فيها مختلف أصناف التجارات والصناعات(٥).

كما يبدو ظهور الأسواق الأسبوعية في دمشق في العصر العباسي الأول ومنها سوق الأحد، إذ كانت الصبغة الغالبة لهذه الأسواق أن المشترين والبائعين يقطنون على مسيرة نصف يوم منها على الأكثر، ويشكل البائعون حلقة يطلق عليه دور(٦).

وقد أدت هذه الحركة المستمرة إلى انتشار السلع في أسواق دمشق، ولما كانت المدن البحرية مثل: طرابلس وبيروت وصور وعكة لا تبعد عن سوق دمشق الكبيرة إلا بضعة أيام؛ فقد كانت تحصل على ما تحتاج إليه من السلع التي كانوا يبتاعونها في سوق دمشق الكبير(٧).

---

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ص: ٢٤٠-٢٤١.

(2) wright: Thomas: Carley travels in Palestine, press, New York: united states of America, 1969, p: 15.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري، ص: ٢٤٠-٢٤١، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ص: ٧٤، ١٤٢، ١٥٨.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ص: ٢٢٧-٢٢٩.

(٥) اليعقوبي: البلدان، ص: ٧.

(٦) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ص: ٢٢٧-٢٢٩.

(٧) التميمي: الحياة الاقتصادية في الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص: ٣١٣.

وفي ختام المبحث ترى الباحثة أنّ تنظيم الجانب التجاري تناول كلًّا من الطرق البرية، والنقود والصكوك، والورق، والصادرات والواردات، والصلات التجارية، والثغور، والأسواق. وقد شجع خلفاء العصر العباسي التجار وأدخلوا من مظاهر الترف وتعبيد الطرق وتأسيس المدن، كما كانت مدينة دمشق مركزًا مهمًّا للقوافل الآتية من أغلب ما حولها من مناطق، وفتحوا الأسواق؛ مما نشّط من حركة التجارة الداخلية، وقد استخدمت الصكوك في التعامل بوصفه وسيلة من وسائل التجارة، وبحكم ما تتمتع به دمشق من وفرة في المواد الأولية المختلفة من صناعية وزراعية فقد كان يصدر الفائض منها إلى بلدان كثيرة، كما شمل المبحث المنطقة التي تتمثل أهميتها في الجانب الدفاعي والإستراتيجي، فضلًا عن أهمية موقعها التجاري.

المبحث الثالث: تنظِيم الصنَاعة الحرفِية:

أما في العصر العباسي الأول فقد ظهر تنظيم دقيق للحرف، وحصل ارتقاء بها، كما كانت أنظمة الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول تحرص على مصلحة المستهلك من حيث مراقبة المنتج وكميته، فكانت الصناعة في الدولة الإسلامية تمثل أحد الأنشطة الاقتصادية التي زاولها الإنسان من أجل الحصول على مورد مالي للعيش، فضلًا عن الأوجه والفعاليات الاقتصادية الأخرى، كالتجارة، والزراعة. وللصناعة أهمية من بين هذه الأنشطة[١].

وقد أولَت الخلافة العباسية عناية فائقة بالصناعة حينما رأت أنها البديل الأمثل في تحقيق النمو الاقتصادي، فعملوا على تنشيطها وفق خطة تنموية بحتة، هدفوا من خلالها إلى إيجاد قطاع صناعي لا يقتصر على الحِرَف البسيطة لتلبية الاحتياجات الضرورية فحسب؛ وإنما يضمن لهم اكتفاء ذاتيًّا وازدهارًا اقتصاديًّا وموردًا ماليًّا لخزينة الدولة. وقد اهتم الخلفاء بتوفير المواد الأولية اللازمة للصناعة، سواءً ما يتعلق بالثروة الزراعية أو الحيوانية أو المعدنية، فقد وجدت هذه المواد في بعض أقاليم الدولة وبعضها تم استيراده واستخراجه واستثماره من بلاد أخرى كالمغرب والأندلس والسودان الغربي، وهذا ما يفسر لنا أسباب الانطلاق الصناعي الكبير الذي تحقق في العصر العباسي الأول[٢].

وقد اشتهرتْ دمشق منذ بداية التاريخ بصناعاتها وحرفها الّتي امْتازتْ بالجودة والإتْقان، والّتي تنوعتْ ما بين: الصّناعات الفخارية، والزّجاجية، والجلْدية، والنّسيجية، وصناعة السيوف كذلك،

---

(١) الطبري: تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص: ٤٥٢.

(٢) العمر: فؤاد عبد الله: مقدمة فِي تَاريخ الاقتصَاد الإسلامِي وتطُوره، السعُودِية، المعهد الإسلامِي للبحُوث وَالتدريب، ٢٠٠٣م، ط١، ص: ١٥٩.

وغيرها. أما الصانع الدمشقي فقدْ تميز بالمهارة والابْتكار والخبْرة المهنية والذّوْق الفني العالي. وكانت أنواع الحرف في دمشق تعاني تدهورا وتأخّرا إذا ما قورنتْ بالحرف أو الصّناعات الأوروبية في أواخر حكْم الدولة العثْمانية. كما كانت دمشق من مراكز صنعة السيوف حيث تُصنع في محلة باب الطاق(١)، كما كان فيها سوق معروفة بسوق السلاح التي يشتري منها الجنود أسلحتهم(٢). وتنقسم المصنوعات الدمشقية في العصر العباسي إلى:

أ- المنسُوجَات:

فيما يختص بالصناعات النسيجية التي شكلت موردا مهمًّا للدولة، فقد اعتمدت بالدرجة الأولى على الحاصلات الزراعية كالقطن والكتان، على حين ألياف الصوف والحرير تكون حيوانية، فقد وصفت بالوفيرة في أقاليم الدولة الإسلامية، فالقطن اشتهرت به خراسان، لهذا أشار الخليفة المأمون أنه يستوي الشريف والوضيع من مرور ثلاثة أشياء: (الطبيخ النارنك، والماء البارد لكثرة الماء بها، والقطن اللين)(٣).

أما عن الكتان فكان معروفًا بمصر منذ عهود قديمة، لذا عمل الخلفاء على استيراده من هناك، فقد وصف ذلك بقوله: "وقد علم الناس أن القطن لخراسان والكتان لمصر"(٤)، وذكر عن مدى اهتمام خلفاء بني العباس بكتان مصر أنّ الخليفة المهدي (١٥٩هـ/ ٧٥٥م) أمر أن تصنع كسوة الكعبة الشريفة في طراز بمدينة (تنيس) بمصر، وقد تم اختيار هذه المدينة لشهرتها في جودة الصناعة والحياكة وتوفرها على المواد الخام(٥).

أما الحرير فقد جع الله تعالى له شرفا ومكانة متميزة من بين سائر المنسوجات، ويجعله من ثياب أهل الجنة مصداقًا لقوله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾(٦)؛ لذا وجهت ضرورة العناية به لكونه من المواد الهامة التي تُعتمد في صناعة نسيج الحرير، وأشار المقدسي إلى أنه كان يحمل من أقاليم خوزستان القز إلى بغداد(٧).

---

(١) **محلة باب الطاق:** الطاق ما عطف من الأبنية، وهي محلة كبيرة كانت في بغداد بالجانب الشرقي يعرف بطاق. القطيعي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ص: ٤٥. الفيروزابادي: قاموس المحيط، ص: ٩٠٦.

(٢) القُوطِي: عرِيب بن سعد: صلة تَاريخ الطبرِي، برِيل، لايدن، ١٨٩٧م، ص: ٣٥.

(٣) الحمُوِي: معجم البلدان، ص: ١٣٣.

(٤) الثعَالِبي: عبد الملك بن محمد بن إسمَاعِيل، لطَائف المعَارف، مطبعة لندن، د. ط، ١٨٣٧هـ، ص: ٩٧.

(٥) المقريزِي: كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ص: ٣٣٥.

(٦) سُورة فَاطر، الآية: ٣٣.

(٧) المقدسِي: أبُو عبد الله محمد بن أحمد: أحسن التقاسِيم فِي معرفة الأقاليم، تحقِيق: شَاكر العِيِي، الإمَارَات العربِية المتحدة: دَار السُوِيدِي، ٢٠٠٣م، ط١، ص: ٣٤٦.

أما المواد الأخرى فكانت ذات أهمية قصوى، خصوصًا في صناعة الأنسجة الصوفية وصناعة الجلود لدباغة وصناعة الأحذية والنعال -الصوف والوبر- على اختلاف أنواعها، وقد ساعد على ذلك توفّر الحيوان في بلاد المشرق الإسلامي، وانتشرت في مراعيها الإبل والأبقار والأغنام التي يستخرج من أصوافها مختلف أنواع الجلود[(١)].

وكان السجاد يفرش في قصور الخلافة لإظهار عظمتها، وكان الصوف أهم المواد في صناعة البُسُط والسجاد التي يحتمل أن تكون من صنع معامل الخلافة، كما أن بعض البُسُط كانت تصنع من القطن والكتان، وحافظات النقود القماشية والرايات والأعلام والخيام، كما اشتهرت بحصرها الجميلة التي تصنع من الحلفاء[(٢)].

وقامت صناعة الصباغ إلى جانب صناعة الحياكة لترضي الأذواق المختلفة، فقد اختار طبقة اجتماعية أو مناسبة -خاصة العباسيين- السواد، كما اختار العلويون الخضرة، وكان لكل ألوانها، وكانت تسبق عملية صبغ الخيوط في معظم الأحيان عملية القصر التي يقوم بها القصارون بالقرب من الأنهار والسواقي، أما خيوط القز فكان من الواجب قصرها قبل تبييضها[(٣)].

ب- الصناَعَات المعدنِية والخشبية:

شكّلت الثروة المعدنية التي زخرت بها الدولة العباسية دافعًا مهمًّا في تنويع الصناعات وتطوّرها، وقد كان للخلفاء دور مهمٌّ في استغلالها واستثمارها من أجل تنمية إنتاجها الصناعي، خصوصا الصناعات الحربية، وصناعة النقود كأساس للمعاملات التجارية، أو صناعة الحلي وأدوات الزينة والأواني المنزلية. وقد أوْلت الدولة العباسية خلال عصرها الأول عنايةً فائقةً بمسألة المعادن والمناجم باعتبارها تدرّ على الدولة أموالًا تذهب إلى بيت المال، وفي نفس الوقت يستفاد منها في العديد من الصناعات، وقد كانت وقفا على ملّاكها الذين كانوا يدفعون زكاة ما يخرج منها بواقع ربع العشر[(٤)]. وعرفت الصناعات المعدنية شهرة واسعة في العصر العباسي، وقد بالغ بعضهم ورغب في أن يكون لكل محارب سيفان، وقد كانت دمشق وبغداد من مراكز صنع السيوف، كما كان فيها سوق معروفة بسوق السلاح التي يشتري منها الجنود أسلحتهم، وكانت تصنع في بغداد الأسلحة المتنوعة الأخرى، كما تصنع فيها الأدوات المنزلية

(١) مشايرية: أيوب: دور الخلفاء العباسيين في تنمية النشاط الصناعي خلال العصر الأول، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، الجزائر، مج ٣٥، عدد١، ٢٠٢١م، ص: ١٢٧٥.

(٢) المختَار: فريال داود: المنسوجَات العرَاقية الإسلامية، بغداد، ١٩٧٦م، ص: ١٦٠.

(٣) البلاذري: أحمد بن يحيى بن جبر بن داود: فتوح البلدَان، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨م، ص: ٤٤٠.

(٤) مَالك: بن أنس: المدونة، بيروت، دَار الكتب العلمية، د. ت، ط١، ج١، ص: ٣٣٩.

المعدنية والأبواب النحاسية، وقد استخدم الصُّنّاع النحاس والصُّفر والبرونز والحديد لصنع الأدوات المختلفة، وكان في بغداد سوق للصفارين[(١)][(٢)].

ولقد كانت الأخشاب من المواد الرئيسية المنتشرة في الطبيعة، والتي لا يمكن الاستغناء عنها، لذا لقيت عناية كبيرة من قبل الخلفاء نظرا لاستعمالها في المجالات العسكرية؛ كصناعة السفن والمراكب والأسلحة، بالإضافة إلى العمارة والبناء والأثاث المنزلي.

وقد شهد العالم الإسلامي في تلك الحقبة تنوعا كبيرا في الغابات والأشجار، ودليل ذلك أن الخليفة المعتصم نقل الأخشاب من البصرة وبغداد وسائر السواد إلى مدينة سمراء، وقد تميزت كلٌّ من شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام ومصر بوفرة أشجارها وغاباتها التي عدّت مصدرا أساسيًّا للأخشاب، فعرفت بلاد الشام بكثرة أشجارها خصوصا الزيتون والصنوبر، ووصفت بأنها أكثر بلاد الله زيتونا[(٣)].

وقد استخدم أبو جعفر المنصور الأخشاب في الجامع الذي بناه في مدينة قصر الذهب، فكانت أساطين الخشب في المسجد كثيرة وبارزة. وفي السياق نفسه استخدمت الأخشاب بشكل كبير، لا سيما في بناء الأعمدة الخشبية التي تؤلّف مادة مهمة، وقد وضعت من جذوع النخل وأقيمت السقوف على جسور من الخشب في جامع أبي دلف في سمراء أيضا[(٤)].

والراجح أن خلفاء الدولة عملوا على توفير الأخشاب واستيرادها خصوصًا التي تتميز بصلابتها ومتانتها -وليس كما صرح به بعض المستشرقين من محدودية أخشاب العالم الإسلامي-، وأن ما استورده الخلفاء من الأخشاب من أجل ضمان مستلزماتهم العسكرية مثل بناء السفن وإقامة الجسور، وربما استيراد مثل هذه الأنواع من الأخشاب نظرا لصلابتها ومتانتها، كما يدعونا لهذا القول ما آل إليه الأمر في عصره الأول من رقي وتطور وظهور صناعات جديدة للاستفادة من هذه المادة الخام. ومن بين الأخشاب التي تم استيرادها خشب الساج والنارجيل من بلد الهند، وقد لاحظ الرحالة السيرافي مدى توفر مثل هذا النوع من الأخشاب في بلاد الهند[(٥)].

كما وضعوا سياسة تهدف من خلالها للحفاظ على هذه المادة، وبنوا لها دُورًا تم فيها تخزين هذه

---

(١) **سوق الصفارين**: يقع بجوار دار الإمارة الخضراء بدمشق، بناها معاوية بن أبي سفيان. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص: ١٦.

(٢) ابن طيفور: أبو الفضل أحمد بن طَاهر بن طيفور: تَاريخ بغدَاد، القاهرة، ١٩٤٩م، ص: ٩٨.

(٣) الجبُورِي: الأخشاب واستخداماتها الحضارية في المشرق العربي الإسلامي، ص: ٥١.

(٤) مشَايرِة: دور الخلفاء العباسيين في تنمية النشاط الصناعي خلال العصر الأول، ص: ١٢٨٠.

(٥) **السِيرَافِي**: أبُو زِيد: عجَائب الدنيا وقِياس البلدَان، تحقِيق: سِيف شهِيد المرِيخِي، المملكة العربية المتحدة، مركز زِيد للترَاث وَالتَارِيخ، د. ت، ص: ٣١.

الأخشاب، ومركزا لصناعة السفن[١].

كما تطور وانتشر في العصر العباسي الأول نظام العرافة، حيث كان لكل مهنة أو حرفة عريف من أهل المهنة أو خبير، حتى يستطيع المحتسب الضبط فيما يخفى عليه من دقائق تلك المهنة أو الحرفة، ومن صور ذلك أن الخليفة العباسي هارون الرشيد أمر باختيار شيوخ جميع الحرف والمهن، فمن أثبت جدارته أبقاه، ومن لم يثبت عزله وولى غيره[٢].

وفي ختام المبحث ترى الباحثة أنّ الدولة العباسية قد اعتنت عناية كبيرة بالصناعة، حيث رأت أنها البديل الحقيقي في تحقيق النمو الاقتصادي، فنشطوها، وعملوا من خلالها إلى إيجاد قطاع صناعي كبير، حيث وفروا المنسوجات مثل الكتان والحرير والمواد الأخرى، كما اهتموا بالصناعات المعدنية والخشبية التي استخدمت في البناء والاستخدامات العسكرية.

المبحث الرابع: تنظِيم الخلفَاء العبَاسِيين للموَارد المَالية:

من الجدير بالذكر أن الخلافة العباسية شهدت تطورًا حضاريًّا ملحوظًا في جوانبها كافةً، وهذا بدوره انعكس بشكل إيجابيّ في أوضاعها العامة، ولا سيما الأحوال المادية؛ إذ تحصلت لديها موارد من مختلف الأشكال، وقد شملت الموارد المالية في العصر العباسي واردت الخراج والنفقات فضلًا عن الدواوين الخاصة بالمالية.

وقد اعتنت الخلافة العباسية بشكل عام بالجانب المالي في تحصيل الموارد، وكذلك في إنفاق هذه الموارد، ونرى أن الخلافة سعت إلى ضمان الازدهار المالي للدولة في حصولها على الموارد بمختلف الأشكال، وكذلك إنفاق هذه الموارد بشكل منظم، والذي يعود على الدولة والرعية بالخير والنفع، وهذا يأتي من تحسين الوضع الاقتصادي والاجتماعي بشكل عام، وكذلك الإنفاق على الخدمات العامة المتنوعة والكثيرة. وهذا جاء عن طريق عناية الدولة بالجوانب الإدارية المتعلقة بالجانب المالي من إنشاء عدد من الدواوين الخاصة بالمالية والإدارة، حيث اعتنى الخلفاء العباسيون من ضمن ما اعتنوا به بالخراج[٣]، وعملوا على تنظيم ديوان الخراج وتطوير العمل به والمحافظة على سجلاته؛ إذ إنّ تطور الأوضاع في الحاضرة بغداد والدولة ومرونة العباسيين في سياستهم الإدارية استلزم حدوث تطورات في المؤسسات الإدارية ومنها الدواوين[٤]. وقد اعتبرت ضريبة الخراج أقدم أنواع الضرائب، إذ عرفت منذ أيام

(١) مشَايرِية: دور الخلفاء العباسيين في تنمية النشاط الصناعي خلال العصر الأول، ص: ١٢٨٢.

(٢) الجفري: التطور الاقتصادي في العصر الأموي، ص: ١٣٤.

(٣) أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم: الخراج، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٥٢هـ، ط٢، ص: ٥.

(٤) العلي: الدواوين والوزراء مراكزهم في العصر العباسي، ص: ١٥٢.

الفراعنة وربما قبل ذلك، وسبب وضعها أن الناس كانوا يعدون الأرض ملكا للسلطان، والأهالي يتمتعون بريعها على أن يدفعوا للحكومة حصة من ذلك الريع وهو الخراج[١].

أما جباية الخراج فقد كانت تتم بطريقة المساحة التي وضع أسسها الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب ﷺ في عام (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤-٦٤٤م)، وبمقتضى هذه الطريقة يؤخذ الخراج نقدا وعلى مساحة الأرض سواء زرعت أم لم تزرع[٢].

وقد بقيت هذه الطريقة -أي: المساحة- هي السائدة طوال العصر الراشدي والأموي، إلا أن التطور المهم الذي أصاب الخراج كان في عهد الدولة العباسية؛ إذ قرر الخليفة المهدِي (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٥-٧٨٦م) العدُول عن نظَام المسَاحة وَاستبدَاله بنظَام المقاسمة؛ إذ أصبحت الدولة تقاسم المزَارعين على وفق نسبة معيَّنة دُون النظر لمسَاحة الأرض[٣]. ومعنى نظم المساحة أن يكون هناك خراج مقرر معين على مساحة محددة من الأرض، تجبيه الدولة في كل عام -جملة أو منجما- دون نظر إلى ما يحدث من اختلاف كميات المحصول أو اعتبارات أخرى، إلا إذا كان الحاكم عادلًا فيرى تغيير مقدار الخراج المقرر بحسب ما تحتمله الأرض والناس، أما نظام المقاسمة كالثلث مثلًا للجولة والثلثين للمزارعين، دون اعتبار للمساحة، فيتغير الخراج بطبيعة الحال بتغير المحصول الذي ينتج، ولكلٍّ من النظامين فوائد ومضار بحسب الظروف[٤].

ونظام المقاسمة تأخذ الدولة بموجبه نسبة معينة من المحاصيل تبعا لطريقة ري الأرض، فالأرض التي تسقى نصف المحاصيل، والأرض التي تسقي بالدواليب ثلث الحاصل، ولم تكن هذه النسبة ثابتة فقد تزيد أو تنقص، ولعل سبب تحويل ضريبة الأرض من الخراج إلى المقاسمة يعود إلى زيادة الإنتاج؛ مما أدى إلى خفض سعره، فلم تعد تفي الأرض بخراجها[٥].

وترى الباحثة أنّ العباسيين قد اهتموا بأمر الخراج ومعالجة مشاكله؛ لذا قاموا بإلغاء خراج المساحة، وأحلُّوا محله خراج المقاسمة الذي تأخذ الدولة بموجبه نسبة من المحاصيل، ولم تكن هذه النسبة ثابتة فقد تزيد أو تنقص، ولعل سبب تحويل ضريبة الأرض من الخراج إلى المقاسمة يعود إلى زيادة الإنتاج مما أدى إلى خفض سعره، فلم تعد تفي الأرض بخراجها.

---

(١) الرفَاعِي: أنور: النظم الإسلامِية، بيرُوت، ١٩٧٣م، ص: ١٧١.

(٢) حسن: إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، ١٩٧٠م، ص: ٢٤١.

(٣) الريس: محمد ضِياء الدِين: الخرَاج فِي الدُولة العربِية الإسلامِية، مصر، دَار المعَارف، ط٣، ١٩٦٩م، ص: ٤٢٩.

(٤) الريس: الخرَاج فِي الدُولة العربِية الإسلامِية، ص: ٤٣٠.

(٥) أبو يوسف: الخراج، ط٢، ص: ١٠٥.

أما رأي الشرع في نظام المقاسمة فهو إن كان الواجب بعض الخارج كالخمس ونحوه، وخراج المقاسمة كالعشر ما أخذ إلا فرق فيه بين الرطاب والزرع والكرم والنخل المتصل وغيره، فيقسم الجميع على حسب ما تطيق الأرض من النصف، أو الثلث، أو الربع، أو الخمس، وقد تقرر أن خراج المقاسمة كالعشر لتعلقه بالخارج، ولذا يتكرر بتكرر الخارج في السنة، وإنما يفارقه في المصرف، فكل شيء يؤخذ منه العشر أو نصفه يؤخذ منه خراج المقاسمة، وتجري الأحكام التي قررت في العشر وفاقا وخلافا؛ فإذا علمت ذلك علمت ما يزرع في بلادنا وما يغرس، فإذا غرس رجل في أرضه زيتونا أو كرما أو أشجارا يقسم الخارج كالزرع، ولا شيء عليه قبل أن يطعم، بخلاف ما إذا غرس في الموظف، ولو أخذها مقاطعة على دراهم معينة بالتراضي ينبغي الجواز، وكذا لو وقع على عداد الأشجار؛ لأن التقدير يجب أن يكون بقدر الطاقة من أي شيء كان، ولأن تقدير خراج المقاسمة مفوض لرأي الإمام، وكل من الأنواع الثلاثة يفعل في بلادنا، فبعض الأرض تقسم ثمار أشجارها، ويأخذ مأذون السلطان منها ثلثا أو ربعا ونحوه، وبعضها يقطع عليه دراهم معينة، وبعضها يعد أشجارها، ويأخذ على كل شجرة قدرا معينا، وكل ذلك جائز عند التراضي على أخذ شيء في مقابلة خراج المقاسمة لم يستحقه، ولا شك أن أراضي بلادنا خراجية، وخراجها مقاسمة، كما هو مشاهد وتقديره مفوض إلى رأي الإمام(١).

ومن شواهده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ: "أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَفَعَ خَيْبَرَ أَرْضَهَا وَنَخْلَهَا مُقَاسَمَةً عَلَى النِّصْفِ، على أن يعتلوها من أموالهم، وأن لرسول الله ﷺ شطر ثمرتها"(٢).

أما وزير المهدي وهو أبو عبد الله معاوية بن يسار(٣)، فإنّه جمع له حاصل المملكة ورتب الدواوين، وقرر القواعد، وكان كاتب الدنيا، وأوجد للناس حذقًا وعلما وخبرةً، فلما مات المنصور وجلس المهدي على سرير الخلافة؛ فوض إليه تدبير المملكة وسلم إليه الدواوين، وكان مقدما في صناعته، فاخترع أمورا منها أنه نقل الخراج إلى المقاسمة. ثم ذكر عنه أنه صنّف كتابا في الخراج ذكر فيه أحكامه الشرعية، ودقائقه وقواعده، وهو أول من صنف كتابا في الخراج، وتبعه الناس بعد ذلك فصنفوا كتب الخراج(٤).

ومن إجراءات الإصلاحات التي حدثت في هذه المدة أن الخليفة المهدي أصدر الأمر بمنع تعذيب الناس من أجل استيفاء أموال الخراج المتأخرة عليهم، فتقدم المهدي إلى وزيره أبي عبيد الله بالكتاب إلى

---

(١) ابن عابدين: محمد امين بن عمر بن عبد العزيز: رد المحتار على الدر المختار، ج٤، ص: ١٠٥

(٢) البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي: كتاب السنن الكبير، باب شرط العمل في المساقاة على العامل، القاهرة، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية الإسلامية، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، ج١٢، ص: ١٠٩. رقم الحديث: ١١٧٤٢.

(٣) **وزير المهدي وهو أبي عبد الله معاوية بن يسار** الأشعري الطبراني صاحب مربعة عبيد الله ببغداد. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٧، ص: ٢١.

(٤) ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص: ١٦٣-١٨٢.

جميع العمال برفع العذاب عن أهل الخراج[١].

أما عن إسهام الخليفة هارون الرشيد في تنظيم الموارد المالية، فقد وضع عن أهل السواد العشر الذي كان يؤخذ منهم بعد النصف، ومن هذا الخبر نفهم أنّه كان زيد على الناس عشر فوق النصف الذي كان مقررًا، ويظهر أنّ ذلك كان في أواخر خلافة المهدي، حين اختلفت الأمور بعض الشيء، ووجدت الحاجة الشديدة إلى المال، فكان حذف الزيادة إنصافا للناس[٢].

وفي عهد الخليفة الواثق (٢٢٨-٢٣٢هـ/ ٨٣٢-٨٤٧م) لم يخرج عن المبادئ الإصلاحية التي وضعت في عهد الرشيد، ومنها[٣]:

١- منع تحويل الأراضي الخراجية إلى أراضي عشرية.

٢- بطلان جميع ما حدث من تصرفات في الأرض الخارجية اعتبارا من عام مائة هجرية، خلال فترة خلافة عمر بن عبد العزيز، ورد الأراضي المغتصبة إلى سابق عهدها، وإرسال لجان مختصة إلى الشام معقل الأمويين ليميزوا بين أنواع الأراضي ما إذا كانت عشرية أو خراجية، ووضع الخراج وفقًا لدرجة الخصوبة والإنتاج.

٣- إعادة المزارعين الذين تركوا الأراضي الخراجية التي كانت تحت أيديهم وتشجيعهم والرفق بهم، وإعادة حفر الأنهار القديمة، واستحداث شبكات ري جديدة، وزيادة الإنفاق العام على المشروعات الزراعية العامة ذات النفع العام.

٤- ربط الخراج بالإنتاج، وذلك بالتحول من خراج الوظيفة أو المساحة ذات الربط الثابت على الوحدة الزراعية إلى خراج المقاسمة، حيث تقسم الدولة المحصول الناتج مع المزارع، وتعيد النظر باستمرار في نسبة الخراج المربوطة على الأراضي الخراجية، وقد قام الرشيد بتخفيف الخراج عن بعض الأراضي التي ردّت لزارعيها وفقا لطبيعة خصوصياتها مع لين المعاملة، وعُرف هؤلاء المزارعون بأصحاب التخافيف، كما تم رد بعض الأراضي الخراجية إلى زارعيها على أساس ما كانوا يدفعونه من قبل، تركهم لها حيث لم تتغير طبيعتها، وعرفوا بأصحاب الردود نظرا للدعم الذي تلقّوه.

أما ابنه الخليفة الأمين الذي حدثت في عهد الفتنة فلما تولى الخلافة أمر للجند بمدينة السلام برزق أربعة وعشرين شهرا، وبخواص من كانت له ميزات لهذه الشهور، كذلك أمر المأمون للناس بمال، وأعطى

(١) ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص: ١٤٢.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص: ٥١.

(٣) فرجاني: مراد: الرقابة الاقتصادية وانعكاساتها على الإصلاح الزراعي لنظم ملكية الأرض في العصر العباسي الأول، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج ٦، العدد ٢، أكتوبر، ٢٠٢٢م، ص: ٥٦٧.

الجند رزق اثني عشر شهرا، وأمر الخليفة المأمون بإشارة إلى الفضل بن سهل أن يخفض خراج خرسان بمقدار الربع، فلما فعل ذلك حسن موقعه عند أهل خراسان وسروا به، وقالوا: "ابن أختنا، وابن عم النبي ﷺ"(١).

والجدير بالذكر أن الخلفاء سعوا إلى استعادة أراضي الدولة كلما أتاحت الظروف ذلك عن طريق المصادرات لأملاك بعض الوزراء والعمال والقادة ورجال الدواوين وبعض كبار رجال، بعد اتهامهم بالفساد أو الجباية أو الخروج عن نظام الحكم، على سبيل المثال لا الحصر: ما قام به الخليفة العباسي الرشيد في عام (١٧٣هـ/ ٧٨٩م) حيث أرجع إلى أملاك الدولة ضياع محمد بن سليمان والي البصرة والكوفة بعد موته. كما صادر جميع أراضي البرامكة حتى اعتبرها بعضهم سببا من الأسباب الرئيسية لنكبتهم، وصادر أيضا ضياع علي بن عيسى وأولاده وهم بنو العباس، وكذلك ضياع عماله ووكلائه وكتابه(٢).

وقد كانت نفقة أعداد الجيش وتجهيزه بالمعدات والأسلحة الحربية وتحصين الثغور من جملة نفقات بيت المال، وهي نفقات ضخمة تتوازن ومسؤولية الدولة التاريخية وحجم الانتصارات الكبيرة التي حققتها على أعدائها. ولعل من أهم الأمور التي تنفق فيها أموال الدولة الأمور المتعلقة بالجيش من حيث أرزاق الجند وتوفير مستلزماته من الأسلحة المختلفة وإعداده الإعداد السليم؛ لهذا كان الإنفاق على الجيش ضروريا جدًّا حتى قيل: لا جند إلا بمال، فحقهم فيه لا بد منه إذ هو قوامهم(٣).

ونجد أنّ الخلفاء العباسيين كانوا حريصين جدًّا على توفير مستلزمات الجيش وأرزاقه، فخصص للجند رواتب شهرية أو بصورة متقطعة على شكل دفعات أو رواتب سنوية لقادة الجيش من الأمراء.

وعن رواتب رجال الدولة، فقد كانت من أهم نفقات الدولة أيضًا رواتب الموظفين كافة كالقضاة، وأصحاب الدواوين، وأئمة المساجد، والوعاظ، والعمال، وغيرهم من الموظفين، وكذلك كبار رجال الدولة، كالوزراء، والأمراء، والولاة. وكانت تلك الرواتب الشهرية أو السنوية تكلف مالية الدولة كثيرًا، لكثرة عدد الموظفين التابعين للدولة. أما عن الإنفاق على الخدمات العامة فقد اعتنت الدولة العباسية بالخدمات العامة بشكل واضح وكبير، فكانت تخصص جزءًا كبيرا من مالية الدولة لتلك الخدمات الكثيرة والمتنوعة التي كانت تشمل بناء المساجد، والجوامع، والمدارس، والمستشفيات، والدور، والربط، والجسور(٤).

---

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ص: ١٢٨-١٢٩.

(٢) فرجَاني: الرقابة الاقتصادية وانعكاسها على الإصلاح الزراعي لنظم ملكية الأرض في العصر العباسي الأول، ص: ٥٦٨.

(٣) الرحِيم: عبد الحسِين مهدِي: الخدمَات العَامة فِي بغدَاد، بغدَاد، دَار الشؤون الإسلامِية العَامة، ١٩٨٧م، ط١، ص: ٣٣-٣٤.

(٤) الرحِيم: الخدمَات العَامة فِي بغدَاد، ص: ٣٣-٣٤، ٥٤-٥٥، ٢٩٥.

ومن الملاحظ أن المجتمع في دمشق إلى جانب تعدد عناصره فقد تكوَّن من فئات متباينة من الناحية الاقتصادية، وقد لعب تقريب القبائل وإقطاعهم الإقطاعات والدور والمنازل دورًا كبيرًا ومهمًّا فيها، يمكن تقسيم المجتمع وفق ذلك إلى فئتين: الفئة الأولى: فئة الأمراء وكبار القادة والتجار، والثانية: تمثل العامة وهم غالبية السكان.

وفي ختام المبحث تؤكّد الباحثة أنّ تنظيم الخلفاء العباسيين للموارد المالية جاء كافيًا وشاملًا لجميع الجوانب المتعلقة به؛ مثل تحصيل الموارد، وتنظيم ديوان الخراج، ونفقة أعداد الجيش، وتجهيزه بالمعدات والأسلحة الحربية، وتحصين الثغور من جملة نفقات بيت المال، وكذلك الاهتمام برواتب رجال الدولة.

الفصل الثالث
التنظيمات الاجتماعية في مدينة دمشق
خلال العصر العباسي الأول

المبحث الأول: النظم الاجتماعية في دمشق خلال العصر العباسي الأول.

المبحث الثاني: علاقة القبائل العربية في دمشق بالخلافة العباسية.

المبحث الثالث: العادات والتقاليد في المجتمع العباسي في دمشق.

الفصل الثالث
التنظيمات الاجتماعية في مدينة دمشق
خلال العصر العباسي الأول

يعتبر مفهوم المجتمع بأنّه موضع الاجتماع الجمع ضد الفرق والجماعة من الناس. وعرّفهُ البعض بأنّهُ: مجموعة من الأفراد تربطهم روابط معينه الفرد فيه كاللبنة في البنيان، فالبنيان ضعيف إذا كانت لبناته ضعيفة. كما عرّفهُ آخرون على أنّه: نسيج مكون من صلات اجتماعية وعناصره أفراد يعيشون سويًا تربطهم صلات اجتماعية وأنظمة وقوانين، والسلطة التي تسيرها وأهمها العقيدة والمبدأ ومجموعة من القيم والأهداف المشتركة.

فالتعريف الأول يمكن أن يجتمع أفراد من الناس ولا تجمعهم أيّ صلة مشتركة دايمًا، والثاني لا يعتبر تعريفًا شاملًا لكل عناصر المجتمع المتماسك كاللغة والعقيدة، أما التعريف الثالث فيحقق الشروط المطلوبة لبناء المجتمع واستمراريته(١).

المبحث الأول: النظم الاجتماعية في دمشق خلال العصر العباسي الأول:

أهمية موقع دمشق الجغرافي(٢):

مدينة دمشق أجلّ مدينة بالشام كلّها، وهي في أرض واسعة، بين جبال تحيط بها مياه كثيرة وأشجار وزروع متّصلة(٣)، في أرض مستوية، قد دحيت بين جبال تحتفّ بها إلى مياه كثيرة، وقد أحاطت بها متّصلة، وتعرف تلك البقعة بالغوطة(٤)، عرضها مرحلة في مرحلتين.

---

(١) بني عايش: محمد سعيد أحمد محمود: المجتمع الإسلامي معالم قوة أسباب ضعفه وسائل نهوضه، دراسات علوم الشريعة والقانون، م٤٥، ع، ٤، ٢٠١٨م، ص: ١٦٩.

(٢) **أهمية موقع دمشق الجغرافي**: تقع مدينة دمشق على بعد حوالي ثمانين كيلومترا من البحر الأبيض المتوسط، وارتفاع ٦٩٠ مترا عن سطح البحر، وخط طول ٣٦ درجة و١٨ دقيقة شرق خط غرينتش، وخط عرض ٣٣ درجة و٣٠ دقيقة شمال خط الاستواء، مقابل سلسلة جبال لبنان الشرقية، تمثل تضاريس دمشق في مجموعة من الجبال والسهول والتلال والأنهار. إبراهيم: رشا عوض محمد: الحياة الاجتماعية والثقافية في دمشق في العصر العباسي الأول ١٣٢-٢٤٧هـ، د. م، مجلة القلزم للدراسات الاقتصادية والاجتماعية، ع١٠، ٢٠٢٢، ص: ٩.

(٣) الإصطخري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري: المسالك والممالك، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٤م، ص: ٥٩.

(٤) **الغوطة**: هو المطمئن من الأرض، وهي الكورة التي منها دمشق، استدارتها ثمانية عشر ميلا، يحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها، ولا سيما من شماليها، فإن جبالها عالية جدا ومياهها خارجة من تلك الجبال، وتمد في الغوطة في عدة أنهر فتسقي بساتينها وزروعها،
=

وليس بالشأم[١] وفروعه بالإضافة للينابيع المتفجرة منه والقنوات التي أوصلت به مما جعل هذا النهر بمثابة شريان الحياة للمدينة وما حولها. يسود المدينة المناخ القاري الجاف إلى شبه الجاف، حيث حالت سلسلة جبال لبنان من وصول تأثيرات مناخ البحر الأبيض المتوسط، ليسود مناخ البادية الذي تصل درجة الحرارة فيه صيفا إلى أربعين درجة، وشتاء تنخفض إلى سبع درجات مئوية[٢].

أ- عناصر السكان وبيوت أهل دمشق:

يتكون سكان دمشق من مجموعة من القبائل العربية التي هاجرت إلى المدينة واستقرت بها، خاصةً القبائل اليمانية التي قدمت إلى دمشق قبل الإسلام، وازداد عدد السكان العرب بصورة ملحوظة في القرن الثالث الميلادي، ومن أشهر هذه القبائل غسان[٣] وبهراء[٤] وتنوخ[٥] وسليح[٦] وكلب[٧] ولخم[٨]

ويصب باقيها في أجمة هناك وبحيرة، والغوطة كلها أشجار وأنهار متصلة، قل أن يكون بها مزارع للمستغلات إلا في مواضع كثيرة، وهي بالإجماع أنزه بلاد الله وأحسنها منظرا. وهي إحدى جنان الدنيا الأربع، والثانية: أبلة البصرة، والثالثة: شعب بوان، والرابعة: سغد سمرقند. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص: ٢١٩. الزبيدي: محمد مرتضى: كتاب تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت، وزارة الإرشاد، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، ج١٩، ص: ٥٢٢.

(١) الإصطخري: مسالك الممالك، ص: ٦٥. ابن حوقل: كتاب صورة الأرض، ص: ١٧٤. الحميري: كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، ص: ٤٣١-٣٣٥.

(٢) إبراهيم: رشا عوض محمد: الحياة الاجتماعية والثقافية في دمشق في العصر العباسي الأول ١٣٢-٢٤٧هـ، د. م، مجلة القلزم للدراسات الاقتصادية والاجتماعية، ع١٠، ٢٠٢٢، ص: ٩.

(٣) **الغساني**: بفتح الغين المعجمة وتشديد السين المهملة وفي آخرها النون نسبة لغسان وهي قبيلة نزلت الشام، وإنما سميت غسان بماء نزلوه. السمعاني: عبد الكريم بن محمد: الأنساب، الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م، ج١٠، ط١، ص: ٤٢.

(٤) **البهراني**: بفتح الموحدة نسبة إلى بهراء بفتح فسكون قبيلة نزل أكثرها مدينة حمص (من الشام). ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٦، ص: ١٦.

(٥) **تنوخ**: قبيلة من قضاعة، والواقع أنها ليست قبيلة واحدة، وإنما هي عدة قبائل. الطيب: محمد سليمان: موسوعة القبائل العربية، د. م، دار الفكر العربي، ١٤٢١هـ، ج٢، ص: ١٦٩.

(٦) **السليحى**: بفتح السين المهملة وكسر اللام وسكون الياء المنقوطة بنقطتين، وفي آخرها الحاء المهملة، هذه النسبة إلى سليح وهو بطن من قضاعة. السمعاني: الأنساب: ج٧، ص: ١٩١، ١٩٢.

(٧) **كلب**: قبيلة عظيمة من أصل قحطانية من بني قضاعة، وكانت منازل هذه القبيلة الشرارات الآن. ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ص: ٥٦٠. الطيب: محمد سليمان: موسوعة القبائل العربية: د. م، دار الفكر العربي، ١٤٢١هـ ج، ٥، ص: ٣٢١.

(٨) **لخم**: بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة وميم في الآخر، وهم: بنو لخم بن عديٍ بن الحارث بن مُرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان. القلقشندي: أحمد بن علي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، د. م، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ص: ٦٩.

وجذام[١] وقضاعة[٢]، بالإضافة إلى جماعات القين[٣] وعذرة[٤] وجرم[٥] وغيرهم، وتتابعت هجراتها إلى بلاد الشام مع حركة الفتح الإسلامي، فوفد إلى دمشق الكثير من القبائل العربية التي رافقت جيوش الفتح الإسلامي، واستقرت هذه القبائل إلى جانب القبائل التي سبقتها أو اتخذت لها مواقع جديدة خارج دمشق لعدم اعتياد المسلمين على العيش في المدن، بالإضافة لعدم استيعاب المدينة لكثرة الجماعات المهاجرة. فشهد العصر العباسي تزايدا في عدد السكان، وبالتالي توسع العمران والبناء. كانت دمشق تعتمد في بنائها على الخشب والطين، فقد بنى معاوية بن أبي سفيان ﷺ الخضراء بالقش والطين، فلما زاره وفد الروم قالوا له: "ما أحسن ما بناها للعصافير! وفي رواية أخرى: أما أعلاها فللعصافير[٦]، وأما أسفلها فللفار، فهدمها معاوية وبناها بالحجر، وأنفق على بنائها ثمانية عشر حمل بغل ذهب"[٧].

منازل أهل دمشق:

البيت الدمشقي في العادة عبارة عن صحن وفناء فسيح، في وسطه حوض ماء يتدفق إليه من أنبوب[٨] أو فوارة[٩] لا تنقطع جريتها، وقد غرست من الرياحين والأشجار المثمرة كل جميل وعطر،

(١) **جذام**: بضم الجيم وفتح الذال المعجمة وألف ثم ميم. قال أبو عبيد: هم بنو جذام بن عدي بن الحارث بن مُرة بن أُدد بن زيد بن يشجُب بن عريب بن زيد بن كهلان. وجعله صاحب حماة من بني عمرو بن سبأ وهو أخو لخم وعم كِندة. القلقشندي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ص: ٥٤.

(٢) **قضاعة**: من عدنان دون قحطان، وقال: هو قضاعة بن معد بن عدنان. وذكر نسب قضاعة وهو ابن الملك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير، واشتقاق قضاعة من القضع وهو القهر لأنهم علوا، واسم قضاعة عمرو، وقيل: كان يسمى قضاعة عمرو فلما تقضع عز قومه أي: بعد سمي قضاعة، واختلف الناس في نسب قضاعة. الأشعري: أحمد بن محمد: التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب، د. م، د. ن، د. ت، ص: ٧٥. القلقشندي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ص: ٤٢.

(٣) **القين**: جمع عظيم وثروة في أكناف الشأم هؤلاء بنو القين، وهو النعمان بن جسر بن شيع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة من بطون بني القين بن جسر. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص: ٤٥٤.

(٤) **عذرة**: قبيلة معروفة من قبائل العرب، وهم أولاد عذرة بن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سويد بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. الشريري: أحمد بن عبد المؤمن: شرح مقامات الحريري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٦م–١٤٢٧هـ، ج٣، ص: ٢٤٨.

(٥) **جرم**: بطن ضخم؛ جرم قبيلة؛ وعوف بطن. وهؤلاء بنو جرم بن ربان بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص: ٤٥١–٤٠٣.

(٦) إبراهيم: الحياة الاجتماعية والثقافية في دمشق في العصر العباسي الأول ١٣٢/ ٢٤٧هـ، ص: ٩.

(٧) الغزولي: علي بن عبد الله: مطالع البدور ومنازل السرور، د. م: د. ن، د. ت، ص: ٢.

(٨) **أنبوب**: جسم مجوّف أسطوانيّ من المعدن أو الزجاج أو الخشب أو نحوها يستعمل وعاءً لأغراض مختلفة كنقل السوائل والغازات ونحوها. عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٣، ص: ٢٢٥٢.

(٩) **فوارة**: منفث ماء، نافورات ونوافيرُ: صنبور ونحوه يكون في الدُّور أو في السّاحات أو في الحدائق، يندفع منه الماءُ بالضَّغط إلى أعلى تبريدًا للمكان أو تجميلًا له. دوزي: رينهارت بيتر: تكملة المعاجم العربية، العراق: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٧٩م، ج٨، ص: ١٣٥. عمر: اللغة العربية المعاصرة، ج٣، ص: ٢٢٥٢.

وعلى جوانب هذا الصحن الْمَخَادع والغرف والقاعات، وفي القاعة بركة ماء أيضًا، وربما جرت على قامة في الجدار لتزيد في رطوبة المحل في الصيف، وفي الطبقة الثانية العلالي، وهي خاصة بالشتاء على الأغلب، فبيوت دمشق القديمة حوت جميع المرافق، ومنها الحديقة والأشجار والمياه(١)، والبيوت التي كانت تبنى بالخشب والطين كان يستعمل في بنائها خشب الحور(٢) بدلا من خشب النخيل، وكان لا يضاف له. ولم يتغير طراز البيوت وتزيينها في دمشق أيام العصر العباسي عما كان عليه في عهد الأمويين، فكان البواب يجلس على مقعد خشبي أمام الباب في منازل الأغنياء، أما بيوت الفقراء فكان عليها قطعة من المعدن أو الحديد تستخدم كمطرقة للباب. تتكون دور الأغنياء من فناء مستطيل على جوانبه أروقة من الأعمدة، وأرضه من الحجارة والرخام، وبه ممشى مرصوف بالحجارة على أشكال منتظمة، وتوجد في الفناء نافورة تحيط بها حديقة صغيرة بها الأزهار الزكية المختلفة، وعلى جانب الفناء نجد الإيوان(٣) وهو صالة صفت بالرخام والبلاط الملون، ويستعمل كقاعة للاستقبال وقت الحر، وهناك كوة مقابلة الباب مزخرفة لوضع مستلزمات الوضوء، وكانت أغلب الدور من طابقين أو ثلاثة، وفي فصل الشتاء كانوا يكسون أرضية الإيوان بالسجاد من أجل الدفء، والحجرات تدفأ بالمواقد، أما في الصيف فالنوافير كافية لتلطيف حرارة الجو، كما أنهم كانوا يراعون عند تشييد المنازل عدم إيقاع الضرر بالآخرين، فكان لكل بيت ميازيب(٤) مطلية بالكلس(٥) تنحدر إليها مياه الأمطار المتجمعة فوق أسطح المنازل، أما المياه العكرة فكان لها مجارٍ خاصة تنتهي إلى حفرة واسعة مغطاة داخل المنزل. كان الأغنياء ينامون على الأسرة والتي غالبًا تصنع من الخشب، أما الفقراء فينامون على الأرض، وفي الصيف غالبا ينامون على السطح بعد وضع ستار يمنع عيون جيرانهم، وكان عدد أفراد الأسرة كبيرًا في دمشق، قد يصل إلى عشرين شخصًا أو يزيد، وكانت هذه الأسر تعطي المسؤول عنها مكانةً اجتماعية، وربما كان هذا العدد الكبير من الأبناء للقيام بأعمال الزراعة وتحمّل الأعباء(٦).

---

(١) علي: محمد كرد: دمشق مدينة السحر والشعر، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م، ص: ٣٩.

(٢) **الحور**: نوع من الشجر المطرزي: ناصر الدين: المغرب في ترتيب المعرب، حلب – سوريا، مكتبة أسامة بن زيد، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ج١، ص: ٢٣٣.

(٣) **الإيوان**: بكسر أوله: الصفة العظيمة كالأزج ومنه إيوان كسرى. الرازي: محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح: بيروت: الدار النموذجية، ١٤٢٠هـ ص: ٢٦.

(٤) **ميازيب**: مَيازيبُ، مِزْراب: قناة أو ماسورة عموديّة يجري فيها الماء منصرفًا من أسطح الدُّور أو المواضع العالية، فينسكب على الأرض بعيدًا عن جدرانها. عمر: اللغة العربية المعاصرة، ج٣، ص: ٢٤٢٩.

(٥) **الكلس**: كلَس البناءَ طلاه بالكِلْس، وهو الجير. عمر: اللغة العربية المعاصرة، ص: ١٩٥٠.

(٦) إبراهيم: الحياة الاجتماعية والثقافية في دمشق في العصر العباسي الأول ١٣٢/ ٢٤٧هـ، ص: ١١.

ب- طبقات المجتمع:

كان المجتمع في العصر العباسي يتألف من عدة طبقات، تتمثل في:

أولا: الطبقات الخاصة: وهم أقرباء الخليفة ورجال الدولة البارزون كالأشراف والوُزراء والقُواد والكُتاب والقُضاة والعُلماء والأُدباء، وهؤلاء لهم مرافق خاصة بهم، كما كان لهم باب خاصّ يدخلون على الملك منه.

ثانيا: الطبقات العامة: وهم أهل الحِرَف والصنائع والتجار والفلاحون والجند، وهؤلاء لهم مرافق خاصة بهم، ويدخلون على الخليفة من باب العامة.

ثالثًا طبقات الخدَم: ومنهم الأحرار، وأغلبهم العبيدُ الذين أُخِذوا كأسرى حرب(١).

- طبقة الحكام: وهم الخليفة والأمراء والوزراء والولاة، أي: رجال الحكم في الدولة(٢). ولقد توفرت لهم وسائل الترفيه والمتعة والترف(٣).
- طبقة رجال الدين: وتضم الفقهاء والقضاة والخطباء والقرّاء، ولم يظهر لهذه الطبقة مظهر كهنوتي، ذلك لأن الإسلام لا يعترف بذلك على العكس مما هو موجود في الديانة المسيحية، ولأن هذه الطبقة ظهرت نتيجة لحاجة المسلمين للقيام بشؤون دينهم.
- طبقة أرباب السيوف: وهم القادة والجند، وكانوا في البداية جلّهم من العرب، ولكن بعد إسلام سكان البلاد المفتوحة دخل هؤلاء في الجيش بصورة تدريجية، وأصبح لهم مكانة خاصة تمتعوا بنتيجتها بامتيازات معينة كركوب الخيل، بينما الآخرون كانوا يركبون الحمير، وكانت امتيازات هذه الطبقة ونفوذها يزدادان كلّما ضعفت الطبقة الحاكمة، وكثيرا ما سيطرت على الحكم.
- طبقة أرباب الأقلام: وهم -كما يدلّ على ذلك اسمهم- الذين يعتمدون على صناعة الكتابة، ولذلك كان يطلق عليهم الكتاب، وكان معظم أفراد هذه الطبقة في بادئ الأمر من الموالي وأهل الذمة، وكانوا يشتغلون في دواوين الدولة، ويستخدمون لغاتهم الأصلية كالفارسية واليونانية والقبطية.
- طبقة ذوي المهن من سكان المدن: وهم أصحاب الحِرَف والتجار، وكانوا يسكنون المدن كما أن معظَمهم كان من سكان البلاد المفتوحة؛ ذلك لأن العرب أول الأمر كانوا يشتغلون بالحرب والسياسة، ولأنهم كانوا منذ البداية وبطبيعتهم يأنفون من المهن والصنائع، ولكن استقرارهم في

(١) الكردري: محمد بن محمود: شرح مشكلات القدوري، الرياض التراث الذهبي، ٢٠١٧م، ص: ٤٦.

(٢) جاسم: سهام جميل: الحياة الاجتماعية، د. م، د. ن، د. ت، ص: ٦-٧.

(٣) مجهول المؤلف: الأدب العباسي: جامعة ديالى، د. ن، د. ت، ص: ٣.

المدن وتطور الحياة المدنية في الأمصار أدى إلى ممارسة العرب للمهن وخاصة التجارة.

- طبقة الفلاحين والزراع: وهم يكوِّنون الغالبية من سكان البلاد المفتوحة، وكان أفراد هذه الطبقة يسكنون القرى، وكانت حالتهم الاجتماعية سيئة؛ ذلك لأن أغلبهم كانوا يعملون بالأجرة أو السّخرة(١). وفي العصر العباسي ظهرت طبقة من كبار المزارعين نتيجة لظهور نظام الالتزام أو القبالة بتأجير مقاطعة كبيرة من الأرض لمدة معينة لشخص معين يسمّى متقبّل أو ضامن أو ملتزم(٢).

تستنتج الباحثة أن تفاوت الطبقات الاجتماعية أحدثت تطورات هائلةً لم تظهر من قبل في ظل الحكم السابق للدولة العباسية كطبقة الأغنياء والولاة وحاشية الخليفة، بالإضافة إلى أصحاب الأملاك وطبقة العاملين وعامة الشعب، ومن هنا يتّضح لنا أن ظهور هذه الطبقات يعود إلى اندماج بعضٍ من الطبقات كالطبقة الشعبية والعمالة الفارسية في توليهم المناصب وتملك بعضها.

ج- مكونات المجتمع:

- **العنصر العربي:**

كانوا في الجزيرة العربية وأطرافها، وهم سكان الجزيرة العربية والوطن العربي، إضافةً إلى رجال الجيش والقبائل الذين انتقموا من حركة الفتوح وحروب التحرير خارج حدود الأرض العربية، وقد زاد الإسلام من عزة العرب، وخلق منهم أمة واحدة، وكانوا يتميزون بخدمة الإسلام، وقد ظلت السيادة فيهم طوال عصر الراشدين (صدر الإسلام) والعصر الأموي، ورغم أنّ العرب لم يفقدوا نفوذهم السياسي والإداري في العصر العباسي الأول؛ إلا أنّ عناصر أخرى شاركتهم في الحكم، وخاصة الموالي، وأظهر العرب نوعًا من التساهل في مسألة العنصر، يعود إلى المصاهرة بغير نساء العرب؛ ولذلك فقد صرنا نشاهد في هذه الفترة الخلفاء العباسيين يتخذون نساء غير عربيات من أصل فارسي وتركي أو رومي، وإن كان هذا قد بدأ في الواقع في أواخر العصر الأموي، ولكن الخلفاء من الناحية الأخرى نظروا إلى العناصر المختلفة في المجتمع العربي الإسلامي آنذاك نظرة تعتمد على مدى إخلاصها وولائها للخلافة(٣)، فالدولة العباسية قامت على أكتاف الموالي من الفرس، وبرزت إلى الوجود بفضل مناصرتهم وتأييدهم، فلا غرو أن قدمهم العباسيون وآثروهم بالمناصب، وأجروا عليهم الأعطيات السخية، وفي المقابل تأخر العرب

---

(١) **السخرة**: بِالضَّمِّ من السخرة، وَهُوَ أَن يضطهد ويكلف عملا بِلَا أجر. السجستاني: محمد بن غزير: غريب القرآن، سوريا: دار قتيبة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ص: ٢٨٢.

(٢) جاسم: الحياة الاجتماعية، ص: ٦-٧.

(٣) جاسم: الحياة الاجتماعية، ص: ٢.

وصارت منزلتهم دون منزلة الفرس بكثير، وحسبك دليلا على صحة ذلك أن المعتصم (٢١٨-٢٢٥هـ) أخرج العرب من ديوان العطاء.

- **العنصر الفارسي:**

تميزت مكانة الفرس لدى الخلفاء العباسيين، فأسندوا إليهم المناصب المهمّة، واعتمدوا عليهم اعتمادًا كبيرًا في تصريف شئون دولتهم، وتخبرنا المصادر التاريخية أن أول من استعملهم هو الخليفة أبو جعفر المنصور، فاستنّ بسنته في استعمالهم الخلفاء العباسيون من بعده، حتى بلغ نفوذهم ذروته في عهد هارون الرشيد، فكان مدبر أمر دولته آل برمك وأصولهم ساسانية، وكذلك انتصر المأمون للفرس وأدناهم إليه، واعتمد عليهم في حرب أخيه الأمين، فلما انتصر على أخيه وآل أمر الملك إليه بفضل نصرة الفرس له قرَّبهم أكثر، فازدادوا نفوذًا وتدخلا في شئون الخلافة العباسية(١).

- **العنصر التركي:**

ازداد نفوذ الفرس في الدولة العباسية، وأصبحوا يمثلون خطرًا كبيرًا على سلطة الخلفاء العباسيين، فلم يجد العباسيون مناصًا من الاعتماد على عنصر جديد يثقون في ولائه ومناصرته لهم، فاستعان المعتصم بالعنصر التركي وأدخله إلى المجتمع العباسي، ولم تقتصر التركيبة البشرية للمجتمع العباسي على العرب الفرس والموالي، بل يوجد مزيج آخر من الهنود والزنوج والأتراك وغيرهم، فتبين أن المجتمع العباسي ذو تركيبة موروثة من أزمان سابقيه الذين توطَّنوا بلاد العرب نسبًا، أما دينيا فلهذه التركيبة تطبيقات لأديان سبقت الإسلام(٢).

وأود أن أنوّه لاندماج الأعراق المختلفة في الخلافة الأموية ومقارنتها بالخلافة العباسية، فقد أعطي الأمويون الأولوية الأولى للعرق واستخدام اللغة العربية كلغة رسمية إدارية، وعلى النظير الآخر الدولة العباسية؛ إذ تم دمج غير العرب من الفرس بالمسلمين، ومكّن الفرس من ارتفاع مكانتهم وبسط نفوذهم الفارسية والبربرية؛ إذ تأثرت اللغة في العصر العباسي بلغات الشعوب المخالطة للحكم.

- **الموالي:**

كلمة مولى في اللغة تحمِل معاني كثيرة تدور حول المحبة والنصرة. وأحيانًا تطلق ويراد بها لفظ الجلالة، كقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾(٣)، كما تطلق على الناصر

---

(١) الماتريدي: محمد بن محمد: تفسير الماتريدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م، ص: ٥٥.

(٢) الماتريدي: تفسير الماتريدي، ص: ٥٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٦٢.

كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾(١). ويطلق لفظ "مولى" على المعتق كقوله ﷺ: «مولى القوم من أنفسهم»، كما يطلق أيضًا على الحليف والجار(٢)، وغير ذلك من المعاني. وهم المسلمون من غير العرب الذين دخلوا الإسلام بعد انتشاره واتساع رقعة الدولة الإسلامية. وقد ظهر منهم كثير من العلماء والمحدثين والفقهاء، ولكن أكثرهم ولد في بلاد عربية، ونشأ نشأة عربية، وحذق في العربية وآدابها أكثر من معرفته بلغته الأصلية، ولهذا فمن الصعب أن نستعمل الأساس العنصري بالنسبة لهم، بل يجب أن نصنفهم بحسب بيئتهم وثقافتهم، لا بحسب جنسهم وأصلهم(٣).

- **الرقيق**:

كان الرقيق يكوِّنون طبقة كبيرة من طبقات المجتمع الإسلامي في العصر العباسي الأول؛ إذ كان اتخاذ الرقيق منتشرًا انتشارًا كبيرًا، ولم يخل المجتمع من الفقراء(٤)، لقد كثر الرقيق في هذا العصر كثرة بالغة، وامتلأت القصور به، ولم ينظر الخلفاء العباسيون إلى الرقيق نظرة امتهان وازدراء؛ إذ إن كثيرين منهم كانت أمهاتهم من الرقيق(٥)، وكان له أثر كبير في الحياة الاجتماعية، فكثر نسل(٦) الجواري(٧)، واختلطت الدماء حتى الخلفاء أنفسهم كانوا في هذا العصر من نسل السراري(٨)، و"لم يلِ الخلافة في الصدر الأول مَن أمُّه أمّ ولد إلا يزيد(٩) وإبراهيم(١٠) ابني الوليد، ولا وليها من بني العباس من أمه حرة

---

(١) سورة محمد، الآية: ١١.

(٢) **الحليف والجار**: الجار المقارب في السكن ومنها الحليف والنصير. الجمل: حسن عز الدين: مخطوطة الجمل – معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، مصر: الهيئة المصرية العامة، ص: ٣٤٨.

(٣) جاسم: الحياة الاجتماعية، ص: ٣-٤.

(٤) المروزي: إسحاق بن منصور: كتاب مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه، المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي، ١٤٢٥هـ، ج١، ص: ٤٦.

(٥) ابن أبي شيبة: محمد بن عثمان: كتاب العرش وما روي فيه، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٨هـ، ص: ١٩٨.

(٦) **نسل**: النسل: الولد والذرية وتناسلوا أي ولد بعضهم من بعض. ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص: ٦٦٠.

(٧) **الجواري**: الأمة وإن كانت عجوزا والفتية من النساء، فمنهن التي سبيت من بلاد الأعداء ونقلت إلى ديار الإسلام. ابن منظور: لسان العرب، ج١٤، ص: ٣٦٨. عبد النور: جبور: الجواري: مصر، دار المعارف، ١٩٤٧م، ص: ٥٨.

(٨) **السراري**: الامة السرية: الجارية المتخذة للملك والجماع، فعلية منه على تغيير النسب. ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص: ٣٥٨.

(٩) **يزيد بن الوليد** بن عبد الملك بن مروان ٨٦-١٢٦هـ/ ٧٠٥-٧٤٤م، أبو خالد: من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام، مولده ووفاته في دمشق. ثار على ابن عمه الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك لسوء سيرته، يعرف بيزيد الناقص. الزركلي: كتاب الأعلام، ج٨، ص: ١٩٠.

(١٠) **إبراهيم بن الوليد** بن عبد الملك المرواني الأموي، ١٣٢هـ/ ٧٤٩م، أبو إسحاق أمير، كان مقيما في دمشق. ولما مات أخوه يزيد بن الوليد قام بعده بالأمر سنة ١٢٦هـ وكان ضعيفا مغلوبا على أمره، تارة يسلم عليه بالإمارة وتارة بالخلافة. الزركلي: كتاب الأعلام، ج١، ص: ٨٩-٧٩.

حاشا السفاح والمهدي والأمين، ولم يلِها من بني أمية بالأندلس من أمه حرَّة أصلًا"(١).

وكثر تعليم الجواري الغناء، واتخذ أصحابهن لهن بيوتًا معدَّة للسماع في الأحياء المختلفة، وكثرت هذه البيوت في بغداد في هذا العصر، حتى قيل: "وقد أحصينا -ونحن جماعة في الكرخ(٢)- أربعمائة وستين جارية في الجانبين -جانبي بغداد- ومائة وعشرين حرَّة، وخمسة وتسعين من الصبيان البدور، يجمعون بين الحذق والحسن والظرف والعشرة، هذا سوى من كنا لا نظفر به ولا نصل إليه لعزّته وحرسه ورقبائه، وسوى ما كنا نسمعه ممن لا يتظاهر بالغناء وبالضرب إلا إذا نشط في وقت، أو ثمل في حال، أو خلع العذار في هوى قد حالفه وأضناه"(٣).

وقد كانت دمشق أولًا مركزًا للولاية لما كان عليها معاوية بن أبي سفيان، وعندما تسلم الخلافة بعد حادثة التحكيم جعل معاوية من دمشق حاضرة للدولة الإسلامية (الأموية) جميعها، وبذلك زادت(٤) مكانة دمشق، وكذلك زاد شأن بني أمية في إدارة شؤون الدولة كما ازدادوا غنى، فملكوا الإقطاعات والأرزاق والحرس، وازدادت ثروتهم وقصورهم ومنازلهم في دمشق وما حولها، حتى أصبح لهم في كل قرية من قرى دمشق قصور ومنازل متعددة(٥)، واستمر امتلاكهم لهذه القصور والمنازل حتى العصر العباسي، وكذلك هناك من الأمويين من حافظوا على ثرواتهم أيام العباسيين حتى رفع إلى الرشيد أن أحد أفراد البيت الأموي في دمشق يمتلك الكثير من المال والبيوت والأبناء، وأنه مهاب في منطقته، فأدخل ذلك الريبة في نفس الرشيد، وخشى أن يخرج على الدولة، فأمر بإحضاره، لكنه أطلق سراحه بعد أن تبين له صدق نواياه، وكذلك استمر زعماء القبائل من أهل دمشق في غنائهم، وهؤلاء الذين قربهم بنو أمية واعتمدوا عليهم في كثير من المهام لمساعدتهم على إدارة الأمور في دمشق(٦).

وقد اهتمت الدولة العباسية بالعبيد والذين اختصوا بخدمة الخلفاء، فقد كان الخلفاء العباسيون

---

(١) ابن حزم: علي بن أحمد: رسائل ابن حزم الأندلسي، بيروت: بناية برج الكارلتون – ساقية الجنزير، د. ت، ج٢، ص: ١٠٤.

(٢) **الكرخ**: مدينة تاريخية تقع في بغداد في الزمن الحالي. ذكره الحموي بالفتح ثم السكون، وخاء معجمة، وما أظنها عربيّة إنما هي نبطية، وهم يقولون: كرخت الماء وغيره من البقر والغنم إلى موضع كذا: جمعته فيه في كل موضع، وكلّها بالعراق. الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص: ٤٤٩.

(٣) التوحيدي: أبو حيان علي بن محمد بن العباس: الإمتاع والمؤانسة، بيروت: المكتبة العنصرية، ١٤٢٤هـ، ج٢، ط١، ص: ١٨٣.

(٤) كوك: ريغارد: بغداد مدينة السلام، ترجمة: فؤاد جميل، بغداد، مكتبة عدنان للطباعة والنشر، ٢٠١٤م، ط١، ص: ٣٥.

(٥) الدينوري: ابن قتيبة عبد الله بن مسلم: الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، تحقيق طه عمر الزيني، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٩م، ج٢، ص: ٢.

(٦) الطرطوشي: أبو بكر محمد بن الوليد الفهري: سراج الملوك، تحقيق وضبط محمد فتحي أبو بكر، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٤م، ص: ١٩٢.

يكثرون من شراء الرقيق، وبمرور الزمن وكثرة أعدادهم قوي نفوذهم وسلطانهم في الدولة حيث أصبح سمة بارزة، وكان لهم دورٌ بارزٌ في تسيير أمور الدولة وخاصة الجوانب الاقتصادية. فالرقيق هم الذين يشتغلون في قصور الخلافة، ويقومون بأعمال عديدة، فمنهم من يقال لهم: الرسائلي الذي يتولى عملية نقل الرسائل، والشرابي الذي يقوم بتقديم الشراب، والحرمي الذي يسمح له بالدخول إلى حرم الخلفاء، ولم يقتصر الرق على الذكور وحدهم بل شمل الإناث، وهنالك من الرقيق من يستعملهم الخليفة كحرس خاص له، ويلبسون الملابس المزركشة والمزينة داخل قصور الخلفاء[١].

- **أهل الذمة:**

كان من ضمن طبقات الشعب في ذلك العصر أهل الذمة -اليهود والنصارى-، وكانوا يتمتعون بكثير من ضروب التسامح، مما يدل على أن الخلفاء العباسيين كانوا على جانب عظيم من التسامح الديني معهم، وأما من حيث الزواج والمصاهرة فقد تغيرت تقاليدها عن ذي قبل، وذابت تلك العادة العربية المتمثلة في التحفظ عن مصاهرة غير العرب، فقد حطم العصر العباسي تلك الحواجز، وامتزج الدم العربي بالدم الفارسي وغيره من العناصر الأخرى[٢]. ويراد بأهل الذمة اليهود والمسيحيون الذين عاهدهم المسلمون، ولذا يطلق عليهم: "المعاهدون"، وقد تمتعوا بنوع من الحرية والتسامح الديني[٣]. ولعل مما يؤكّد على المكانة التي تمتّع بها أهل الذمة في المجتمع الإسلامي وعلى روح التسامح التي عامل بها المسلمون غيرهم ممن عاشوا في دار الإسلام ودخلوا في نسيجه الاجتماعي ممن عرفوا بأهل الذمة فعاش عدد كبير منهم إلى جانب المسلمين في مدنهم وقراهم؛ مما أدى إلى تأثرهم بالثقافة الإسلامية، وإلى سريان روح التعايش بينهم وبين المسلمين، فشاركهم المسلمون مناسباتهم الاجتماعية وفي أعيادهم الدينية والقومية[٤]، بل ودخل معهم المسلمون في مصاهرات وفي تعاملات مالية، وكان لكل هذا الاحتكاك والتسامح أثره في التعايش بين المسلمين وأهل الذمة، وفي بقاء أهل الذمة يمثلون جزءًا من نسيج المجتمع. ومن مظاهر التسامح والتعايش بين المسلمين وبين غيرهم ممن عاش في المجتمع الإسلامي عيادة مرضاهم واتباع جنائزهم والأكل من أطعمتهم والزواج منهم. وشهد العصر العباسي تسامحا كبيرا

---

(١) كوك: بغداد مدينة السلام، ص: ٣٥.

(٢) ابن أبي شيبة: كتاب العرش وما روي فيه محمد عثمان، ص: ١٩٨.

(٣) جاسم: الحياة الاجتماعية، ص: ٤-٥.

(٤) سيف الدين: مكانة أهل الذمة في المجتمع الإسلامي حتى نهاية العصر العباسي الأول، مقالة تم استردادها يوم الاثنين ٢٢-١١-١٤٤٥هـ تمام الساعة ٥:٤٥، من الموقع:

https://hja.journals.ekb.eg/article_80372.html

مع أهل الذمة وصل معه بعضهم إلى بلاط الخلفاء، وأصبحوا من خواصهم[١]، حيث مارسوا طقوسهم الدينية، وخضعوا في أمورهم الشخصية إلى رؤسائهم الروحانيين، وقد عاملهم الرسول ﷺ معاملة حسنة، فجعل مثلا دية المعاهد كدية المسلم، وكان كل ذمي يدفع الجزية مقدارها دينار واحد في السنة، وقد استمر أهل الذمة يدفعون الجزية في العصر العباسي كما كانت في العصر الأموي[٢].

- **الجواري:**

أصبحت تجارة الجواري تجارة رائجة في الدولة الإسلامية؛ لأنها جزء أساسي من أساسيات البلاط العباسي، فاستُخدمن لأعمال مختلفة كتربية الأطفال والغناء أو وصيفات لزوجات الخلفاء، والبعض منهن أصبحن قهرمانات[٣]، ولهن دور مهم في السياسة للدولة العباسية[٤].

كما أنّ العصر العباسي عمل بشكل كبير على رفع مكانة الجواري من الحضيض إلى أعلى مراتب الحضارة، بل ليس ذلك فحسب، بل تمتعت الجواري في عهد دولة بني العباس بقسط وافر من الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بل وتغيرت نظرة المجتمع لهذه الفئة التي كانت تعتبر مصدر البهجة والسرور في أغلب الأحيان لدى الخلفاء والناس عامة. كما نجد أنّ ما تمتعت به الجواري من مكانة وحقوق كان نتيجة لازدياد المال والترف بشكل مطرد، فأدى ذلك إلى استجلاب أعداد كبيرة منهن من شتى أصقاع الأرض، بهدف الكسب المادي، خاصة من الطبقة الموسرة، لذلك عجت بهن قصور الخلفاء، فيذكر أن الخليفة هارون الرشيد كان يمتلك أكثر من ألفي جارية[٥]. وقد كان سوق الرقيق والجواري من أكثر الأسواق ازدحاما، حيث يأتي إليه الناس من كل حدب وصوب، ويزدحمون للفرجة دون أن يكون لهم رغبة في الشراء، وهذا ما حدا ببعض الخلفاء إلى إصدار مراسيم تحرّم التزاحم للفرجة، ويشترط على من يذهب إلى سوق الجواري أن يكون بائعًا أو مشتريًا[٦].

وقد أثرت الجواري على الحياة الاجتماعية بشكل كبير، خاصة على الحياة الأسرية، منها ما أثر سلبيًّا، ومنها ما أثر إيجابيًّا، وعلى نظرة الأزواج لزوجاتهم، فمن الأثر السلبي انقسام المجتمع إلى طائفتين

---

(١) سيف الدين: مكانة أهل الذمة في المجتمع الإسلامي حتى نهاية العصر العباسي الأول، ص: ٢٠٠-٢٠١.

(٢) جاسم: الحياة الاجتماعية، ص: ٤-٥.

(٣) **قهرمانات:** كلمة فارسية تعني القائم لما تحت يده، وقيل: هي من تدير شئون المنزل كالنسوة اللاتي كنَّ من المحظيات ثم أصبحن قهرمانات للأخريات أو مربيات وحاضنات لأولادهن. دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج٩، ص: ص: ٢٣.

(٤) فوزي: فاروق عمر: التاريخ الإسلامي، عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٦م، ص: ٢٠٠.

(٥) الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد: الأغاني، تحقيق: علي مهنا، دار صعب، ص: ١٧٢.

(٦) الوشاء: محمد بن إسحاق أبو الطيب: الموشى والظرف والظرفاء، تحقيق: كمال الدين مصطفى، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٣م، ص: ٧٤-٧٥.

في نظرتهم للحرائر، أو في نظرتهم للجواري والسراري، وهذا انعكس بشكل أو بآخر على علاقة الرجل بزوجته، أو بالحياة الأسرية بشكل عام[1]، فقد أدى وجود الجواري وكثرتهن وسهولة الحصول عليهن إلى تغيير النظرة المقدّسة للزواج، والتي تؤكّد على حسن اختيار الزوجة ووجوب معاملتها بالود والاحترام[2].

أما بالنسبة لأثر الجواري الإيجابي في المجتمع فقد كان في نواحي عدة، فقد ساهمت الجواري في تقدم الحركة الفنية والأدبية من شعر ونثر بشكل كبير[3]، حيث أثرت الجواري في الحركة الأدبية من ناحيتين: من خلال ما نظمنه من شعر خاصة في الحب والعشق، وما ألّفنَه في مجال الموسيقى والغناء، والناحية الأخرى من خلال أثرهن في الشعراء حيث طفق الشعراء ينظّمون الشعر ويتغزّلون بهن. إن ما أصبحت عليه الجواري من براعة في العلم والأدب والشعر والغناء إنما هو بسبب قيام النخاسين[4] بتعليمهن الأشعار وترويتهن أخبار العرب وغيرها من ضروب الغناء والطرب؛ لكي ينالوا فيهن أغلى الأثمان عند الخلفاء وعلية القوم[5].

ترى الباحثة من تعدّد طبقات المجتمع الدمشقيّ ظهور سمة التكافل الاجتماعي في مختلف طبقاته، والتي تزيد التماسك بين أحياء المدينة وفي تنظيم سكانها الداخلي، فهي تعد من أشد أوجه التكافل الاجتماعي مسانده لأفراد المجتمع، وخاصة الفقراء، أضف إلى ذلك أن الروابط الداخلية بين سكان دمشق غالبًا ما تكون متوارثة وقوية، تغني بنيتها الاجتماعية وتزيد من تماسك عناصرها.

المبحث الثاني: علاقة القبائل العربية في دمشق بالخلافة العباسية:

إنّ ما تتمتع به بلاد الشام من مياه وافرة ومناخ معتدل جعلها منطقة جذب سكاني، وأدى إلى قيام هجرات عديدة نحوها من الجزيرة العربية التي لا يفصلها عنها أية حواجز طبيعية، ولعل أولى الهجرات الكبرى للقبائل العربية نحوها كان في الألف الثالثة قبل الميلاد، فكانت هجرة العموريين إلى شمال بلاد الشام وباديتها[6]، وتلتها هجرة الكنعانيين الذين استقروا في الساحل اللبناني وفي فلسطين، وما تفرع عن الكنعانيين من فروع استقرت في بلاد الشام كالفينيقيين والمؤابيين. كما شهدت بلاد الشام

---

(١) الوشاء: الموشى والظرف والظرفاء، ص: ٧٤-٧٥.

(٢) الأطرقجي: واجدة مجيد: المرأة في أدب العصر العباسي، الإمارات، مركز زايد للتراث، ٢٠٠٢م، ص: ١٤٢.

(٣) سالم: السيد عبد العزيز: العصر العباسي الأول، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعية، د. ت، ج٣، ص: ٣٤١.

(٤) **النخاسين**: الذين يبيعون الرقيق والدواب. القرطبي: محمد بن أحمد: البيان والتحصيل، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج٧ص: ٢٦٩.

(٥) الأصفهاني: الأغاني، ص: ٢٥٦.

(٦) سامي: سعيد الأحمد: تاريخ الشرق القديم، بغداد، ١٩٨٨م، د ط، ص: ٢٠٣.

أواسط الألف الثاني قبل الميلاد هجرة الآراميين الذين قطنوا باديتها امتدادا حتى خليج العقبة[١].

إذ تكوَّن سكان دمشق من مجموعة من عناصر رئيسية أهمها القبائل العربية التي هاجرت إليها واستقرّت فيها قبل حركة الفتوح الإسلامية[٢]، وتتابع قدوم هذه القبائل إلى بلاد الشام متزامنًا مع حركة الفتح الإسلامي، وقد كان نزول القبائل في ظاهر دمشق في الغوطة وحول أسوار المدينة حيث توافر المراعي[٣]، ففي المنطقة الشمالية من دمشق استقرت مجموعة من القبائل اليمانية، في منطقة الأوزاع التي أخذت اسمهم، وهم مجموعات من عدة قبائل، وقد انضموا فيما بعد وأصبحوا في عداد قبيلة همدان، كما استقرت مجموعة من قبائل حِمْيَر في منطقة الصدف شمال غرب باب الفراديس[٤][٥]. واستقرت مجموعة من قبائل لخم في منطقة أرزة، وانتقلت جماعة منهم إلى دير مران في ناحية الشمال الغربي حيث استقرت بتلك المنطقة[٦]، واستقرت مجموعة أخرى في منطقة سطرا إلى الشمال من بيت لهيا[٧]، وفي ناحية منطقة الشمال الغربي استقرت مجموعة من قبيلة الأشاعرة اليمنية، وعرفت تلك المنطقة باسم مرج الأشعريين[٨]، بينما المنطقة الجنوبية استقرت بها القبائل اليمانية، وكانت الغالبة عليها، ومنها مجموعات من قبيلة جرش اليمانية استقرت في منطقة البلاط[٩].

وإلى جانب القبائل العربية التي استقرت في دمشق واعتنقت الإسلام وأصبح وجودها في دمشق مميزًا منذ العصور السابقة للعصر العباسي وخلاله؛ فقد بقي لسكانها السابقين من النصارى حضور كبير فيها، وقد كانت أعداهم كبيرة، حيث لم تكف مدة أقل من قرن ونصف على انتشار الإسلام أن تحول غالبية سكان دمشق عن المسيحية إلى الإسلام، ولكن يرجع ذلك إلى قلة إشارة المصادر لأعداد النصارى. وذكر أنّ كثيرًا منهم تصالح مع المسلمين على أداء الجزية مقابل احتفاظهم بأراضيهم وبيوتهم وإقامتهم في قراهم مع المسلمين، كما استمروا بممارسة أعمالهم في ظل دول الإسلام المتابعة على دمشق، والتي كانت تظهر تجاههم التسامح واللين، واحتكر عدد منهم بعض الصناعات والحرف، كما

---

(١) سامي: تاريخ الشرق القديم، ص: ٢٠٦-٢٠٩

(٢) اليعقوبي: البلدان، ص: ١٣.

(٣) اليعقوبي: معجم البلدان، ص: ١١٣.

(٤) **باب الفراديس**: باب الفراديس من أبواب دمشق. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٦٨، ص: ٢٦٧.

(٥) الحموي: معجم البلدان، ص: ٣٩٧-٢٨٠.

(٦) الطبري: تاريخ الطبري، ج٧، ص: ٢٤٢.

(٧) الحموي: معجم البلدان، ص: ٣٢٠.

(٨) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٠، ص: ٣٦٨.

(٩) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ص: ٧٢.

برعوا في الطب والكتابة، وكانت دمشق تعجُّ بأعداد كبيرة منهم[١].

ومن العناصر الأخرى التي سكنت دمشق والشام الموالي (الفرس والخراسانيون) الذين بدؤوا بالتزايد منذ العصر العباسي، حيث كانت الجيوش العباسية تحوي هذه العناصر بكثرة؛ وخلال دخولهم الشام قدمت هذه العناصر برفقة الجيوش العباسية، واستقرت في دمشق، واشترت الدور[٢].

وبعد قيام الدولة العباسية أسند الخليفة أبو العباس السفاح (١٢٣-١٣٦هـ/ ٧٤٩-٧٥٣م) لأبي مسلم الخراساني مهمة بسط السيطرة العباسية على ممتلكات الأمويين، وكان منها ولاية السند التي كانت عند قيام الدولة العباسية خاضعة لمنصور بن جمهور[٣]، وقد بدأ أبو مسلم محاولاته لإخضاع السند بإرسال عدة حملات عسكرية عليها، وقد اتخذت القبائل العربية من حملته الأولى (١٣٢هـ/ ٧٤٩م) موقفًا سلبيًّا؛ فلم تنضم إلى أيٍّ من الطرفين، وقد انتهت الحملة بهزيمة قاسية للجيش العباسي[٤].

وعلى العكس من الحملة الأولى جاءت الحملة الثانية (١٣٤هـ/ ٧٥١م) التي أرسلت إلى السند؛ فقد لاقت دعمًا من القبائل العربية وأصحاب منصور بن جمهور المنقلبين عليه، وكل ذلك بسبب ذكاء قائد الحملة وهو موسى بن كعب التميمي[٥] الذي اختاره أبو مسلم بعناية، حيث وقع اختياره عليه لأنّه من كبار القادة الذين رفعوا عماد الدولة العباسية، كما أنّه كان من جملة النقباء الاثني عشر[٦]. كما كان له دراية عسكرية ساعدته على التخطيط للحملة بعناية قبل القيام بها. وقد فضل موسى عدم المواجهة المباشرة مع منصور في البداية، بل فضل التريّث حتى يتمكن من إقناع القبائل العربية في السند بمساعدته ضد منصور، وبالفعل نجح في استمالتهم إلى جانبه[٧].

---

(١) بيطار: الحياة السياسية وأهم المظاهر الحضارية في بلاد الشام، ص: ٣٤٨.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص: ٣٤٩.

(٣) **منصور بن جمهور بن حصن الكلبي** من فرسان العرب المعدودين في عصر بني أمية. خرج مع يزيد الناقص على الوليد بن يزيد، وكان مع من شارك في قتل الوليد. ولاه يزيد العراق وخرسان، وقاتل الضحاك بن قيس الخارجي، ثم قام يزيد بعزله فلحق بالشام. لما ولي مروان بن محمد خرج عليه منصور بن جمهور ولحق بالسند فغلب عليها، فلما أصبحت الدولة لبني العباس قتله موسى بن كعب التميمي. البلاذري: فتوح البلدان، ص: ٤٢٧. الطبري: تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ص: ٤٦٤.

(٤) البلاذرِي: فتوح البلدان، ص: ١٥٧-١٥٨.

(٥) هو **موسى بن كعب التميمي**، ويرجع نسبه إلى عرب بني تميم، وكان يشغل رئيس الشرطة في بداية الدولة العباسية. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص: ٧٧. الزركلي: كتاب الأعلام، ج٧، ص: ٣٢٧.

(٦) ابن الخياط: أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري: تاريخ خليفة بن الخياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دمشق، بيروت، دار القلم، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٣٩٧م، ص: ٤١٣.

(٧) البلاذري: فتوح البلدان، ص: ٤٢٧.

ولم تكن القبائل العربية بالسند فقط مصدر قوته، بل كانت أيضًا قوام جيش موسى بن كعب، حيث شارك معه ألف رجل من بني تميم في الحملة، وشارك أيضًا ثلاثة آلاف مقاتل من عرب وموالي البصرة، وذكر اليعقوبي أنّه نفذ إلى ابن جمهور بعشرين ألف مقاتل(١)، وكاد يقضي عليهم، فجاء رد المنصور منصفًا لتلك القبائل، حيث قال له: "لو عدلت لم يشغبوا، ولو وفيت لم ينهبوا"، وكانت تلك الحادثة أحد المؤشرات التي جعلت المنصور يفكر بعزله(٢).

وبرغم ما قدمته القبائل العربية من دعم سواءً كان لعمر بن حفص(٣) أو عبد الله الأشتر(٤) الذي كان كبيرًا، فقد استعدوا للانقلاب على الخلافة العباسية وشق عصا الطاعة، لكن الأمور سارت عكس ما تخيلته تلك القبائل وعمر بن حفص والأشتر، وانتهت تلك الثورة بالسند قبل أن تبدأ بسبب انتهاء الثورة الأم، وهي ثورة محمد النفس الزكية(٥)، وأخذ الوالي عمر بن حفص يترقب ما سيفعله به الخليفة المنصور جراء مساعدته للأشتر(٦).

وأخذ عمر بن حفص يتشاور مع أصحاب الأشتر عن حيلة يفعلها لكي يتخلص من عقاب المنصور، حتى أبدى أحد أهله رغبته بالتضحية بنفسه، وتخليص عمر بن حفص، فأرسل ابن حفص للمنصور يدين هذا الشخص، ويبلغه أنّه هو المسؤول عن دعم ثورة الأشتر بالسند، وبالفعل أشار المنصور لعمر بحبس هذا الشخص وقتله، كما أمره بترك الولاية، واستخلف من بعده جميل بن صخر(٧) الذي عزل بعد ذلك.

ووجدت القبائل العربية الذريعة للثورة، وكررت محاولة الاستقلال، وتكوين كيان منفصل عن الدولة العباسية، وبعد موت الخليفة أبي جعفر المنصور وتولي الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٥٧-٧٨٥م)،

---

(١) اليعقوبي: البلدان، ص: ٢٩٣.

(٢) ابن عبد ربه: العقيد الفريد، ص: ٢٩٥.

(٣) هو **عمر بن حفص** بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة، الملقب بهزارمرد، ويعني ألف رجل، وعرف هذا الوالي بحسن تدبيره وحزمه على التشيع. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص: ١٦٦.

(٤) هو عبد الله **الأشتر** بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، قام بالثورة في السند في الوقت نفسه الذي قام فيه والده بالثورة. انظر: الأصفهاني: الاغاني، ص: ٢٦٨.

(٥) **ثورة محمد ابن النفس الزكية:** هي ثورة حدثت في العصر العباسي بقيادة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، بغرض الوصول إلى سلطة الحكم عن طريق الثورات والخروج على السلطة إذ قضى عليها خلفاء الدولة العباسية. المصري: أبو سعيد: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، ج١٣، ص: ٩١.

(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ص: ١٤٧.

(٧) هو **أخو عمر بن حفص** لأمه، وكان يلازمه في إمارته في السند وأفريقيا، وكان نائبه في السند أيام المنصور. انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص: ١٦٧.

كثرت أعداد الولاة المعينين بالولاية، ووصلت مدة أحد الولاة بالسند عشرين يومًا فقط، مما أذهب كل الإنجازات وعلامات الاستقرار التي سادت الولاية طول فترة هشام بن عمرو التغلبي هباءً[(١)].

وقد هاجت العصبية بين القيسية من جهة واليمانية من جهة أخرى في زمن الرشيد، وكان على رأس القيسية يومئذٍ أبو الهيذام[(٢)]، وعامل السلطان على دمشق موسى بن عيسى، واقتتل الطرفان فقتلوا من بعضهم خلقًا كثيرًا[(٣)].

ويظهر أنّ هذا الخلاف الذي نشب بين القيسية واليمنية كان على درجة كبيرة من الأهمية وينذِر بخطر قادم، وهذا ما حدا بالرشيد إلى اتخاذ مجموعة من الإجراءات للتغلّب عليه قبل أن يستفحل خطره؛ فقام بعزل والي دمشق العباسي عبد الصمد بن علي[(٤)] بعد أن عجز عن اتخاذ موقف حازم أو عاجل للمسألة، ثم عين واليًا عباسيًّا آخر على دمشق، وهو إبراهيم بن صالح بن علي، وعلى الرغم من تغيير الولاة؛ إلا أنّ الخلاف بين الطرفين لم ينتهِ، بل دام ما يزيد على السنتين، وكان الطرفان التقوا بالبثنية، وقتل من اليمانية نحوًا من ثماني مئة، ثم اصطلح الطرفان بعد شر طويل[(٥)]. ويرى الدوري أنّ تكرار الاضطرابات القبلية وبروزها من جديد وبقوة ربما كان بسبب إهمال الرشيد لها وعدم تعامله معها بجدية، وقد هدف الرشيد من ذلك إلى إضعاف قوة خصومه[(٦)].

تستنتج الباحثة أن نزول القبائل في ظاهر دمشق في الغوطة وحول أسوار المدينة حيث توافر المراعي، وإلى جانب هذه القبائل التي استقرت في دمشق واعتنقت الإسلام، نستنتج بأن وجودهم أصبح مميزًا منذ العصرين السابقين وخلال العصر العباسي في دمشق، وبقي لسكانها السابقين حضور كبير فيها، إذ اعتنى خلفاء الدولة العباسية بقبائل المجتمع المختلفة، وربطهم مع القبائل العربية في دمشق بالخلافة العباسية.

---

(١) **هو هشام بن عمرو** بن بسطام بن سفيح بن مروان بن يعلى بن سفيح التغلبي، أطلق عليه صاحب السند، افتتح كشمير، والملتان، وقندهار، وظلّ بولايته ست سنوات. انظر: ابن حزم: كتاب جمهرة أنساب العرب، ص: ٣٠٦.

(٢) **أبو الهيذام عامر بن عمارة** بن خريم الناعم بن عمرو بن الحارث الغطفاني المري: رأس المضرية في الشام، وأحد فرسان العرب المشهورين. الزركلي: كتاب الأعلام، ج٣، ص: ٢٥٣.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ص: ٢٥١. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص: ٢٩٢.

(٤) **عبد الصمد بن علي** هو ابن حبر الأمة عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، الأمير الكبير، أبو محمد الهاشمي، العباسي، عم السفاح والمنصور، ولد بالبلقاء سنة نيف ومائة، وحدث عن أبيه، روى عنه: المهدي، وغيره، قيل: مات بأسنان اللبن، وكانت ملتصقة، وكان عظيم الخلقة، ضخمًا، وقد خرج عند موت السفاح مع أخيه عبد الله على المنصور، وحاربهما أبو مسلم الخراساني، وتقلبت به الأيام، وعاش إلى الآن، وكان الرشيد يجله ويحترمه، ولي إمرة دمشق، وإمرة البصرة، وغير ذلك. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٩، ص: ١٢٩، وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٩، ص: ١٩٥.

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ص: ٤٤٥-١٢٨.

(٦) الدوري: عبد العزيز: العصر العباسي الأول، بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٨م، ص: ١١٣.

المبحث الثالث: العادات والتقاليد في المجتمع العباسي في دمشق:

جاء في العصر العباسي الحرص على الاطلاع على ثقافات الشعوب الأخرى سواء كانوا الفرس أو الروم أو البربر أو الأوروبيين. كما أنهم اطلعوا على العادات والتقاليد الخاصة بهم، بالإضافة إلى طريقة حياتهم من حيث المسكن والملبس والمشرب. وهذا الأمر كان له تأثير سلبي لأنه جعل العباسيين مستعدين لأخذ ما لا يتناسب مع عاداتهم وتقاليدهم وأفكارهم، مثل انتشار فكرة الجواري، والجدير بالذكر أنه قد انتشرت لغات عديدة في ذلك الوقت، ولكن اللغة العربية بقيت محافظة على مكانتها، ولم تستطع أي لغة أخرى التأثير في مكانتها، وقد تباين الحكم العباسي في اهتمامه ببعض جوانب الحياة الرئيسية ما بين الجيد والسيئ، ومن الأمور التي لا شكّ بأهميتها في أي عصر كان موضوع الرعاية الاجتماعية(١).

وترى الباحثة أن المسلمين بشكل عام (العباسيين) أثروا في غيرهم من الشعوب التي خالطوها وامتزجوا معها بثقافتهم وحضارتهم، وقد أخذت منهم الشعوب الكثير من الحضارات، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على معاملتهم الحسنة وما يتصف به الدين الإسلامي من السماحة والسهولة واليسر والرحمة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٢)، فالإسلام يحترم تقاليد وعادات الشعوب الأخرى، والمسلمون كذلك أخذوا ما يتناسب مع عقيدتهم وثقافتهم من عادات وتقاليد الشعوب الأخرى.

الملابس:

جاءت الملابس في العصر العباسي الأول ملائمة لذلك التطور إذ أصبحت أكثر رونقًا مما كانت عليه في السابق، وقد بدأت حياة الترف في المجتمع الإسلامي منذ قدوم العباسيين، حيث برزت مظاهرها بشكل واضح، حتى وصلت الدولة الإسلامية لحالة من الرخاء التي لم تظهر من قبل، وبدا واضحًا تفاعل المجتمع الإسلامي مع حياة الرخاء تلك، وخاصة في الملابس التي اختلفت في العصر العباسي في أشكالها وأنواعها وطرق صناعتها، وذلك باختلاف الوظائف التي ينتمي لها الناس، أو باختلاف أديانهم.

- الزي الرسمي في الدولة العباسية الأولى:

كان للقضاة زي خاصّ بهم، ولكتاب الجند زي خاص، وللتجار زي، وكان للنساء الحرائر زي، ولكل مملوك زي، وللإماء زي(٣)، وللمؤذنين زي، وللخطباء زي، وللحرس زي، ويبدو أنّ هذه الأزياء

---

(١) شياع: أسماء عبد عون: الرعاية الاجتماعية في العصر العباسي الأول (١٣٢هـ/ ٢٤٧م)، مجلة العلوم الأساسية، العدد ٥، ٢٠٢٢م، ١٤٤٣هـ، ص: ٢٦٠.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين، ص: ٥١.

كانت متعارفًا عليها إلى الحد الذي يمكن تمييز الرجل وصنعته من خلال ما يرتديه من ملابس(١).

- الأزياء الرجالية:

أما ألوان الملابس فكان الأسود هو السائد في الأزياء في العصر العباسي، فقد روي أنّ الرشيد كان يوم وفاته يرتدي جبة(٢) سوداء بغير قميص، وعليها فنك، وفوقها دراعة خز سوداء مبطنة بفنك، وعلى رأسه قلنسوة(٣) طويلة وعمامة خز سوداء، وتطلس(٤) بطيلسان أسود(٥). أما الدنية فقد كانت طول ونصف ذراع أو أكثر، وفيها شبه بالشربوش(٦)، وكان يلبسها القضاة والولاة وغيرهم، وتعمل من ورق على قضبان دقاق، وكانت تسمى الطويلة(٧).

وكان المنصور قد أخرج الدنية وأخرج المناطق وهي الحياصة فيها والسيف، وقد كان الخلنجي يلبس الدنية، ولما قدم يحيى بن أكثم دمشق بصحبة المأمون خلع أحمد بن أبي الحواري(٨) طويلة وشيئًا من ملابسه(٩).

- الأزياء النسائية:

أما لباس المرأة فكان يتكوّن من ملاءة فضفاضة وقميص(١٠) مشقوق عند الرقبة عليه رداء(١١) قصير ضيق يلبس عادة في البرد، أما إذا خرجت المرأة العربية من بيتها فإنها ترتدي ملاءة طويلة تغطي

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص: ٧٨.

(٢) **الجُبة**: هي رداء واسع فضفاض. رينهارت دوزي: المعجم المفصلي بأسماء الملابس عند العرب، ص: ١٠٤.

(٣) **قلنسوة**: من ملابس الرَّأْس كالبرنس الَّذِي تغطى بِهِ العِمَامَة. المناوي: محمد عبد الرؤوف: كتاب الشمائل الشريفة مستل من فيض القدير للمناوي، د. م: دار طائر العلم للنشر والتوزيع، ص: ٣٦٦.

(٤) **الطيلسان**: الطيالسة بفتح الطاء، وكسر اللام: جمع طيلسان، وهو ثوب معروف. محمد بن علي: الولوي: البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، الرياض، دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ، ج٤٤، ص: ٦٦٥.

(٥) الجهشياري: محمد بن عبدوس: الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، ١٩٣٨م، ص: ٢٢١.

(٦) **شربوش** هو شيء يشبه التاج كأنه شكل مثلث يجعل على الرأس بغير عمامة، كان الشربوش يلبس على رأس الأمراء ولم يكن يلبس من قبل الفقهاء، فقد شائعة الاستعمال في بغداد رينهارت دوزي: المعجم المفصلي بأسماء الملابس عند العرب، ص: ٢٠٠.

(٧) ابن منظور: لسان العرب، ص: ٤١٩-٤٢٠.

(٨) **أحمد بن أبي الحواري**: أحمد بن أبي الحواري عبد الله بن ميمون الثعلبي. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص: ٨٥.

(٩) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ص: ٣٩٨.

(١٠) **قميص**: لباس يلبس فوق السروال فقمصان النساء مشغولة من الحرير ومن القطن ومن الكتان ومن الشاش الموصلي وأخيرًا من الكربشة الملونة وأحيانا السوداء.. رينهارت دوزي: المعجم المفصلي بأسماء الملابس عند العرب، ص: ٣٢٨.

(١١) **رداء**: الوشاح كل ما ترتدي المرأة لباس واسع، الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج٣٨، ص: ١٤٥.

جسمها، وتقي ملابسها من التراب، وتلف الرأس بمنديل يربط فوق الرقبة. وتطورت ملابس النساء في العصر العباسي تطورا ملحوظا عما كانت عليه في العصر الأموي؛ إذ اتخذت سيدات الطبقة الراقية غطاء الرأس (البرنس) مرصعا بالجواهر محلّى بسلسلة ذهبية مطعمة بالأحجار الكريمة[١]، وقد عرفت ملابس النساء في العصر العباسي تطورًا كبيرًا بالنسبة لما كان عليه في العصر الأموي، حيث كان نساء الخلفاء يلبسن أحسن الملابس أناقة وجمالا ومن أجود أنواع الحرير، أما الوسطى فكن يزين رؤوسهن بحلي مسطحة من الذهب وبعصابة كثيرا ما تكون محلاة باللؤلؤ والزمرد، ويلبسن الخلاخل[٢] في أرجلهن والأساور في معاصمهن وزنودهن[٣].

- أدوات الزينة:

كما لم تجهل النساء بفن التجميل الذي أخذته عن النساء الفارسيات، حيث كُن يتعطرن من أجود أنواع العطور، فكان عطرهن ماء الورد المحلول وعطر القرنفل والكافور والزعفران، كما كان النساء يتزين بأجمل أنواع المساحيق ليظهرن في أحسن صورة، ويلبسن المتظرفات القلائد[٤] والسلس[٥]، والمفصلة المخرمة بشرابات الذهب المشبكة التي كن يلبسنها في المناسبات السعيدة. ومن أدوات الزينة عند النساء العباسيات الحلي[٦]، الذي كنّ يلبسنه في المناسبات العامة، كما كان الحلي من أهم الهدايا التي يقدمها الأزواج لزوجاتهم[٧]. واعتاد أهل دمشق على الخضاب، وهو صبغ لون شعورهم ولحيتهم، وهي عادة العلماء وكبار السن في الغالب، إذ يخضبون بالحمرة[٨].

الاحتفال بالأعياد:

أما بالنسبة للعادات والتقاليد في الاحتفال بالأعياد في دمشق؛ فقد كانت الاحتفالات بعيدي الفطر والأضحى تبلغ غاية الروعة في دمشق، وكان المسلمون يحتفلون بالأيام التي تسبق هذين العيدين،

---

(١) إبراهيم: النظم الإسلامية، ص: ١٢.

(٢) **الخلاخل**: حلية كالسوار تلبسها النساء في أرجلهن. فيروزابادي: المعجم الوسيط، ص: ٢٤٩.

(٣) صيد: نورة: الأوضاع الحضارية لدولة العباسية في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٤-٧٧٥م) د. ن، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية الجمهورية الجزائرية، رسالة ماجستير، ١٩٤٥م، ص: ٣٤.

(٤) **المتظرفات القلائد**: القلادة ما يعلق في العنق. فيروزابادي: المعجم الوسيط، ص: ٧٥٤.

(٥) **السلس**: السلس الخيط الذي ينظم فيه الخرز والخرز الأبيض ينظم في القلائد والقرط من الحلي والخمار. فيروزابادي: المعجم الوسيط، ص ٤٤٢.

(٦) **الحلي**: أداة زينة تصاغ الحلي من فضة وذهب. فيروزابادي: المعجم الوسيط، ص: ٥٢٩.

(٧) صيد: الأوضاع الحضارية لدولة العباسية في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، ص: ٣٤.

(٨) محمد: رشا عوض: الحياة الاجتماعية والثقافية في دمشق في العصر العباسي الأول، مجلة القلزم ع١٠س: ١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م، ص: ١٣.

حيث كان لشهر رمضان الذي يسبق عيد الفطر مكانة كبيرة في نفوس المسلمين، وكانوا يكثرون فيه التردد على المساجد للعبادة وتلاوة آيات القرآن الكريم، وكان يتم الاحتفال بختم القرآن الكريم(١). وكان بعض الأمراء في هذا الشهر يقيم الموائد الجماعية من أوله إلى آخره، ويجعل بيته مفتوحًا يدخله من يحتاج إلى الطعام والشراب، ومثال ذلك ما قام به مالك بن طوق(٢) والي دمشق للواثق، كما احتفل أهل دمشق في الأيام التي كانت تسبق عيد الأضحى وهي أيام الاستعداد لأداء فريضة الحج التي كانت تستغرق شهرًا أو أكثر. وقد جرت العادة أن يتوجه الناس صبيحة أول أيام العيد لأداء صلاة العيد، ومن ثم يتوجهون بعدها إلى المقابر لزيارة موتاهم، وهذه عادة قديمة تنم عن احترامهم لموتاهم الذين في الغالب ما يكونون آباءهم وأمهاتهم، علاوةً على تقديسهم لأسرهم وتثبيت الانتماء إليها، ومن أجل ذلك كانوا يصطحبون معهم أبناءهم الصغار حتى يعلموهم هذه القيم(٣). وذكر بعض الممارسات التي كانت تمارس في العيد منها سباقات الفروسية، حيث يحضرها أناس كثيرون سواءً كانوا مشاركين في السابق أم مشجعين يستمتعون بالسباق(٤).

ومن الجدير بالذكر أنّ أهل دمشق اعتادوا أن لا يعملوا عملًا في يوم السبت، وإنما كانوا يخرجون إلى المنتزهات وشطوط الأنهار، والأشجار والبساتين النضرة والمياه الجارية، فيتمتعون بمناظرها، ويرفهون عن أنفسهم، فيكونون بذلك يومهم إلى الليل(٥).

وإلى جانب احتفال المسلمين في دمشق أيضا احتفال النصارى بأعيادهم، وأبرزها عيد ميلاد رأس السنة، وعيد الشعانين، وعيد الفصح، ففي الشعانين كان النصارى يقصدون الكنائس حاملين في أيديهم أغصان الزيتون(٦).

---

(١) إبراهيم: الحياة الاجتماعية والثقافية في دمشق في العصر العباسي الأول: ص: ١٤.

(٢) هو **مالك بن طوق التغلبي**، أحد ولاة الموصل الذين حكموها للسنوات ٢١٤هـ/ ٨٢٩م، ٢١٥هـ/ ٨٣٠م. يعود مالك بن طوق في نسبه إلى قبيلة تغلب التي يعود نسبها إلى وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وتميز مالك بن طوق بكرمه الكبير ونبله، وكان من الفرسان الأجواد، وكان له كما ذكرت المصادر التاريخية لب ووقار وحشمة، كما أشارت المصادر إلى أعمال البر والخير التي كان يقوم بها، فكان ينادي على باب داره بالخضراء بعد المغرب: (الإفطار يرحمكم الله) وكانت الأبواب مفتوحة يدخلها الناس. وقد وصف عدد من الشعراء الكبار أمثال أبي تمام والبحتري كرم هذا الوالي. ولي إمرة دمشق والأردن في ولاية الواثق ثم في ولاية المتوكل. وكانت وفاة مالك بن طوق في سنة (٢٦٠هـ/ ٨٧٣م). ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص: ٣٠٢- ٣٠٤.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ص: ٤٦٠- ٢١٤. الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب، ص: ٢٦٧-٣٧٤.

(٤) الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب، ج٣، ص: ٤٧٤.

(٥) ابن بطوطة: تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص: ٧٠.

(٦) الدمشقي: شمس الدين أبو عبد الله: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مدينة بطربورغ، الأكاديمية الإمبراطورية، ١٢٨١م، ج٥، ص: ١٨٦.

الطعام والشراب:

أما عن الطعام والشراب فإنّ من الجدير قوله أنّ الأطعمة والأشربة علاوةً على توفرها في دمشق فقد كانت أسعارها رخيصة، وقد اعتاد أهل دمشق عندما يقدم إليهم أحد الأشخاص وينزل على أحدهم أن يكرموه، حيث يعمل له دعوة حفلة، فلما نزل يعيش بن الوليد بن هشام الأموي(١) دمشق نزل على مكحول(٢) فعمل له وليمة. كما اعتاد بعض الأشخاص عندما يزوره الأصدقاء أن يقدم لهم وليمة في المزرعة الخاصة به، حيث يعد لهم ما طاب من الأطعمة(٣). أما الأكل الذي يرغب فيه العباسيون فهو اللحوم، وخاصة لحوم الدجاج وكبودها ولحوم الغنم، بالإضافة إلى البقول والأرز، كما كان بعضهم يشتري مقادير من السمك لتقديمه على المائدة، فيأكلون من ألوان الطعام الشهية، ومن أنواع الفواكه المفضلة لديهم التفاح والموز والجوز واللوز والإسفرجل والرمان(٤). أما كيفية تناول الطعام فكانت تختلف حسب طبقات المجتمع، فالأغنياء كانوا يتناولون الطعام على موائد، والفقراء يتناولونه جلوسا على الأرض، وكان الناس يحرصون على الإقامة في دمشق لتوفر الأطعمة والأشربة بجانب أن أسعارها كانت رخيصة(٥).

الترفيه والتسلية:

اهتم الخلفاء بأنواع من التسلية، كسباق الخيل ولعب الشطرنج وغيرهما(٦)، وكان الصيد أحب أنواع التسلية للخلفاء، وقد مارس ذلك العديد منهم(٧)، وسادت بين طبقات الشعب، وكان المهدي أول خليفة يحمل إليه الثلج إلى مكة في الحج، كما كان مترفًا في ملبسه ومأكله(٨).

---

(١) **هو يعيش بن الوليد بن هشام القرشي المعيطي** روى عن أبيه، روى عنه يحيى بن أبي كثير والأوزاعي وعكرمة بن عمار. ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، الجرح والتعديل، حيدر آباد: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٢م، ط١، ج٩، ص: ٣٠٩.

(٢) **هو مكحول** بْن أَبِي مسلم كَانَ يكون بدمشق، عالم قيل: عنه ما أعلم بالشام أفقه من مكحول. المزي: جمال الدين: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠-١٤١٣هـ/ ١٩٨٠-١٩٩٢م، ج٢٨، ص: ٤٧٢-٤٦٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥، ص: ١٥٥.

(٣) العسقلاني: شهاب الدين: تهذيب التهذيب، ج١١، الهند: حيدر آباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف النظامية، ص: ٤٠٦.

(٤) صيد: الأوضاع الحضارية لدولة العباسية في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٤-٧٧٥م) ص: ٣٠.

(٥) إبراهيم: الحياة الاجتماعية والثقافية في دمشق في العصر العباسي الأول، ص: ١٧.

(٦) المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م، ص: ٣٦٢.

(٧) الجهيشاري: أبو عبد الله محمد بن عبدوس: الوزراء والكتاب، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٧هـ، ص: ١٤٦.

(٨) قباني: محمد: الدولة العباسية من الميلاد إلى السقوط، دمشق، دار وحي القلم، ١٤٢٧هـ، ص: ٢٨.

الأفراح والأحزان:

ومن العادات الاجتماعية الزواج، فقد كانوا يحرصون على تزويج أولاهم في سن مبكر، إذ كان يتم عن طريق اختيار الأم للزوجة، وكان الاحتفال بهذه المناسبة يتم من قبل الأسرتين، ويستمر لعدة أيام، وكان هنالك احتفالات للمسيحيين واليهود بهذه المناسبة، وأما من حيث الزواج والمصاهرة فقد تغيرت تقاليدها عن ذي قبل، وذابت تلك العادة العربية المتمثلة في التحفظ عن مصاهرة غير العرب، فقد حطم العصر العباسي تلك الحواجز، وامتزج الدم العربي بالدم الفارسي وغيره من العناصر الأخرى(١)، فقد كانت لهم عاداتهم في الأفراح في دمشق، وأما في الأحزان فقد اعتاد أهل دمشق عند احتضار أحدهم أن يتلوا القرآن فوق رأسه عند احتضاره، وكذلك السير خلف الجنائز(٢).

ومما سبق ترى الباحثة أنّ مدينة دمشق مرت بفترة من الازدهار الاجتماعي، حيث كانت واحدة من أهم المراكز الحضارية في الشرق الأوسط، ومركزًا للحكم والثقافة في الدولة العباسية. وقد تنوعت الحياة الاجتماعية في دمشق في تلك الفترة، وتأثرت بالتداخل الثقافي والديني للمسلمين والمسيحيين واليهود وغيرهم. وقد كانت الحياة الاجتماعية في دمشق خلال العصر العباسي الأول تجسد الازدهار الثقافي والتسامح الديني، وكانت المدينة مركزًا حضاريًّا حيويًّا ومزدهرًا، حيث اجتمع فيها مختلف الثقافات والأديان والفكر الفلسفي. كما تركت هذه الفترة بصمات عميقة في تاريخ دمشق وشكّلتها كما نعرفها اليوم.

---

(١) ابن أبي شيبة: محمد بن عثمان: كتاب العرش وما روي فيه، الرياض، مكتبة الرشيد، ١٤١٨هـ، ص: ١٩٨.

(٢) محمد: رشا عوض: الحياة الاجتماعية والثقافية في دمشق في العصر العباسي الأول، مجلة القلزم ع١٠س: ٢٠٢٢م، ص: ١٦.

الخاتمة

الخاتمة

وفي الختام أحمد الله الذي أعانني على إكمال هذه الدراسة، فقد تحدثتُ فيها عن النظام الإداري والاقتصادي والاجتماعي في العصر العباسي الأول في مدينة دمشق خلال الفترة (١٣٢-٢٣٢هـ/ ٧٥٠-٨٤٧م)، وتناولتُ النظم الإدارية في دمشق خلال العصر العباسي الأول، وإسهامات الخلفاء العباسيين في تنظيم ولايتها، وفي التنظيم القضائي، وشملت الدراسة تنظيمهم للدواوين في دمشق، والنُّظُم الاقتصادية في دمشق، والتي فصّلت التنظيم الزراعي، والتجاري، وتنظيم الموارد المالية. وشملت التنظيمات الاجتماعية علاقة القبائل العربية في دمشق بالخلافة العباسية، والنظم الاجتماعية والعادات والتقاليد في دمشق. وهنا أوجز بعض النتائج والتوصيات:

أولًا: النتائج:

١- يعد العصر العباسي الأول العصر الذهبيّ للخلافة العربية الإسلامية الذي اكتملت فيه حضارتها ونضَجت، وهو عصر يشمل حقبةً زمنيةً تزيد على خمسة قرون.

٢- تعد دمشق من أعرق المدن وأقدمها، وقد كانت دمشق قاعدة الآرميين سنة ٩٤٠ ق. م افتتحها العرب في أولى سنواتهم، وأصبحت مركزًا للدولة الإسلامية وعاصمة هذه الدولة، ومنها كانت تصدر الأوامر والتعليمات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

٣- لقد أسهم الخلفاء العباسيون في تنظيم ولاية دمشق خلال العصر العباسي الأول؛ وكانت هذه الإسهامات من شأنها خدمة البلاد وتتابعها للعصور التالية، سواء بالأمور الحسنة أو خلافها، وكان لطباع الحاكم وصفاته في تنظيم حكمه الأثر على الأحداث والوقائع في عصره.

٤- بلغ التنظيم الإداري للقضاء غايته القصوى في العهد العباسي، وظهرت فيه تنظيمات كثيرة وأعمال جسيمة تتناسب مع التطور الإداري والاجتماعي.

٥- أخذت الدواوين في العصر العباسي بالتطور بحسب الظروف التي مرت بها الدولة الإسلامية، فأحدثوا دواوين جديدة، ومن أنواع الدواوين في العهد العباسي: ديوان الخراج، ديوان الضياع، ديوان الجند، ديوان العرض، ديوان النفقات، ديوان بيت المال، ديوان الرسائل، ديوان التوقيع والخاتم والمظالم.

٦- شملت النظم الاقتصَادية في دمشق خلال العصر العبَاسي الأول التنظيم الزرَاعي، وتنظيم الأحوَال التجَارية، وتنظيم الصنَاعة الحرفية، وتنظيم الخلفَاء العبَاسيين للمَوَارد المالية.

٧- تعتبر التجارة في حياة أهل دمشق ذات جذور عميقة، وأثر بالغ في مجمل أنشطتهم الاقتصادية عبر العصور القديمة، والعصور التي شهدت نهوض الحضارة العربية الإسلامية وتألقها.

٨- شهد العصر العباسي نهضة فكرية وعلمية كبيرة، وكانت مصر تستورد من بلاد الشام الأنسجة الحريرية الراقية، ويحمل إليها من صيدا التين والزبيب والزيت، ومن بيروت الفواكه، ومن هذه الفواكه التفاح والقراصيا، ويحمل إليها أيضا من دمشق القنب وقمر الدين الذي كان يصنع من المشمش.

٩- أنّ تنظيم الجانب التجاري تناول كلًّا من الطرق البرية، والنقود والصكوك، والورق، والصادرات والواردات، والصلات التجارية، والثغور، والأسواق. أما الجانب الصناعي فقد اشتهرتْ دمشق منذ بداية التاريخ بصناعاتها وحرفها الّتي امْتازتْ بالجودة والإتْقان، والّتي تنوعتْ ما بين: الصّناعات الفخارية، والزّجاجية، والجلْدية، والنّسيجية، وصناعة السيوف.

١٠-تناولت التنظيمات الاجتماعية في مدينة دمشق خلال العصر العباسي الأول: النظم الاجتماعية، وعلاقة القبائل العربية في دمشق بالخلافة العباسية، وتناول العادات والتقاليد في المجتمع.

١١-تعتبر الثغور أشبه ما تكون بالخطوط الدفاعية الأولى ضد الأعداء، وعرفت بأنها موضع المخافة من أطراف البلاد، وقد كانت الثغور في فترة العصر العباسي الأول تشكل خطا طويلًا من الحصون والقلاع بين بلاد الشام والدولة البيزنطية.

ثانيًا: التوصيات:

١- تناولت الدراسة إسهامات الخلفاء العباسيين في تنظيم ولاية دمشق خلال العصر العباسي الأول، وإسهاماتهم في التنظيم القضائي، وتنظيم الخلفاء العباسيين للدواوين فيها، وتوصي الدراسة بالتوسع في هذا الشأن من ناحية التنظيم القضائي والدواوين.

٢- الاستفادة من المجالات التي عملت على تطوير حضارة الدولة العباسية من الناحية العلمية والأدبية والمادية.

٣- يهدف القضاء في الدولة العباسية إلى إقامة العدل وتحقيق القسط وحفظ الحقوق والأموال والأنفس والأعراض وحماية حقوق العامة وتطبيق الأحكام الشرعية ويقيم حدود الله تعالى، فيجب الاستفادة من ذلك.

٤- من الملاحظ أن المجتمع في دمشق إلى جانب تعدد عناصره قد تكوَّن من فئات متباينة من الناحية الاقتصادية، والتي لعب تقريب القبائل وإقطاعهم الإقطاعات والدور والمنازل دورًا كبيرًا فيها، وتوصي الباحثة بالتوسع في هذ الجانب.

٥- توصي الدراسة بتناول كل هذه الجوانب الإدارية والاقتصادية والتجارية التي تم تناولها في مدينة دمشق وتناولها في مدينة بغداد لما كان فيها من أحداث وتطورات عملت على تطوير الدولة الإسلامية.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم:

ثانيًا: المصادر:

١- ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (٢٤٠-٣٢٧هـ)، الجرح والتعديل، حيدر آباد، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٢م.

٢- ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري (ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م):

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- الكامل في التاريخ، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.

٣- ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ.

٤- ابن الخياط: أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (٢٤٠هـ)، تاريخ خليفة بن الخياط، تحقيق، أكرم ضياء العمري، دمشق، بيروت، دار القلم، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٧م.

٥- ابن السبكي: تاج الدين عبد الوهاب (٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، محمود محمد الطناحي، د. م، هجر الطباعة، ١٤١٣هـ.

٦- ابن الشحنة: أبو الفضل محمد الحلبِي الحنفِي (٨٨٢هـ)، الدر المنتخب فِي تَارِيخ مملكة حلب، تعليق: يُوسف بن إليَاس سركِيس الدمشقِي، المطبعة الكَاثُوليكِية للإبَاء اليسُوعِيين، بيرُوت ١٩٠٩م.

٧- ابن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبا (٧٠٩هـ)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، بيروت، دار القلم العربي، ١٩٩٧م، ١٤١٨هـ.

٨- ابن العديم: عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (٦٦٠هـ): بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، د. م، دار الفكر د. ت.

٩- ابن العمراني: محمد بن علي (٥٨٠هـ): الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي، القاهرة، دار الآفاق العربية، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

١٠-ابن الفوطي: كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد (٧٢٣هـ): مجمع الآداب في

معجم الألقاب، تحقيق محمد الكاظم، إيران، مؤسسة الطباعة والنشر - وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٦هـ.

١١-ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) كتاب أهل الذمة، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري - شاكر بن توفيق العاروري، الدمام، رمادي للنشر، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٢-ابن الكلبي: هشام بن محمد بن السائب (٨١٩م/ ٢٠٤هـ) نسب معد واليمن الكبير، د. م، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٣-ابن المبرد: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي الدمشقي الصالحي (٩٠٩هـ)، الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، جدة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٤-ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (٧٧٩هـ)، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت، دار إحياء العلوم، ١٤٠٧هـ.

١٥-ابن تغري بردي: أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصر، وزارة الثقافة والإرشاد، دار الكتب، د. ت.

١٦-ابن حبان محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (٣٥٤هـ)، الثقات لابن حبان، الهند، وزارة المعارف للحكومة العالمية الهندية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

١٧-ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م).

- رسائل ابن حزم الأندلسي، بيروت، بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير، د. ت.
- جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، مصر، دار المعارف، ١٩٦٢م.

١٨-ابن حوقل: محمد بن حوقل البغدادي الموصلي (ت بعد ٣٦٧هـ): صورة الأرض، بيروت، دار صادر، ١٩٣٨م.

١٩-ابن خرداذبة: عبيد الله بن عبد الله (٢٨٠هـ): المسالك والممالك، بيروت، دار صادر أفست ليدن، ١٨٨٩م.

٢٠-ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) العبر، تاريخ علم الاجتماع، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٣م.

٢١-ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن محمد (٦٠٨-٦٨١هـ)، وفيات الأعيان، بيروت، دار صادر، ١٩٠٠م.

٢٢-ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري (٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٣-ابن سيده: علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الاعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٢٤-ابن طولون: شمس الدين (٩٥٣هـ): قضاة دمشق الثغور البسام في ذكر من ولي قضاء الشام، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دمشق، المجمع العلمي العربي، ١٩٥٦م.

٢٥-ابن طيفور: أبو الفضل أحمد بن طَاهر بن طيفور (٢٨٠هـ): تَاريخ بغدَاد، تحقيق: عزت العطار الحسيني، القاهرة، ١٩٤٩م.

٢٦-ابن عبد ربه: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨هـ)، العقد الفريد، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

٢٧-ابن عساكر: علي بن الحسن (٥٧١-٤٩٩هـ) تاريخ دمشق، تحقيق محب الدين أبو سعيد، د. م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ.

٢٨-ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ):

- المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، مصر، دار المعارف، ١١١٩م.
- الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، تحقيق طه عمر الزيني، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٩م.
- عيون الأخبار، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٢٥م.

٢٩-ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠١٥م.

٣٠-أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (٧٣٢هـ):

- كتاب المختصر في أخبار البشر، مصر: المطبعة الحسينية المصرية: د. ت.
- تقويم البلدان، باريس: د. ن.

٣١-أبو المحاسن: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله (٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصر، وزارة الثقافة والإرشاد، دار الكتب، د. ت.

٣٢-أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم: الخراج، القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٥٢هـ، ط٢.

٣٣-أبو داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، د. ت.

٣٤-أبو البقاء: عبد الله البدري (٦١٦هـ)، نزاهة الأنام في محاسن الشام، بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨٠م.

٣٥-ابن أبي شيبة: محمد بن عثمان (٢٩٧هـ): كتاب العرش وما روي فيه، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٨هـ.

٣٦-الإدريسي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي (٥٦٠هـ)، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٩هـ.

٣٧-الأربلى: عبد الرحمن سنبط (٧١٧هـ)، خلاصة الذهب المسبوك، مختصر من سير الملوك، بغداد، مكتبة المثنى، د. ت.

٣٨-الأزرقي: أبو وليد محمد بن عبد الله (٢٥٠هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، بيروت، دار الأندلس، ١٩٦٩م.

٣٩-الأزهري: محمد بن أحمد (٢٥٠هـ)، تهذيب اللغة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.

٤٠-الإصطخري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (٣٤٦هـ)، مسالك الممالك، تحقيق دية غوية، ليدن، بغداد، مكتبة المثنى، بريل، ١٩٦٧م.

٤١-الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (٥٠٢هـ): الأغاني، تحقيق: علي مهنا، دار صعب، د. ت.

٤٢-البغدادي: قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ): الخراج وصناعة الكتابة، بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م.

٤٣-البلاذري: أحمد بن يحيى بن جبر بن داود (٢٧٩هـ):

- فتوح البلدَان، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨م.
- أنساب الأشراف، بيروت، دار الفكر، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٤٤-البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٣٨٤-٤٥٨هـ): كتاب السنن الكبير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية الإسلامية، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٤٥-الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، سنن الترمذي، شركة مكتبة

ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٤٦-التوحيدي: أبو حيان علي بن محمد بن العباس (٤٠٠هـ): الإمتاع والمؤانسة، بيروت، المكتبة العنصرية، ١٤٢٤هـ.

٤٧-الثعَالِبِي: عبد الملك بن محمد بن إسمَاعِيل، (٤٢٩هـ): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٦٥م.

٤٨-الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥هـ): البيان والتبيين، تحقيق: فوزي عطوي، بيروت، دار صعب، ١٩٦٨م.

٤٩-الجهيشاري: أبو عبد الله محمد بن عبدوس (٣٣١هـ): الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٣٨م.

٥٠-الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (٦٢٦هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

٥١-الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (٩٠٠هـ): كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، بيروت، مؤسسة ناصر الثقافية، ١٩٨٠م.

٥٢-الخوارزمي: محمد بن أحمد بن يوسف (٣٨٧هـ): مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، د. ت.

٥٣-الدمشقي: شمس الدين أبي عبد الله بن محمد بن أبي طالب الأنصاري (٧٢٧هـ)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مدينة بطربورغ، الأكادمية الإمبراطورية، ١٢٨١م.

٥٤-الدينوري: أبو حنيفة أحمد بن داود (٢٨٢هـ): الأخبار الطوال، مصر، وزارة الثقافة والإرشاد، ١٩٦٠م.

٥٥-الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ):

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٩٣م، ١٤١٣هـ.
- سير أعلام النبلاء، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.
- العبر في خبر من غبر، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت.

٥٦-الرازي: محمد بن أبي بكر (٦٦٦هـ): مختار الصحاح، بيروت، الدار النموذجية، ١٤٢٠هـ.

٥٧-الزبيدي: محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي أبو الفيض (٨١٧هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت وزارة الإرشاد والإنباء. د. ت.

٥٨-الزهري: محمد بن سعد بن منيع (٢٣٠هـ) الطبقات الكبرى، القاهرة، مكتبة الخانجي،

١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٥٩-الأشعري: أحمد بن محمد بن إبراهيم، شهاب الدين أبو الحجاج الأشعري (٦٠٠هـ): التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب، د. م، د. ن، د. ت.

٦٠-السبكي: أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي (٧٥٦هـ): قضاء الأرب في أسئلة حلب، د. م، المكتبة التجارية مكة المكرمة، ١٤١٣هـ.

٦١-السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ): طبقات الشافعية الكبرى، المحقق: د. محمود محمد الطناحي، د. م، هجر الطباعة، ١٤١٣هـ.

٦٢-السجستاني: محمد بن غزير (٣٣٠هـ): غريب القرآن، سوريا، دار قتيبة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٦٣-السمعاني: أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (٥٦٢هـ): كتاب الأنساب، الهند، مجلس دارة المعارف، ١٣٨٢هـ.

٦٤-السِيرَافِي: أبُو زِيد حسن (٣٦٨هـ): عجَائب الدنيا وقِياس البلدَان، تحقِيق: سِيف شهِيد المرِيخِي، المملكة العربِية المتحدة، مركز زِيد للترَاث وَالتَارِيخ، د. ت.

٦٥-السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ): تاريخ الخلفاء، القاهرة، المكتبة التجارية الكبري، ١٩٦٩م.

٦٦-الشيباني: منسوب لأبي عمر الشيباني (٢٠٦هـ): شرح المعلقات التسع، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠١م.

٦٧-الصفدي: صلاح الدين خليل (٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)، أمراء دمشق في الإسلام، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دمشق، مطبعة الترقي، ١٩٥٥م.

٦٨-الصفدي: الحسَن بن أبي محمّد عبد الله بن عمر بن محاسن بن عبد الكريم الهَاشِمِي العبّاسي (٧١٧هـ): نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك، بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ.

٦٩-الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (٢٢٤-٣١٠هـ):

- تاريخ الرسل والملوك، مصر، دار المعارف، د. ت.
- تاريخ الرسل والملوك: تحقيق أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٦م.
- الخلافة في عهد الأمويين، صحيح تاريخ الطبري، دمشق، دار ابن كثير، ٢٠٠٧م.

٧٠-الطرطوشي: أبو بكر محمد بن الوليد الفهري (٥٢٠هـ): سراج الملوك، تحقيق وضبط محمد فتحي أبوبكر، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٤م.

٧١-العسقلاني: شهاب الدين: تهذيب التهذيب، الهند: حيدر آباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف النظامية، د. ت.

٧٢-الغزولي: علي بن عبد الله (٨١٥هـ): مطالع البدور ومنازل السرور، د. م، د. ن، د. ت.

٧٣-القاضي الرشيد ابن الزبير: شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن حسن الأوحدي المقرئ الشافعي (٨١١هـ): كتاب الذخائر، تحقيق: محمد حميد الله، الكويت، مكتبة الدكتور سروان العطية، ١٩٥٩م.

٧٤-القرطبي: محمد بن أحمد (٥٢٠هـ): البيان والتحصيل، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٧٥-القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (٦٨٢هـ): آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، د. ت.

٧٦-القطيعي: عبد المؤمن بن عبد الحق (٧٣٩هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، بيروت، دار الجيل، ١٤١٢هـ.

٧٧-القُوطِي: عرِيب بن سعد: صلة تَارِيخ الطبرِي (٣٦٩هـ)، برِيل، لايدن، ١٨٩٧م.

٧٨-القلقشندي: أحمد بن علي (٨٢١هـ):

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ.
- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، د. م، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٧٩-الكردري: محمد بن محمود (ت: ٦٥١هـ): شرح مشكلات القدوري، الرياض التراث الذهبي، ٢٠١٧م.

٨٠-الكوسج المروزي: إسحاق بن منصور (٢٥١هـ): كتاب مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه، د. م، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٢م.

٨١-الماتريدي: محمد بن محمد (٣٣٣هـ): تفسير الماتريدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م.

٨٢-الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (٤٥٠هـ): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، الكويت، دار بن قتيبة، ٢٠٠٨م.

٨٣-المزي: جمال الدين جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي (٦٥٤-٧٤٢هـ): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠-١٤١٣هـ/ ١٩٨٠-١٩٩٢م.

٨٤-المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين (٣٤٦هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م.

٨٥-المقدسي: أبو محمد عبد الغني (٦٠٠هـ): الكمال في أسماء الرجال، دراسة وتحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، الهيئة العامة للعناية بطباعة ونشر القرآن الكريم والسنة النبوية وعلومها، الكويت - شركة غراس للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠١٦م.

٨٦-المقريزي: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (٨٤٥هـ): كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

٨٧-المولي الصاحب: كمال الدين أبو القاسم الحلبي الحنفي (٣٧٠هـ): زبدة الحلب من تاريخ حلب، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م.

٨٨-النويري: أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٣هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، دار الكتب والوثائق، ١٤٢٣هـ.

٨٩-الهمداني: أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود بن سليمان الأرحبي البكيلي (٣٣٦هـ): كتاب البلدان، بيروت، عالم الكتب، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٩٠-الوشاء: محمد بن إسحاق أبو الطيب (٣٢٥هـ): الموشى والظرف والظرفاء، تحقيق: كمال الدين مصطفى، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٣م.

٩١-وكيع: محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي البغدادي (٣٠٦هـ): أخبار القضاء وتواريخهم، بيروت، دار الكتب العربية، د. ت.

٩٢-اليعقوبي: أحمد بن إسحاق (٩٠٥م/ ٢٩٢هـ):

- البلدان، تحقيق: محمد الأمين ضناوي، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت، د. ط.
- تاريخ اليعقوبي، النجف، مطبعة الغري، ١٩٩٣م.

٩٣-اليفرني: محمد بن عبد الحق (٦٢٥هـ)، الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٣٦هـ.

ثالثا: المراجع:

- الإبراهيمي: محمد بشير: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، د. م، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧م.
- أبُو نعِيم الدِين: نَاصر خسرُو: سفرنَامة، ترجمة الدكتُور يحيى الخشَاب، الهيئة المصرِية العَامة للكتَاب ١٩٩٣م، ط١.
- الإتليدي: محمد بدياب: نوادر الخلفاء المشهور بإعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني

العباس، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

- الأطرقجي: واجدة مجيد: المرأة في أدب العصر العباسي، الإمارات، مركز زايد للتراث، ٢٠٠٢م.
- أمين: أحمد: ضحى الإسلام، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م.
- أولاد ضياف: رابح: محاضرات في تاريخ النظم الإسلامية، الجزائر، د. ن، ٢٠١٥م.
- بيطار: أمينة:
  - الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام.
  - تاريخ العصر العباسي، دمشق، جامعة دمشق، ١٩٩٦م، ط٤.
- بيطار: أمينة:.
- جاسم: سهام جميل: الحياة الاجتماعية، د. م، د. ن، د. ت.
- الجبرتي: عبد الرحمن بن حسن (١٢٣٧هـ): تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، بيروت، دار الجيل، د. ت.
- جبل: محمد حسن: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيه)، د. ن، ٢٠١٠م.
- الجبوري: سعد رمضان: الأخشاب واستخداماتها الحضارية في المشرق العربي الإسلامي، الإسكندرية، المكتب الجامعي الجديد، ٢٠١٨م، د. ط.
- الجمل: حسن عز الدين: مخطوطة الجمل - معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، مصر، الهيئة المصرية العامة.
- الجومرد: عبد الجبار: داهية العرب أبو جعفر المنصور مؤسس دولة بني العباس، بيروت، منشورات دار الطليعة.
- حاجي خليفة: مصطفى عبد الله القسطنطيني المعروف بكاتب جلبي وبحاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لندن، مؤسسة الفرقان، ١٤٤٣هـ.
- حسن: إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.
- الحسن: حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، القاهرة، دار الجيل، ١٩٣٣م، ط١.
- الحسيني: العملة الإسلامية في العهد الأتابكي، دفتر، المسكوكات.
- حلاق: حسان: تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي بيروت، دار النهضة، ١٩٨٨م.
- حمادي، محمد جاسم، الجزيرة الفراتية والموصل دراسة في التاريخ السياسي والإداري، دار

الرسالة للطباعة، بغداد، ١٩٧٧م.

- الحياری: مصطفی: الدواوين من كتاب الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر، عمان، ١٩٨٦م.
- الخضري: الشيخ محمد: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر، ٢٠٠٣م، ط١.
- خليفة: شعبان عبد العزيز: الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، الشرق المسلم والشرق الأقصى، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية.
- الدوري: عبد العزيز: العصر العباسي الأول، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٨م.
- دويدري: رجاء: جغرافية سورية في العصر العربي، دمشق، مطبعة طربين، ١٩٨٢م.
- ديجورج: جيرار: دمشق من عصور ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥م، ط١.
- ذوقان: وجيه فهمي، ولاية العهد في العصر الأموي، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٥م
- الراوي: ثابت إسماعيل، تاريخ الدولة العربية، بغداد، دار الإرشاد، ١٩٧٠م، ط١.
- الرحيم: عبد الحسِين مهدِي: الخدمَات العَامة فِي بغدَاد، بغدَاد، دَار الشؤون الإسلامِية العَامة، ١٩٨٧م
- الرفَاعِي: أنور، النظم الإسلامِية، بيرُوت، ١٩٧٣م.
- الريس: محمد ضِياء الدِين: الخرَاج فِي الدُولة العربِية الإسلامِية، مصر، دَار المعَارف، ط٣، ١٩٦٩م.
- الزحيلي: محمد: تاريخ القضاء في الإسلام، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥م.
- الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد: كتاب الأعلام، د. م، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.
- زكي بك: أحمد: قاموس الجغرافي القديمة، مصر، المطبعة الأميرية، ١٨٩٩م.
- زيدان: عبد الكريم: نظام القضاء في الشريعة الإسلامية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩م.
- سالم: السيد عبد العزيز: العصر العباسي الأول، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعية، د.ت.
- السامرائي: حسام الدين: المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتب، ٢٠٠٤م، ط٢.

- سامي: سعيد الأحمد: تاريخ الشرق القديم، بغداد، ١٩٨٨م، د ط.
- سرور: محمد جمال الدين: تاريخ الحضارة في الشرق منذ عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري، القاهرة، ١٩٦٥م.
- السلمي: عز الدين عبد العزيز: الإمام في بيان أدلة الأحكام، مكة المكرمة، دار البشائر، ١٤٠٧هـ.
- السيد: عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، د.ت.
- شامي: يحيى: موسوعة المدن العربية والإسلامية، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٩٣م، ط١.
- شبارو: عصام محمد قاضي: القضاة في الإسلام، بيروت، دار النهضة العربيَّة، ١٩٩٢م.
- الشريشي: أبو عباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القَيْسي: شرح مقامات الحريري، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- الشريف: حسن أحمد: العالم الإسلامي في العصر العباسي، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت.
- الصالح: صبحي إبراهيم، النظم الإسلامية، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤١٧هـ، ط١.
- ضيف: شوقي: العصر العباسي الأول، القاهرة، دار المعارف، د. ت، ط ٨.
- الطحاوي: حاتم عبد الرحمن: بغداد في كتابات الجغرافيين الصينيين في العصور الوسطى، قراءة في مصنف شوجو-كوا، أعمال أبحاث مؤتمر دولي أدب الرحالة العرب والمسلمين، الإمارات، دار السويدي، ٢٠٠١م، ط١.
- طهبوب: صلاح: موسوعة التاريخ الإسلامي العصر الأموي، الأردن، دار اسامه، ٢٠٠٩م.
- العاني: وسيم رفعت عبد المجيد: العباسيين من الدعوة إلى الدولة، بغداد، مكتب وجدي للطباعة، ٢٠١٤م.
- عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية - عصر الخلفاء الأمويين، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٨م، ط٢.
- عبد النور: جبور: الجواري، مصر، دار المعارف، ١٩٤٧م.
- عثمان: عبد الستار عبد الوهاب، صفات خلفاء بني أمية الخلقية والخلقية، جامعة السلطان عبد الحليم شاه، ماليزيا، ٢٠٢٢م.
- عثمان: فتحي: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، ٢٠١٧م، ج٣.

- عزام: خالد: موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العباسي عمان، دار أسامة للنشر، ٢٠٠٩م،
- العسلي: بسام، المنصور القائد، بيروت. دار النفائس، د. ت.
- العلي: صالح أحمد: الدواوين والوزارة مراكزها في العهود العباسية، د. م، د. ن، د. ت.
- علي: محمد كرد: خطط الشام، بيروت، مكتبة النوري، ١٩٢٥م د. ت، ط١.
- علي: محمد كرد: دمشق مدينة السحر والشعر، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م.
- عماد: إيناس عماد وآخرون: تاريخ العصور العباسية المبكرة، د. م، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٥م.
- عمر: أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. م، عالم الكتب.
- العمر: فؤاد عبد الله: مقدمة فِي تَارِيخ الاقتصَاد الإسلامِي وتطوره، السعُودِية، المعهد الإسلامِي للبحُوث وَالتدرِيب، ٢٠٠٣م، ط١.
- العمري: أكرم ضياء: الخلافة الراشدة، د. م، مكتبة العبيكان، ٢٠١٧م.
- فوزي: فاروق عمر: التاريخ الإسلامي، عمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٦م.
- الغزي: كامل بن حسين بن مصطفى البابي الحلبي (١٣٥١هـ): نهر الذهب في تاريخ حلب، حلب، المطبعة المارونية، ١٩٢٦م.
- فوزي: فاروق عمر: تاريخ النظم الإسلامية، بيروت، دار الشروق، ٢٠١٠م.
- الفيروزابادى: مجد الدين: القاموس المحيط، بيروت، مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ١٣٢٦هـ.
- قباني: محمد: الدولة العباسية من الميلاد إلى السقوط، دمشق، دار وحي القلم، ١٤٢٧هـ.
- القزويني: زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر.
- كرد علي:
  - الإسلام والحضارة العربية، ط٣، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٦٨م.
  - رسائل البلغاء، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى، مصر، ١٩١٣م، ط٢.
- مَالك: بن أنس: المدونة، بيروت: دَار الكتب العلمية، د. ت، ط١.
- مجموعة من المؤلفين: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي: د. م، المكتبة الشاملة، د. ت.
- مجموعة من المؤلفين بإشراف علوي بن عبد القادر السقاف: الموسوعة التاريخية، موقع الدرر السنية، ١٤٣٣هـ.

- مجهول المولف: الأدب العباسي: جامعة ديالى، د. ن، د. ت.
- محمد بن علي: الولوي: البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، الرياض، دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ.
- محمد سليمان: موسوعة القبائل العربية: د. م، دار الفكر العربي، ١٤٢١هـ.
- محمود بن محمد: تاريخ القضاء في الإسلام، القاهرة، المطبعة المصرية الأهلية الحديثة، ١٩٣٩م.
- المختَار: فريال داود: المنسوجَات العرَاقية الإسلامية، بغداد، ١٩٧٦م.
- المدني: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٣٠هـ، ط١.
- المدور: جميل نخلة: حضارة الإسلام في دار الإسلام، القاهرة، دار العالم العربي، ٢٠٠٨م.
- المصري: أبو سعيد: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي.
- المعايطة: زريف مرزوق: نشأة الدواوين وتطورها في صدر الإسلام، الإمارات، مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠٠م.
- المعجم الموحد لمصطلحات علم الأحياء، سلسلة المعاجم الموحدة، تونس، مكتب تنسيق التعريب، ١٩٩٣م.
- المقدسي: محمد بن أحمد بن أحمد المقدسي البشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت، دار صادر، ١٩٩١م
- النصولي: أنيس زكريا: الدولة الأموية في الشام، بغداد، مؤسسة الهنداوي، ٢٠١٥م.
- ناصر الدين: المغرب في ترتيب المعرب، حلب - سوريا، مكتبة أسامة بن زيد، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- نواب: عواطف بنت محمد، العصر العباسي الأول، ١٤٣٤هـ.

رابعا: الرسائل العلمية:

- بديوي: خالد محمد أحمد: الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية والثقافية في عصر الخليفة المأمون رسالة ماجستير.
- حشاش: توفيق سليمان: الثغور الشامية في العهد العباسي الأول، غزة: رسالة ماجستير، ٢٠١٦م.
- الجفري: عصام هاشم: التطور الاقتصادي في العصر الأموي، رسالة ماجستير، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٩٩٢م.

- زنيد: خالد أحمد سلمي: التجارة في بلاد الشام حتى نهاية العصر العباسي الأول، الأردن: الجامعة الأردنية، رسالة ماجستير، ١٩٩٢م، ١٤١٢هـ.
- صيد: نورة: الأوضاع الحضارية للدولة العباسية في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٤-٧٧٥م) د. ن، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية الجمهورية الجزائرية، رسالة ماجستير، ١٩٤٥م.
- الضلاعين: مروان عاطف: التجارة في بغداد في العصر العباسي الأول، الأردن: أطروحة دكتوراة، ٢٠٠٦م.
- عرفة: ثريا حافظ: الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي، رسالة دكتوراه، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٩٨٩م.
- فطوم: مسلم وآخرون: نظام الدواوين في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير، الجزائر: د. ن، ٢٠١٥م.
- الكساسبة: حسين فلاح سلمان: الدواوين المركزية في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير، الأردن: د. ن، ١٩٨٦م.
- محاسنة: محمد حسين: الأحوال الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة: بغداد، ١٩٨٦م.

خامسا: الكتب المعربة:

- كوك: ريغارد: بغداد مدينة السلام، ترجمة: فؤاد جميل، بغداد: مكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٤م، ط١.
- لوبون: غوستاف: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، دار بابيلون، باريس، ٢٠٠٨م.
- متز: آدم: الحضارة العربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م، ج٢.
- هايد: فيلهلم: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، عربه في الترجمة الفرنسية أحمد محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م، ج١.
- هونكة: زيغريد: شمس العرب تسطع على الغرب، (ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي مراجعة مارون خوري)، بيروت، منشورات المكتب التجاري للطباعة.

سادسا: الدوريات:

- إبراهيم: رشا عوض محمد: الحياة الاجتماعية والثقافية في دمشق في العصر العباسي الأول

١٣٢/ ٢٤٧هـ، د. م، مجلة القلزم للدراسات الاقتصادية والاجتماعية، ع١٠، ٢٠٢٢م.

- بني عايش: محمد سعيد أحمد محمود: المجتمع الإسلامي معالم قوتة أسباب ضعفه وسائل نهوضه، دراسات علوم الشريعة والقانون، م٤٥، ع، ٤، ٢٠١٨م
- التميمي: حمدي حسين علوان: الحياة الاقتصادية في الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، د. م: مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، العدد ٢٠١٥، ٢٢م.
- حسن: زهراء محسن: نظام الانتمان في العصر العباسي الأول، مجلة أوروك، ع٢، ٢٠١١م.
- سمير: طبي: الصيرفة والمؤسسات الائتمانية في العصر العباسي ودور غير المسلمين في ذلك، جامعة باتنة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد السادس.
- الجبوري: حمدية صالح وآخرون: حدائق الحيوان دراسة في جذورها التاريخية وتطورها خلال العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٤٧هـ)، د. م، مجلة كلية التراث الجامعة: ع١، ٢٠١١م.
- الخازن: وليام: الحضارة العباسية، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية، ١٩٨٤م، ط١.
- سيف الدين: مكانة أهل الذمة في المجتمع الإسلامي حتى نهاية العصر العباسي الأول، مقالة تم استردادها يوم الاثنين ١٠/ ١١/ ١٤٤٥هـ تمام الساعة ٥:٤٥، من الموقع:

https://hja.journals.ekb.eg/article_80372.html

- شياع: أسماء عبد عون: الرعاية الاجتماعية في العصر العباسي الأول (١٣٢هـ/ ٢٤٧م)، مجلة العلوم الأساسية، العدد ٥، ٢٠٢٢م، ١٤٤٣هـ.
- فاروق عمر فوزي: الموصل إبان الحكم العباسي المباشر ١٣٢-٢٩٣هـ/ ٧٤٩-٩٠٥م، مجلة موسوعة الموصل الحضارية، ع٢، دار الكتب، جامعة الموصل، الموصل، ١٩٩٤م.
- فرجاني: مراد: الرقابة الاقتصادية وانعكاساتها على الإصلاح الزراعي لنظم ملكية الأرض في العصر العباسي الأول، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج ٦، العدد ٢، أكتوبر.
- مشايرية: أيوب: دور الخلفاء العباسيين في تنمية النشاط الصناعي خلال العصر الأول، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، الجزائر، مج ٣٥، عدد١، ٢٠٢١م.
- الموسى: عصام سليمان: الورق وتطور صناعته في العصر العباسي كوسيلة اتصال فاعلة، مجلة جامعة دمشق، مج٢٧، عدد ٣، ٤، ٢٠١١م.
- النعيمي: وئام عدنان وآخرون: الأحداث السياسية التي مرت بها مدينة دمشق، جامعة بغداد: مجلة التراث العلمي العربي، ٢٠١٥م.
- إلياس: عبد الوهاب خضر: نظام دفع رواتب جيش الخلافة العباسية في العراق، الموصل:

مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية: المجلد ٩، العدد ١، ٢٠٠٨م.

سابعًا: الشبكة العنكبوتية:

- صحيفة الخليج: النشاط الزراعي، اقتصاد الوفرة في زمن العباسيين، ١٦ أكتوبر ٢٠٠٨م، تم استرداده من الموقع:

https://www.alkhaleej.ae/

- الموقع الإلكتروني:

https://www.medicalnewstoday.com/articles/323037#nutritional-benefits

- يوم الثلاثاء الموافق ٢٧/ ١١/ ١٤٤٥هـ الساعة ٢:٥٨ ظهرًا:

https://www.google.com/

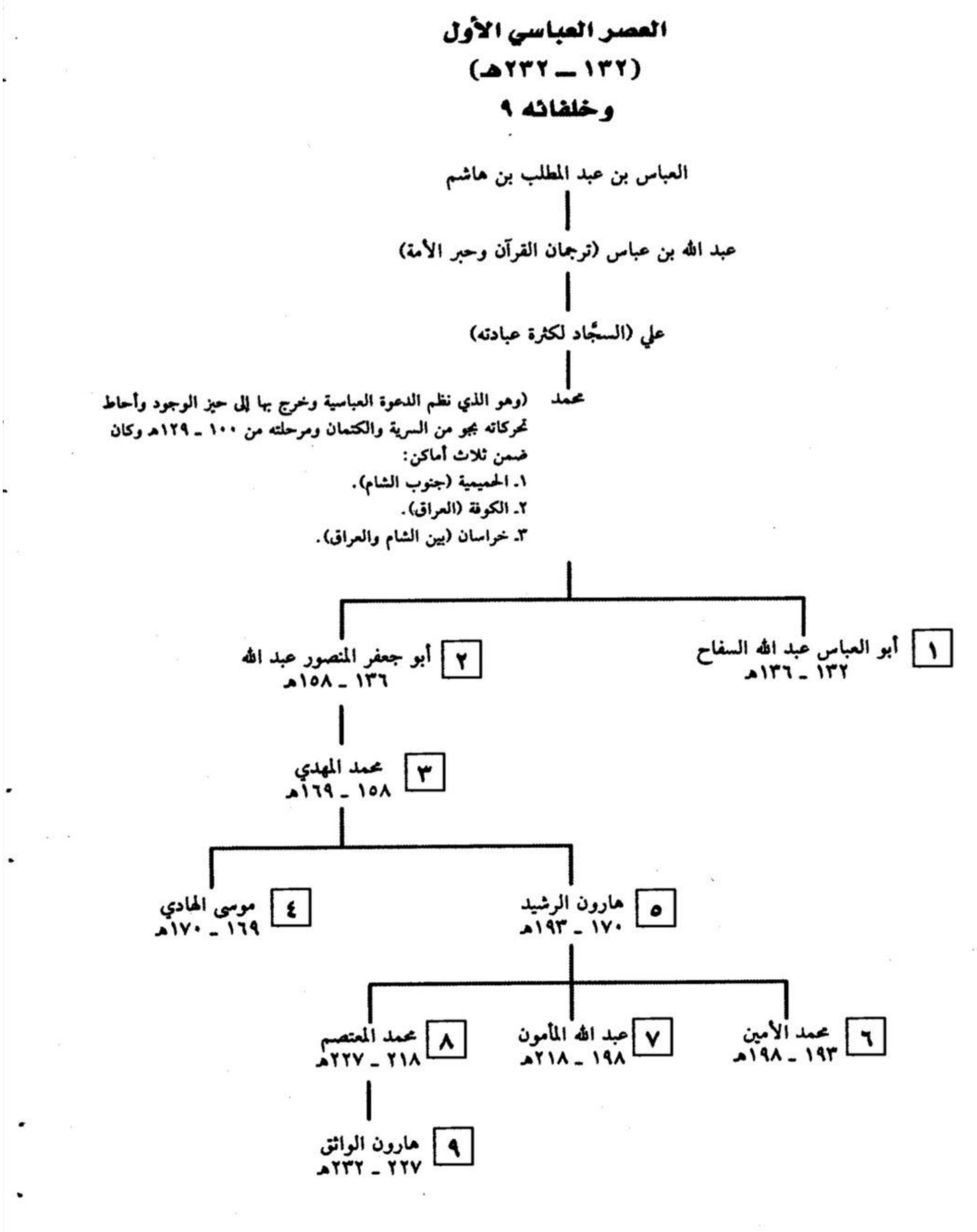
ثامنًا: المصادر الأجنبية:

- Miles: George C: The earliest Arab gold coinage, the American numismatic socitym no 13, 1967, p: 212 .
- Tsugitaka Sato, Sugar in the Social life of Medieval Islam. Islamic Area Studies, vol. 1 (Leiden-Boston: Brill, 2015). p 334 .
- wright: Thomas: Carley travels in Palestine, press, New York: united states of America, 1969, p: 15.

الملاحق

الملحق رقم (١)

صورة توضح شجرة الخلفاء العباسيين في العصر العباسي الأول[1]



---

(١) قباني: الدولة العباسي من الميلاد إلى السقوط، ص: ١٨.

الملحق رقم (٢)

الخليفة	الوزير(١)	القاضي	الحاجب(٢)
أبو العباس ١٣٢–١٣٦هـ	الخلال أبو سلمه حفص بن سليمان الكوفي خالد بن برمك	عبد الرحمن بن أبي ليلي يحيى سعيد الأنصاري	أبو غسان
أبو جعفر المنصور ١٣٧–١٥٨هـ(٣)	خالد بن برمك أبو أيوب سليمان الربيع بن يونس	عبد الله بن صفوان شريك بن عبد الله الحسن بن عمارة	الخصيب الربيع الفضل بن ربيع
المهدي ١٥٨–١٦٩هـ	أول من استوزره الخليفة معاوية بن يسار أبو عبد الله معاوية الأشعري عبد الله يعقوب بن طهمان أبو جعفر الفيض بن شيرويه	عبد الله بن صفوان شريك بن عبد الله الحسن بن عمارة	الربيع بن يونس الفضل بن الربيع الربيع بن حصين الحصين بن سليمان
الهادي ١٦٩–١٧٠هـ	الربيع بن يونس	عبد الله بن صفوان شريك بن عبد الله الحسن بن عمارة	الفضل بن الربيع
الرشيد ١٧٠–١٩٣هـ	يحيى بن خالد البرمكي(٤) الفضل والجعفر بن يحيى بن خالد البرمكي الفضل بن الربيع	أبو يوسف يعقوب الواقدي	بشار بن ميمون محمد بت خالد بن برمك
الأمين ١٩٣–١٩٨هـ	بن سهل الفضل بن الربيع	أبو يوسف قاضي القضاة (هو أول من سمي قاضي القضاة)	العباس بن الفضل بن الربيع

(١) **نظام الوزارة** يعد نظامًا مستحدثًا في الدولة العباسية، وهذا المنصب هو نظام فارسي قديم إذ عرف في عصور قبل الإسلام، اختص النظام الإداري بالوزارة على الشؤون الإدارية على نوعين: وزارة تنفيذ – وزارة تفويض. أصبح النظام متبعًا خلال فترة الدراسة، وأهم من برز من الوزراء ما تم ذكره أعلاه. الماتريدي: تفسير الماتريدي، ص: ٤٥.

(٢) **الحاجب** كان الحاجب في العصر العباسي الأول يقوم بمهمة أساسية هي حجب العامة عن السلطان. مجموعة مؤلفين: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، ج٣. ص: ١١٢.

(٣) اقتصر الخليفة في بعض الأوقات على استخدام طائفة من الكُتاب دون أن يكون له وزير معين، فمن خلال البحث والاطلاع على المصادر التاريخية تبين ما ذكر أعلاه. إبراهيم: بديع محمد: نظم ومؤسسات: رسالة دكتوراه، د. م، د. ن، د. ت ص: ١٢.

(٤) شهد العصر العباسي الأول إسناد قواعد الوزارة، فأسند إليه دواوين الدولة العباسية جميعها بالإضافة إلى الوزارة. إبراهيم: بديع محمد: نظم ومؤسسات. ص: ١٣.

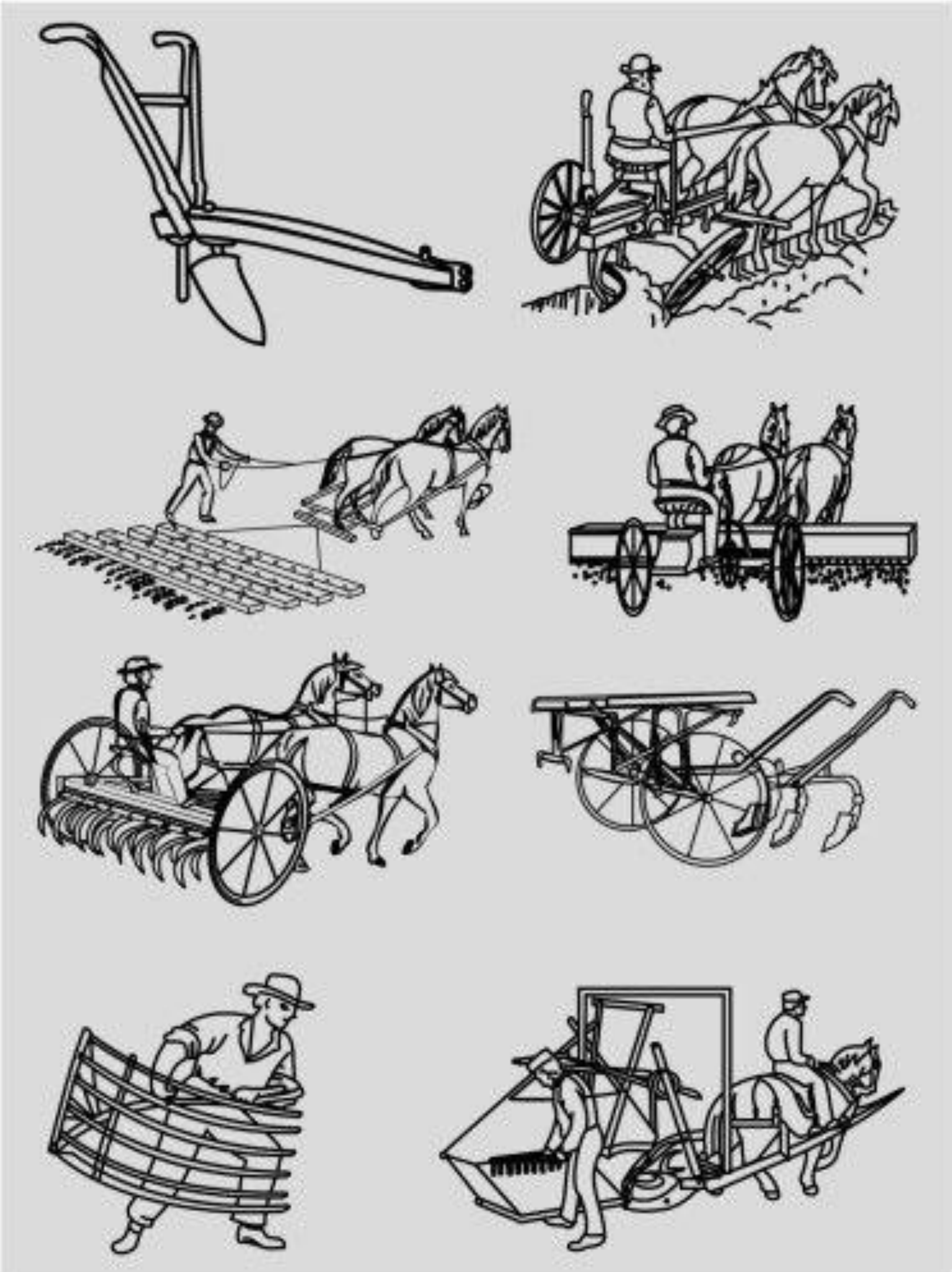
المأمون ١٩٨-٢١٨هـ	الفضل بن سهل الحسن بن سهل أحمد بن أبي خالد الاحول أحمد بن يوسف القاسم محمد بن يزداد المروزي	أبو يوسف يحيى بن أكثم	عبد الحميد بن عيسى حميد بن قحطبة صالح المصلي إسماعيل محمد بن صالح محمد بن عباد
المعتصم ٢١٨-٢٢٧هـ	الفضل بن مروان أبو العباس أحمد بن عمار محمد بن عبد الملك الزيات	أبو يوسف يحيى بن أكثم	وصيف التركي
الواثق بالله ٢٢٧-٢٣٢هـ	محمد بن عبد الملك الزيات	أحمد بن أبي داود	وصيف التركي محمد بن عاصم

جدول يوضح شهود العصر العباسي الأول للتنظيمات الإدارية للخلفاء والوزراء والقضاة والحجاب المستحدثين في فروع الدولة وجميع ولاياتها من ضمنها بلاد الشام "نموذجًا دمشق"[(١)]

(١) الأربلى: خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، ص: ٥٣-٢٢٣.

الملحق رقم (٣)

أدوات الحرث قديما[1]



(١) يوم الثلاثاء الموافق ٢٧-١١-١٤٤٥هـ الساعة ٢: ٥٨ ظهرًا: https://www.google.com